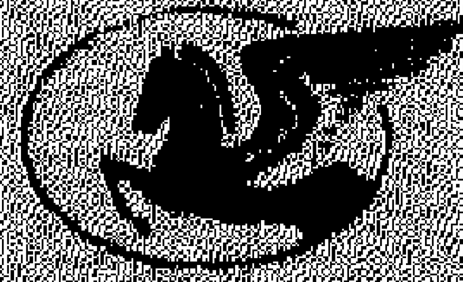


من ريدرز دايجست

اكثر من ١٠٠ مليون يقراون ريدرز دايجست في ١٨٠ بلداً بـ ١٥ لغة

لبنان ٤٥ق - سورية ٣٠٠ق - الاردن ٥٠٠ف - الكويت ٥٠٠ف - الامارات العربية المتحدة ١٢د - قطر ٦ر - البحرين ٢٠٠ف - السعودية ٦ر - مصر ٥٠٠م - السودان ٥٠٠م - ليبيا ٢٥٠د - اليمن الجنوبية ٤ر - مسقط ٦ر - العراق ٢٠٠ف - تونس ٢٠٠م - المغرب ٢د - الجزائر ٧د - فرنسا ٧ف - انكلترا ٧٥ب - اليونان ٢٠د - كندا واميركا الشمالية ٢د

سيكون التلفزيون أكثر متعة لو أنتجت البرامج بنفسك

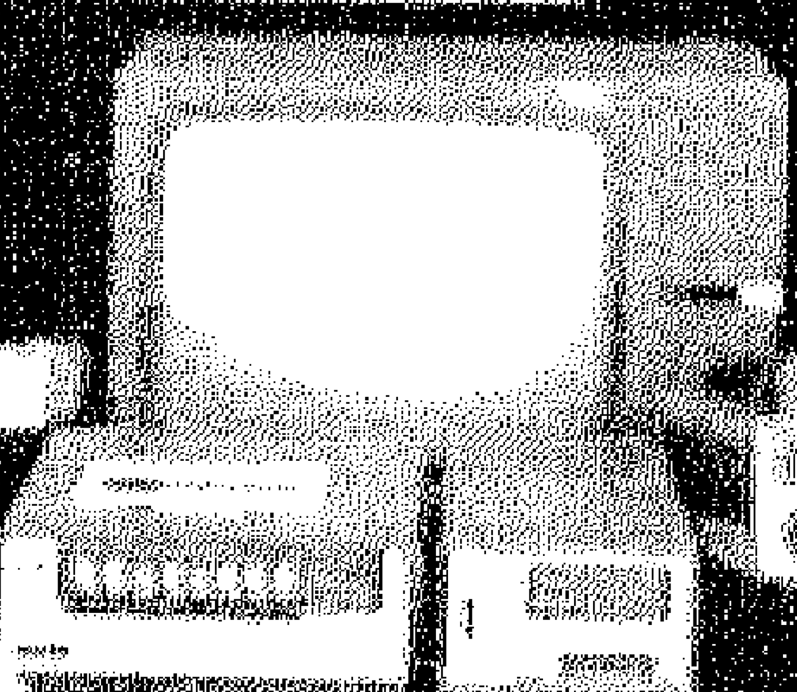
يكسب تسجيل البرامج التلفزيونية (الفيديو) في منزلك ابعادا جديدة اكثر اثارة حين تضيف الى نظامك التلفزيوني آلة تصوير ملون (فيديو) وتبدأ انتاج البرامج بنفسك، ولا سيما حين تكون هذه الآلة فعالة وسهلة الاستعمال ولها خصائص آلات تصوير هوليوود مثل عدسة ٦ اكس ذات القدرة الفائقة على التصوير بعد اللقطة وجهاز تعيين المنظر ذي الدورة الكاملة.

بهذه الطريقة بالضبط صممنا آلة التصوير التلفزيوني الملون ج.ف.س ٤٩٠٠ - فاذا اضفت اليها مسجل الكاسيت هـ.ر - ٤١٠٠ المرافق للشريط التلفزيوني الملون النقال وجهاز تنغيم تلفزيوني، فستحصل على كل ما تحلم به: نظام تلفزيوني منزلي متعدد الاستعمالات في مجموعة متكاملة.

انا نعرف ذلك. فنحن JVC - شركة الصناعات الالكترونية السمعية / التلفزيونية التي حققت ابتكارات عدة وطورت نظام VHS طوال ٣٠ سنة من الخبرة.

اعتمد علينا في جعل حياتك اكثر تشويقا وفائدة. زر اقرب وكيل معتمد لـ JVC اليوم واكتشف طريقتنا في جعل تلفزيونك اكثر متعة.

VHS



جي في سي JVC



المختار

من ريدرز دايجست

مجلة شهرية

المستشار الثقافي : مؤنس طه حسين ،
رئيس التحرير : ادمون صعب ،
رئيس التحرير المعاون : اديب صعب ،
مدير التحرير : فؤاد غطاس كرم ،
امانة التحرير : رينا نداف ،
الاخراج : اروى سيف الدين ،

الامتياز:
شركة النهار للمنشورات الدولية - باريس ،

الناشر :
شركة رأس الخيمة للمنشورات الدولية ،
المؤسسون: غسان تويني، توفيق ابو خاطر، عثمان عائدي، لوسيان دحداح ،

الخدمات الصحافية:
شركة الدراسات والمنشورات الدولية S.E.P.I

الادارة والتحرير والاشتراكات:

AL MUKHTAR min Reader's Digest
37, Avenue George V, 75008 Paris, FRANCE
Tel. 7204542 7237422 Telex 612687 F

الاعلانات :
TAMAM شركة تمام
19, Av. Franklin D. Roosevelt — 75008, PARIS

التوزيع:
الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات ،

الصف والتنفيذ:
شركة المطبوعات العربية - باريس ،

الطباعة:
بوليغرافيتشي اديتوريالي - بولونيا - ايطاليا ،

الخط: محمد ماجد ،

الطبعات الدولية لـ"ريدرز دايجست"
المدير العام: جون أ. اوهارا ،
مدير التحرير: آلان دوليرو ،

تنشر "ريدرز دايجست" في اللغة الانكليزية (الطبعات الامريكية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والآسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الامريكية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنرويجية والدانماركية والفنلندية واليابانية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والكورية اضافة الى العربية ،

MEMBRE INSCRIT A L'O.J.D.
Nº DE LA COMMISSION PARITAIRE 3398RL

الغلاف: حمامة الصباح (اريك نايسميت) ،

AL MUKHTAR *min* Reader's Digest
January 80 Nº 14 (New Series). Vol 2



POLIGRAFICI EDITORIALE SPA PRINTED IN ITALY

الصوت الستيريوفوني
الذي يتنقل بأمان .

حيثما تذهب ، لصيد السمك أو صيد الطيور ، الى الشاطئ ، أو في بيتك ، يمكنك الاستماع الى أحدث الستيريوفوني بفضل راديو ومسجل - كاسيت AJ500/FS الجديد ، من إنتاج أكاي .

إن جهاز AJ500/FS ليس جميلاً فحسب ، بل إنك حين تستمع الى قدراته صوته المدهشة من المضخم المزدوج للترددات المنخفضة (١٦ سنتم) والمضخم المزدوج للتردد العالي (٥ سنتم) ، ستعجب بالأخذ وجهت المدمج لجهاز هاي فاي الموجود في بيتك .

لنا الآن فلنستمع الى مميزات أخرى لجهاز AJ500/FS نظام IPLS مثلاً ، الذي يكتشف أول البرنامج المختار ، بفضل مستوى الصوت وحدة السكوت بين البرامج والبرنامج . ليتم ذلك ، يكفي ان تضغط على مفتاح التشغيل وكذلك على مفتاح IPLS ، إما للاسراع الى الخلف أو للاسراع الى الأمام ، فيقف الشريط عند بداية البرنامج ثم يتنقل من جديد . وهذه أيضاً بعض المميزات الاخرى لجهاز AJ500/FS سوف تتوقع ان تعثر في الجهاز على عدد أكبر من الوحدات الثابتة جداً وهي تشتمل على ٣ أوضاع انتقاء التسجيل العادي - FeCr-CrO2 ، تسجيل ستيريوفوني من الموجة المعدلة FM ، نظام تحكم ذاتي بالمستوى ALC ، وميكروفونين مكثفين داخل الجهاز . إذن ، حيثما تذهب ، احمل AJ500/FS واصطحبه معك .

AJ500/FS

الصوت الستيريوفوني الذي
يتنقل بأمان .



سمعيات وبصريات

AKAI

AKAI ELECTRIC CO., LTD.
Ohta-ku Tokyo, Japan

أيّ عامٍ جديد؟

... ذلك هو السؤال في نهاية كل عام

على مكتبي ورقة صغيرة كتبت عليها بحرص عبارة "قرارات العام الجديد". وفي نيتي ملء تلك الورقة في الوقت المناسب.

شعور غريب بالتشكيك جعلني اترك الصفحة بيضاء اياماً عدة على رغم اني، منذ طفولتي، تعودت كتابة القائمة قبل الاول من يناير (كانون الثاني) من كل سنة. وكانت تتضمن اخطاء من الماضي وآمالا للمستقبل، كما كانت تشتمل على تذكير بتعويض الاشياء التي نفدت مني، مثل الصبر وطيبة القلب، وباكتساب بعض الامور الجديدة علي، مثل اللغة الاسبانية وادب دوستويفسكي. وكنت دائماً انزع الى شطب النقاط، الواحدة تلو الاخرى، مع مرور الايام. لكن قراراتي غالباً ما بقيت حبراً على ورق.

والآن ماذا افعل؟ هل اعيد كتابة النقاط القديمة ذاتها؟ الا يتطلب العام الجديد قرارات جديدة؟

قد تكون المشكلة ان العام الذي يأتينا ليس جديداً فعلا، بل تلازمنا اعوامنا القديمة فندون قرارات العام الجديد على اللوح نفسه الذي علاه الغبار.

وقد يشير احدنا الى عادة من عادات العام الفائت اذ يقرر ان يكف عن التدخين، او يعترف آخر بافراطه في الاكل طوال العام الماضي فيتعهد بأن ينقص خمسة كيلوغرامات. ويكتب بعضنا: "كن والداً، او صديقاً، او طفلا، او عاملا، اكثر طيبة"، مع اسف على الاخطاء التي ارتكبها في العام السابق. وهكذا، يبدو اننا نحتفظ دائماً بعلاقة ما مع حالنا في العام الماضي.

ان التقليد الذي يقضي باتخاذ قرارات جديدة كل عام يعتبر اعترافاً باننا قادرون على التغير على رغم كل الخبرات والعادات المقترنة بماضينا. وهذا التقليد هو ترحيب بالاحتمالات المتوافرة لدينا وبفكرة اننا ما زلنا نستطيع ان نخلق مستقبلا يختلف عن الماضي.

ونحن، اذ نتردد بين العامين الماضي والمقبل، انما نحتاج الى ان نقرر امراً ما او نجازف بشيء.

لا محالة ان هناك نمطاً واحداً على الاقل في حياتنا يتحول الى عادة نتقبلها كما نتقبل شكل اناء زهر مكسور في غرفة جلوسنا، او كما نتناول الغداء في بيت العائلة كل يوم اجازة، كما نداوم على الجلوس في المكان نفسه حول مائدة الطعام.

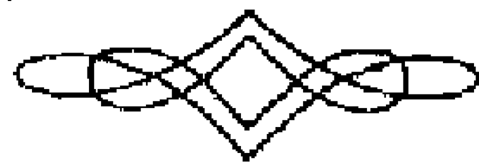
في حياة كل انسان مسائل تؤخذ على انها امر واقع او توقعات او التزامات. وكم منها لازمنا، من غير مناقشة، مدة تزيد على العشر سنين؟ ماذا يحدث، مثلا، اذا تركنا الاطباق من دون غسل في حوض المطبخ وماذا اذا اجبنا بكلمة لا ؟

تبقى العادات التي لم نتأملها قابعة هناك كهدايا الزواج القديمة التي لا يذكرها احد او يحبها، ومع ذلك لا يتخلص منها احد. فهي تشغل المكان الذي نحتاج اليه للعناصر الجديدة هذا العام.

واذا عقدنا العزم على اعادة النظر في تلك العادات والتخلص مما ليس منه فائدة، امكننا عندئذ ان نتيح لانفسنا فرصة المجازفة والسعي وتجربة شيء لسنا قادرين عليه بعد، كما نكتشف ان بعض الالتزامات والتوقعات والامور المسلم بها ما هي في الحقيقة سوى اعمال نسعد بالتطوع للقيام بها.

اكتفي بهذا المقدار، اذ لدي قائمة لا بد من كتابتها. وأظن اني سأعيد كتابتها فأسمّيها: "قرارت لعام جديد نسبيا". ولن ادون سوى فكرة واحدة: "غيري الاسلوب".

■ ايلين غودمان



منطق

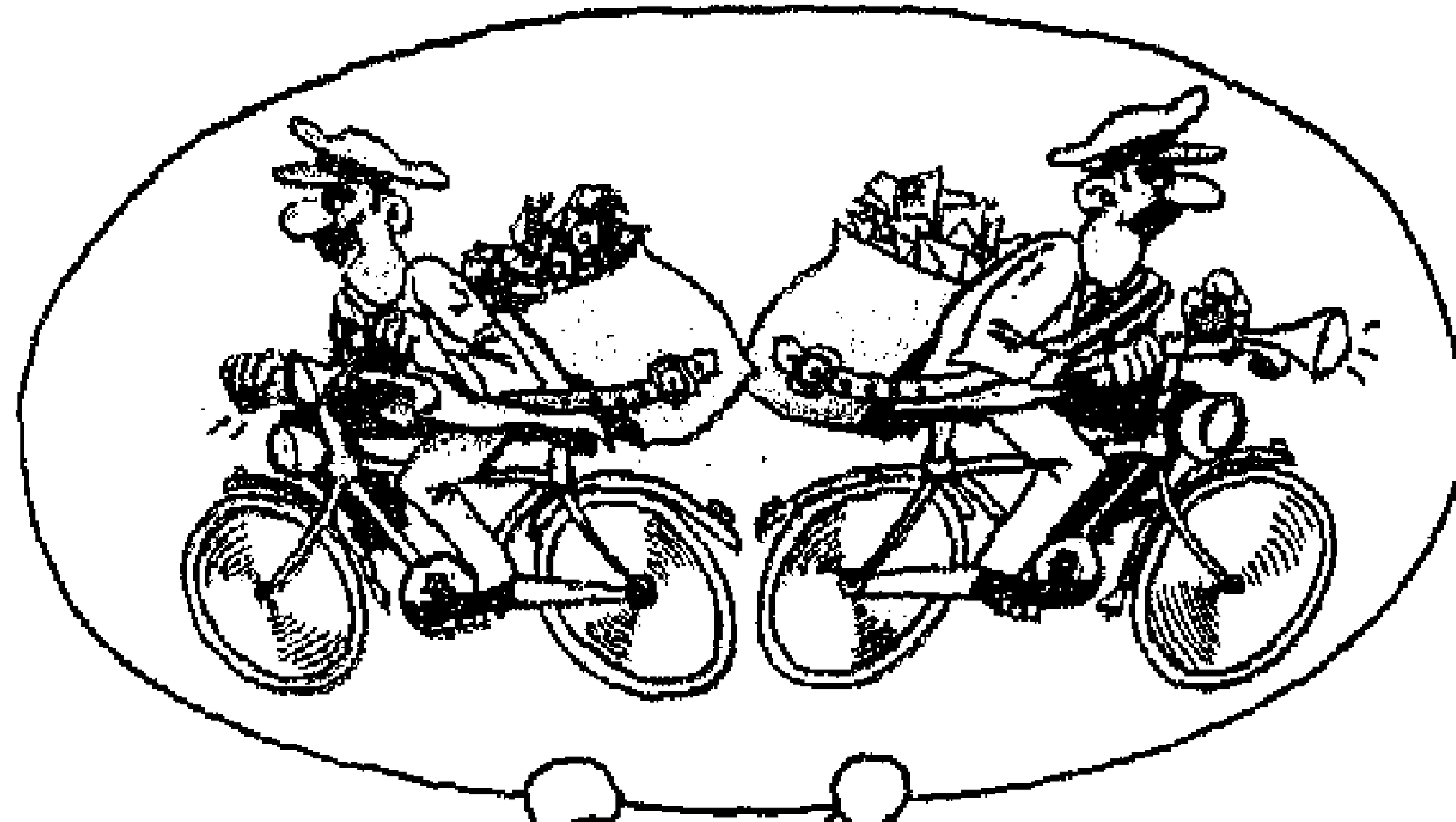
دعا زوجي طفلنا ذا الاربع سنوات الى تناول العشاء، فعلا صوت الطفل من الحديقة: "سآتي بمجرد ان اهبط عن هذه الشجرة. ولكن علي ان اتسلقها اولا".

غ.م.

حكاية كل جيل

دخلت مراهقة ترتدي تنورة شديدة القصر وتنتعل جزمة تبلغ حد الركبة الى مكتبة. وبعدما سوت خصلات شعرها الطويل، سألت الموظف بتردد: "انني ابحث عن كتاب لافلاطون، يقال انه يرسم فيه صورة قاتمة للمستقبل ويشتكي من شباب عصره". ولما لاحظت علامات الدهشة على وجه الموظف، اضافت المراهقة: "انه هدية اود تقديمها الى ابي في عيد ميلاده".

هـ.ث.



اكتب  واربح

هل لديك نكتة؟ هل صادفت في حياتك العائلية او المهنية حادثا طريفا؟ هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في ان تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلما وورقة واكتب ما لديك وارسله: الى "المختار" وهو يدفع لك في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

☐ صور من الحياة: ٥٠ دولارا

القصة يجب ان تكون حقيقية وغير منشورة وتتحدث عن تجربة شخصية وعن موضوع جدي.

☐ الضحك خير دواء

ينطبق على هذا الباب ما ينطبق على الباب السابق. ويدفع ٥٠ دولارا عن النكتة الاصلية و٢٥ دولارا عن النكتة المنشورة.

☐ تأملات معاصرة: ٥٠ دولارا

مقاطع ذات مغاز حكمية حول موضوع معين.

☐ حديقة افكار

اقوال مأثورة للاعلام العرب.

تدفع ١٠ دولارات عن كل سطرين، على الا يتجاوز القول المأثور السطرين.

☐ السدات

هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود، خصوصا المطبوعات المحلية والاقليمية. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع ٥ دولارات عن السطر ذي العمودين.

☐ المقالات

يرحب "المختار" بالمقالات التي تتحدث عن تجارب شخصية مثل المآسي الواقعية والتجارب غير العادية التي مر بها آخرون معروفون من القراء مع ذكر الاسماء والوقائع والمراجع بدقة وتفصيل.

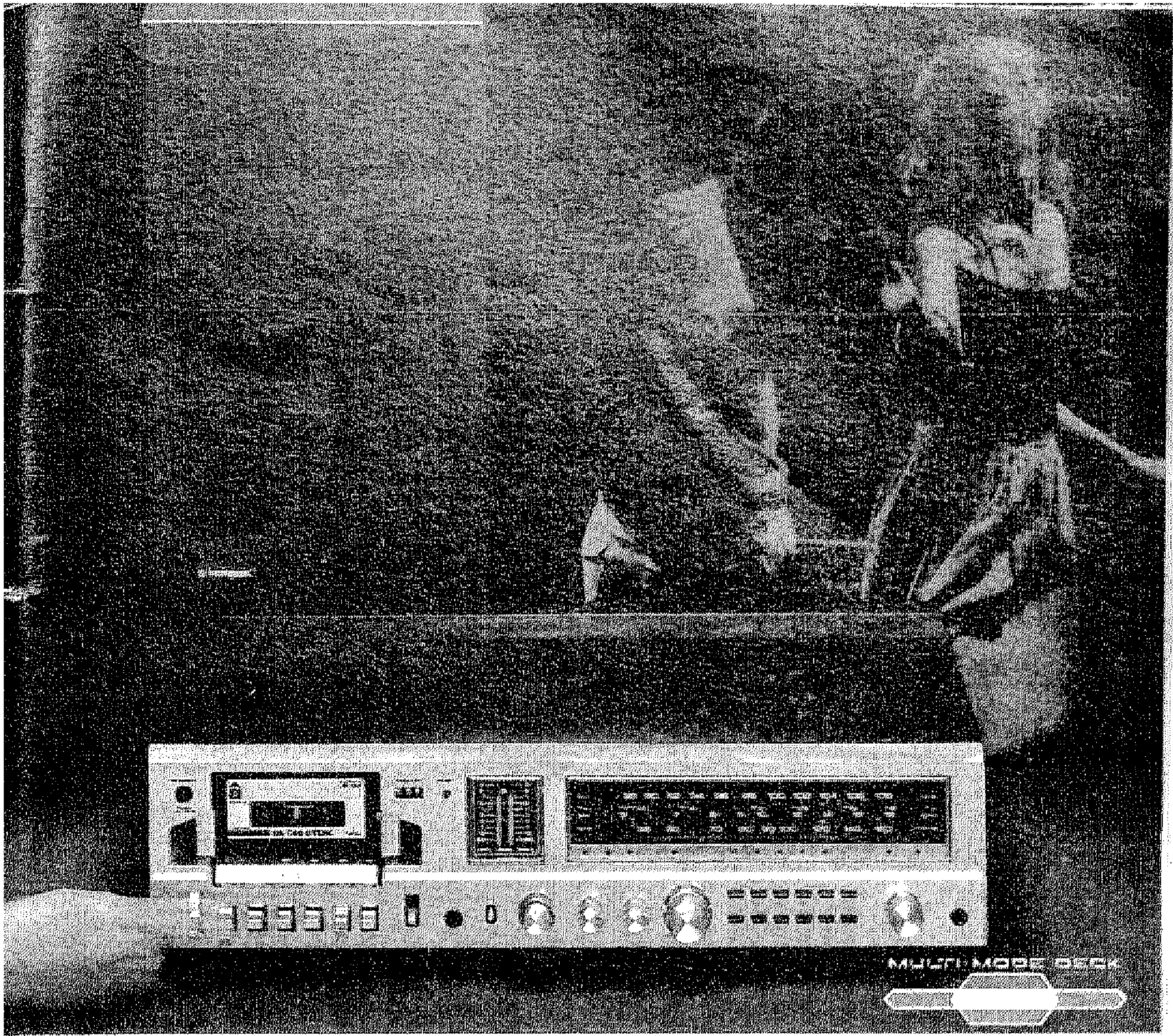
يدفع ٥٠٠ دولار عن الموضوع الذي ينشر في المجلة.

الشروط

- ○ كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة.
- ○ كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة (الضحك - حديقة أفكار...).
- ○ في حال ورود مادتين متشابهتين من قارئين مختلفين ينظر في المادة التي تصل اولا، حسب خاتم البريد.
- ○ ذكر المصدر العربي شرط اساسي لقبول اي مادة. ونعني بالمصدر، خصوصا في "حديقة أفكار"، الكتاب الذي نقل عنه: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر، الصفحة او نسخة مصورة اذا امكن.
- ○ تحاشي المواد المترجمة او المستقاة من مصادر أجنبية.
- ○ لا تعاد النصوص الى اصحابها، سواء نشرت او لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي:

AL MUKHTAR
min Reader's Digest
S.E.P.I.
37, Avenue George V
75008 Paris, France


MULTI-MODE DECK

كل من اقتنى جملا قال ان هذا الحيوان الغريب الاطوار جوهرة لا تقدر بثمن



سَفينة الصَحراء

يبدو الجمل للوهلة الاولى نكتة من نكات الطبيعة: قلة رشاقة ترافقها حماقة وبرود قلب يرافقه كسل. مخلوق غارق في كآبة مغلقة، لا يصدر عنه سوى اصوات مخيفة وروائح كريهة. مزاجه عكر متقلب، تدريبه بالغ الصعوبة، وركوبه متعب الى اقصى الحدود، ناهيك بميله الى عض اليد التي تطعمه.

وهو ليس مخلوقاً جميلا: طوله ثلاثة امتار وارتفاعه متران، ويتركز في وسطه معظم وزنه البالغ ٤٥٠ كيلوغراماً. وهو احدب، بطنه كالبرميل، شفتاه سميكتان، قوائمه نحيفة، تتصادم ركبه المائلة الى الداخل ليبدو، كما قيل عنه، حصاناً ابتكرته لجنة.

ومع ذلك، فلو امعن المرء النظر الى الجمل لرآه من ابدع مخلوقات الله. ان كثيراً من الصفات التي تعزى

الى الجمل تقوم على افكار قديمة خاطئة، بل ان منظره يعزز اعتباره اعجوبة في الهندسة التشريحية. ويسميه بدو شبه الجزيرة العربية "عطاء الله". وفي المناطق القاحلة المنبسطة التي تغطي سدس مساحة اليابسة، يعد الجمل وسيلة نقل لا تقدر بثمن. ذلك ان عجلات الشاحنات تغرز في الرمال. ولا يزال الجيش في صحراء راجستان الهندية يستعمل الجمال في المناطق التي تستعصي حتى على سيارات اللاندروفر.

ومما يدل على اهمية الجمل الكبيرة ان لدى باكستان نحو مليون جمل هي ضعف ما كان لديها قبل عشرين سنة، وتملك الهند قرابة مليون ونصف مليون جمل، واثيوبيا مليوناً آخر، والصومال ثلاثة ملايين. واذا اضفنا ذلك الى جمال شمال افريقيا ووسطها وجمال افغانستان ومنغوليا والاتحاد السوفييتي والصين والشرق الاوسط، لبلغ عدد جمال العالم نحو ١٥ مليوناً تزداد باستمرار.

كانت للجمل مكانة مرموقة منذ اجيال طويلة. ففي القرن الرابع الميلادي، بعد ما اجتاز الجمل نهر النيل مقبلا من شبه الجزيرة العربية ومن مصر الى المغرب العربي، تغير مجرى التاريخ. فقد اصبحت التجارة امراً ممكناً عبر الصحراء الافريقية الكبرى التي كانت باباً موصداً بين افريقيا السوداء من جهة والبحر الابيض المتوسط واوروبا والشرق من جهة اخرى. وعبر قرون طويلة كانت قوافل الجمال تأتي من الشمال الى تمبكتو في مالي واغاديس في النيجر محملة بعقود الزجاج من البندقية والقطن من مانشستر (بريطانيا) والحرير من فرنسا، اضافة الى الملح والتوابل والسيوف والعطور والبارود. وكانت هذه القوافل تعود من الجنوب محملة بالعبيد والذهب.

واستعملت الجمال في اماكن عدة اخرى من العالم بما فيها الولايات المتحدة. وقد جاء الرئيس جيفرسون ديفيس بالفكرة عام ١٨٥٥ عندما كان الجيش في حاجة الى وسيلة نقل بين المراكز العسكرية في تكساس وساحل المحيط الهادىء الذي كاد يخلو من وسائط الدفاع.

وبعدما درس الرئيس ديفيس اوجه الشبه بين جنوب غرب امريكا ومواطن الجمال التقليدية، تمكن من الحصول على اعتماد من الكونغرس بلغ ٣٠ الف دولار، فاستورد نحو ٣٠ جملا من مصر وآسيا الصغرى. وقد نفذت تلك الجمال مهمتها على اكمل وجه. لكن الكونغرس رفض تخصيص اموال لشراء المزيد منها، ثم حسم الامر امتداد السكة الحديد.

سنام واحد ام سنامان؟ — ظهرت فصيلة الجمال قبل قرابة ٤٠مليون سنة في امريكا الشمالية. وكان الجمل آنذاك في حجم القط. وقبل نحو مليون سنة، عرفت تلك السلالة نمواً كبيراً، وتفرعت الى ست فصائل توزعت في انحاء الكرة الارضية. واستقرت جمال الفكونة والغوناق في هضاب الانديز (غرب امريكا الجنوبية) بينما استوطنت جمال اللامة والالبكة المناطق السفلى منها. واتجهت انواع اخرى — كانت في حجم جمال اليوم — غرباً عبر الممر بين الاسكا وسيبيريا (الذي غمرته

المياه بعدئذ ليصبح اليوم مضيق بيرينغ).

اما الجمل البكتري ذو السنامين والكثيف الشعر فقد اتجه الى المناطق الباردة. وتعيش سلالته، التي يقل عددها عن ٥٠ الفاً، في منطقة ما بين بحيرة بيكال في سيبيريا وسهوب الصين الوسطى. واما الجمل الوحيد السنام، وهو اكثر علواً وسرعة ويدعى دروميداري، نسبة الى الكلمة اليونانية القديمة "درومومس" التي تعني سباقاً او حلبة سباق، فقد اختار رمال شبه الجزيرة العربية الحارة.

كل ما في الجمل متقن التصميم للتكيف مع بيئته القاسية. فالعينان، وهما القسمة الوحيدة الجميلة حقاً في الجمل، لهما رموش كثيفة مزدوجة تحجب عنهما الرمال المتطايرة.وفي امكان الجمل اغلاق أذنيه ومنخريه للغاية ذاتها. اما الاخفاف الضخمة فلا تتناسق مع القوائم الدقيقة، وهي كثيفة ومنبسطة تسهل له الحركة على الرمال من دون ان يغرز فيها.

وشفتا الجمل مطاطيتان قاسيتان تلتهمان الاشواك الحادةالتي يمكنها اختراق جلد الحذاء. وهما فعالتان في تجميع الاكل بحيث لا يفقد الجمل ابداً اي رطوبة بمد لسانه الى الخارج. وتلتهم الجمال اشياء لا تلتفت اليها مخلوقات اخرى، كشجيرات الملح الصحراوية وورق السنط الذي لفحته شمس الصحراء المحرقة وغير ذلك من "اطباق" على كثبان الرمال.

واذا اشتد جوع الجمال فقد تأكل كل شيء تراه، سواء أكان سقف قش على كوخ افريقي ام لوحاً من البلاستيك ام سلكاً نحاسياً. ويدفع هذا "الطعام" جيئة وذهاباً في المعدة عبر اربع حجرات تستخلص الغذاء من مصادر تكاد لا تخطر على البال، من دون ان تنتج عنه نفايات كثيرة. (ويصلح الروث الجاف وقوداً للطهو في الصحراء).

سر البقاء — ان ابرز مزايا الجمل الاسطورية قلة حاجته الى الماء. وعلى رغم ان الجمال الوحيدة السنام تسقى مرة كل ثلاثة ايام او اربعة في احر ايام الصيف (ويمكنها ان تشرب من الماء ما يملأ حوض استحمام اثر سفر يوم شاق) فهي تصمد مدة اطول من ذلك. اما سر هذه القدرة فقد اكتشفه قبل عشرين سنة العالم الفيزيولوجي نات شميث نيلسن من جامعة ديوك، الذي قصد الصحراء الافريقية الكبرى ليتعرف على السر. وقد اكتشف ان الجمل لا يملك طريقة واحدة فقط لتحقيق اكبر فائدة ممكنة من الماء الذي يشربه،بل اكثر من عشر طرائق، احداها كمية البول الضئيلة. وفي حين يصاب معظم الحيوانات بالتسمم اذا لم يستطع التبويل الكافي، فان الجمل يستطيع اعادة تمرير مقدار كبير من بوله عبر الكبد لصنع بروتيين جديد، مما يعطيه مخزونا من الطعام والماء.

ويشكل السنام طريقة اخرى اذ يخزن من الشحم ما يعادل خمس وزن الجسم، ومنه يسحب الجمل ما يحتاج اليه من غذاء ان لم يجد طعاماً. وهكذا، فلا حاجة الى توزيع الشحم على اماكن اخرى من الجسم. ويمكن التخلص من حرارة الجسم الزائدة عبر بقية الجلد، مما يخفف من كمية العرق. اما الحرارة الخارجية

فيعكسها شعر كثيف يعزل الجلد. واذا لم يكن عمل الجمل شاقاً ورعى عشباً جيداً، فانه يستطيع الحصول على كل الماء الذي يحتاج اليه من الرطوبة المتوافرة في طعامه. وربما بقي من دون ماء مدة تصل الى عشرة اشهر.

وفي الحالات الطارئة يستطيع الجمل ان يأخذ ما يحتاج اليه من الماء مباشرة من انسجة جسمه، فيخسر ربع وزنه من غير ان يضعف جدياً. فلا عجب، اذاً، في ان الجمل، ما ان يكمل نموه، حتى يصبح قادراً على سبق الحصان والصمود اكثر منه في المسافات الطويلة، فضلا عن حمله اثقالا لا يقوى الثور على النهوض بها.

ويستطيع الجمل السير بحمل ٢٠٠ كيلوغرام بسرعة ٤٠ كيلومتراً في اليوم لمدة ثلاثة ايام متواصلة. واذا كان غير محمل فقد يعدو بسرعة تفوق ١٥ كيلومتراً في الساعة مدة ١٨ ساعة من دون توقف، في حين يتوقف الحصان قبل ذلك بكثير، منهكاً خائر القوى. وقد نظم سباق في مطلع القرن الحالي في اوستراليا بين جمل وحصان لمسافة ١٨٠ كيلومتراً، وفاز الحصان بفارق ضئيل جدا ولم يلبث ان سقط ميتاً. اما الجمل فنام ليلة كاملة وعاد في اليوم التالي ليقطع مسافة ١٨٠ كيلومتراً اخرى في المدة نفسها.

حقد لا يزول — ان من يتأفف من بضعة اطوار غريبة في هذا المخلوق البديع هو ساكن صحراء غليظ القلب. وعلى اي حال، فلا جدل في ان الجمل غريب الاطوار. ان مشيته الشاذة قد تسبب عذاباً لراكب مبتدىء. فهو يتقدم محركاً قائمتيه اليمنيين معاً الى الامام، ثم كلتا قائمتيه اليسريين، ماضياً في حركة اهتزاز غير مألوفة بدت لي في الركوب الاول (والثاني والثالث) كأنها ابدعت بمهارة شيطانية لاتعابي. واذا وجهته نحو كثيب رمل حاد الارتفاع، فهو يركع على ركبتيه الاماميتين، ويدفع بقائمتيه الخلفيتين متلوياً على ركبتيه. وفي اعلى الكثيب يضم قائمتيه الخلفيتين، وينهض على الاماميتين لينطلق نحو السفح كأنه المزلقة.

وما دام الجمل سائراً، فهو يؤدي عمله بصمت. غير انه، في اي وقت آخر، يسمعك تشكيلة اصواته المتنوعة. اما الجمال التي قابلتها في افريقيا والهند فقد حرمتني النوم ليلة وهي تهدر وترغي وتزبد وتئن وتشخر وتزمجر وتنخر.

وبينما نجد النوق هادئة وسهلة القياد، فان الذكور يمكن ان تكون صعبة المراس اذا سيطرت عليها غريزة التزاوج، عندئذ تصبح عصبية المزاج الى درجة هستيرية ويملأ الزبد افواهها وتلتهب عيونها. وقد تعض اي شخص على مقربة منها من دون تحذير، فتقطع ذراعه او تنهش ركبته او تقضي عليه تماماً. ومن الممكن جداً ان يكون الشعور بالخيبة سبب هذا السلوك: فالذكور تستمر دورتها النزوية ثلاثة اشهر او اربعة اشهر متواصلة، بينما تقتصر في النوق على اربعة ايام او خمسة، وقد لا تطرأ كل سنة.

يبقى الجمل، في السنة الاولى من حياته، شديد الاعتماد على امه. ولا يمكن تدريبه او تشغيله الا بعد ان

يبلغ الرابعة او الخامسة، وتقوم طريقة التدريب التقليدية على ادخال سدادة انف مربوطة بحبال قياد مشدودة باتزان، فان كان الشد ضعيفاً لم يترك اي اثر،ولكن اذا كان شديدا مفاجئاً فانه قد يمزق انسجة المنخرين مما يجعل الجمل يستشيط غضباً، وعدا الشهوة، فان سوء المعاملة يمكن ان يحول هذا المخلوق اللامبالي البارد الاعصاب الى قاتل هستيري.

والجمل الذي تساء معاملته لابد من ان يسعى الى الانتقام، ومهما طال الزمن، فهو يقتنص عدوه ويطرحه ارضاً ويسحقه حتى الموت تحت وطأة وزنه الثقيل، وقال لي ج.د. شارما، مدير البحوث في مزرعة بيكانر للجمال في راجستان: "ان في الجوار جمالا وقع بصرها على راع لئيم داخل سيارة، فطاردت السيارة عبر البلدة كلها".

ويعامل معظم الجمالين جمالهم باحترام ومودة وعطف، وقد رأيت في موريتانيا جملا كاد ان يقلب رجلا من دون ان يقصد سوى التودد اليه. وبما ان متوسط عمر الجمل هو ٤٠ سنة، فقد يخدم عائلة ما مدة جيلين في الحراثة ونقل الماء وحمل المحاصيل الى السوق. وقد تدر الناقة اربعة ليترات من الحليب الذي يفوق حليب الابقار جودة، وذلك لثلاث سنوات على الاقل بعد حملها. وغالباً ما يكون هذا الحليب الغذاء الوحيد للبدوي. ويطرح الجمل سنوياً بعضاً من شعره ليكون لباسا لصاحبه او ملاءة او بساطا. ويستمر في خدمته حتى بعد موته فيؤكل لحمه ويستخدم جلده لصنع الخيام.

ومع ذلك، فمن اجل شيء آخر يقول البدوي وهو يرفع يقطينة يابسة جعلها طاسة وملأها بحليب الناقة: "بارك الله فيها". ففي العلاقة الحميمة التي تعود الى آلاف السنين بين الانسان وهذا الحيوان، تعلم كل منهما ان يغض الطرف عن اخطاء الاخر. ويمكن من يعيش منا في زحام المدينة، وسط ضوضاء السيارات وهدير الحافلات وجلبة القطارات، ان ينظر بعين الحسد الى البدوي الذي ينعم باعاجيب الطبيعة وسحرها.

■ **كلير ستيرلنغ**



مسألة نسبية

وصف الممثل بيتر اوستينوف زورقا يملكه بانه "يتسع لكي ينام فيه ستة اشخاص يعرف احدهم الآخر جيدا، او لسيدة محتشمة بمفردها".

ج.ب.

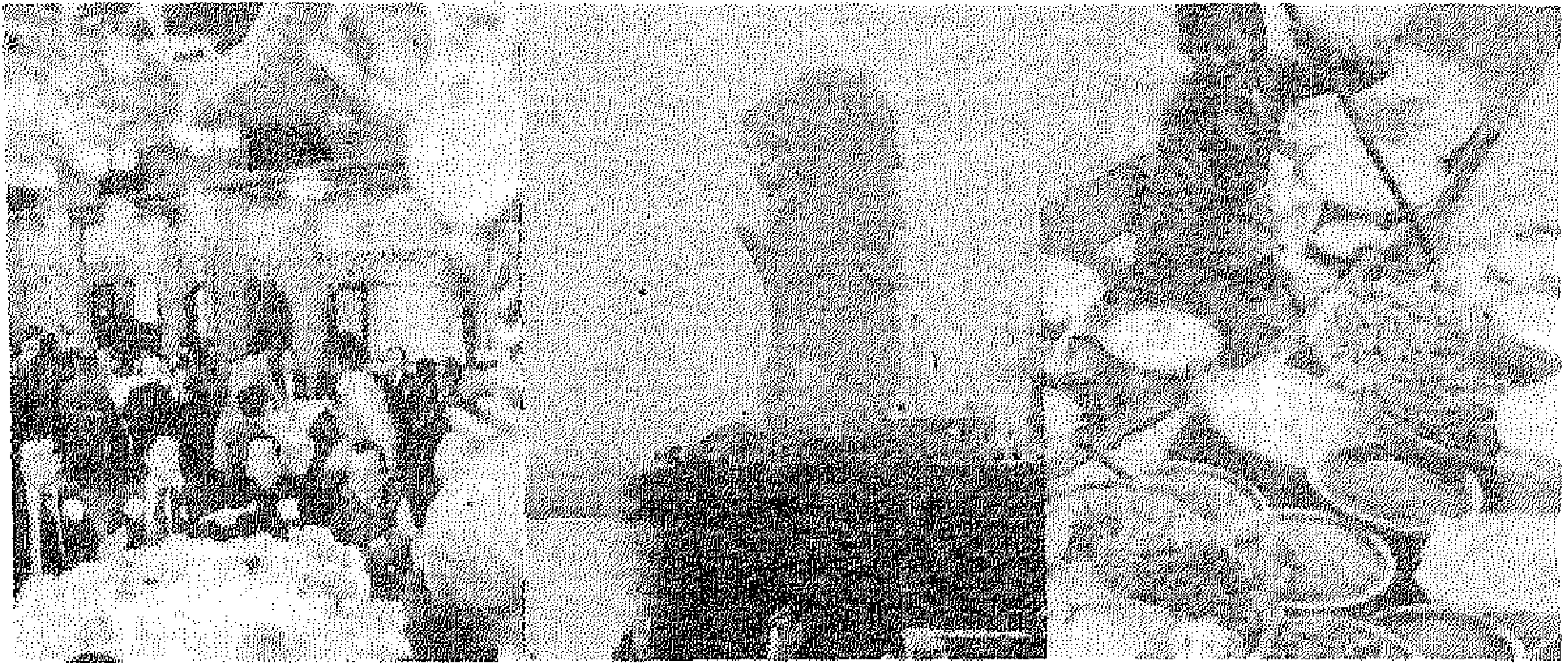
سكير

خاطب الطبيب مريضه بلهجة تنم عن فداحة الامر: "اذا اردت ان تنعم بعمر مديد، فكل تفاحة كل مرة تشعر بتوق الى كأس من الخمر". فأجاب المريض: "آسف يا دكتور، فأنا لا استطيع ان اهضم هذه الكمية كلها من التفاح".

ا.س.

رحلات كاثي باسفيك إلى الشرق الأقصى

رحلات من القلب إلى القلب، لأكثر مناطق آسيا سحراً وروعة





CX53

بانكوك/سنغافورة/هونغ كونغ

١٠٤٠ دولار أمريكي

١٤ يوماً و١٣ ليلة .. رحلة أسبوعين من اللهو والمرح
في ثلاث مدن آسيوية مشهورة ..
للتسوق والسياحة والليالي الساهرة ..

بانكوك/بتايا

٧٠٤ دولار أمريكي

٧ أيام و٦ ليالي بين روعة وهيبة معابد بانكوك المشهورة ..
وسوقها الأسطوري العائم .. وهدوء الطبيعة الساحرة في مصيف
بتايا، أشهر مصايف تايلاند الساحلية ..

بانكوك/مانيلا/هونغ كونغ

١٠٤٥ دولار أمريكي

١٤ يوماً و١٣ ليلة .. إن بانكوك وهونغ كونغ مكانان لابد لكل
سائح من زيارتهما إلا أن هذه الرحلة تشمل أيضاً مباهج مانيلا حيث
يجد الزائر متعة في شراء الهدايا بالثمن الذي يناسبه،
وحيث يستقبله الناس بكل بشاشة ومودة كما أن الانطلاق منها في
جولات خلوية في الأرياف سيزيد من قيمة وروعة هذه الرحلة.
ستجد وأنت على متن طائراتنا في كل هذه الرحلات كل ترحيب
وعناية وستحيطك مضيفاتنا المتعددات الجنسية واللواتي سيأتين
من ٩ أقطار مختلفة، بكل رعاية،
وبخدمة لا يقدمها غيرهن.

من صميم آسيا.

Hong Kong's discovery airline
CATHAY PACIFIC
The Swire Group



يمكنكم مراجعة الأسعار والحصول على كتيب الرحلات من أقرب مكتب لشركة طيران كاثي باسفيك

البحرين ٧٥٨٨٥٠ - الخبر ٨٦٤٢٧٢٧ - جدة ٤٦٢٢٥ - الرياض ٤٦٤٥٦٦١/٤٦٥٠٤١٢ - الكويت ٤٧٢١١٦ - الدوحة ٢٢٠١٨٢ - ابوظبي ٣٢٢٢١٠ - دبي ٢٢٤١٥٦ -
مسقط ٧٠٢٩٥٢ - بيروت ٢٦١٢٣٠ - دمشق ٢٢٨١٥٥ - عمان ٢٤٢٦٣ - القاهرة ٤٢٣٢٦



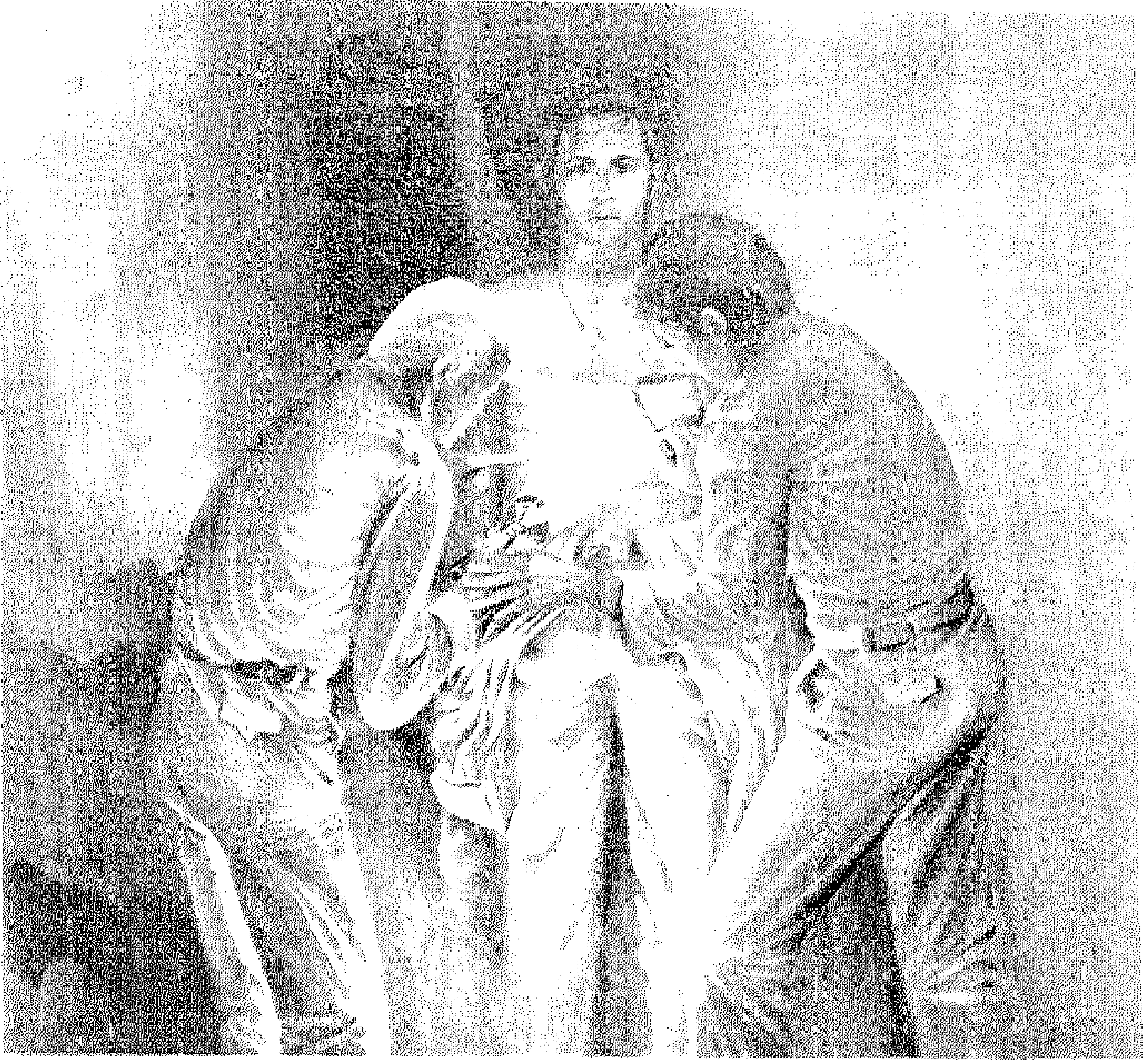
طبيب في قبضة إرهابي مسلّح:

أنا قنبلة موقوتة تمشي على قدمين

ثبّت مسلح قنبلة موقوتة فوق صدر طبيب وأنذره بنسفه اذا هو لم يدفع له في اليوم التالي، فدية مالية كبيرة، وقد تصرف الطبيب بشجاعة نادرة ساعدته على النجاة

استعان الدكتور مانويل كاباليرو، الطبيب النفسي الذي يبلغ الرابعة والثلاثين، بكل ما اوتي من شجاعة كي يبدو طبيعياً في الظاهر وهو يسير إلى بيته عبر شوارع مدينة أورينسي شمال غرب اسبانيا. وكان مظهره امام المارة لا يختلف عن مظهر اي شخص آخر من سكان المدينة الذين يبلغ عددهم ٩٠ الف نسمة: مجرد رجل منصرف الى شأنه في هدوء. فلم يكن هناك ما يدفع احداً إلى الشك في سره الرهيب، وهو تلك القنبلة الموقوتة المثبتة على صدره بالشرائط اللاصقة من غير ان يستطيع التخلص منها.

كان ذلك يوم ٥ يونيو (حزيران) ١٩٧٨. وكان كاباليرو، قبل نحو ساعتين، ذهب لمقابلة رجل غريب، قال إن اسمه جوليان رودريغز وقد اتصل به هاتفياً وادعى انه يريد مقابلته في شأن الاعلان المنشور عن بيع فيلا من حجر الصوان ذات ٣٠ حجرة، تملك والدة الطبيب الارملة جانباً منها. واتفق الاثنان على اللقاء



في الفندق حيث ينزل المدعو رودريغز.

كان الرجل الذي فتح باب الجناح الرقم ٢٠٢ في الفندق يرتدي ثياباً انيقة، ويتكلم بلهجة جعلت كاباليرو يظن ان الرجل مثله، من مقاطعة غاليسيا. ودخل الاثنان فوراً في موضوع العقار الذي تبلغ قيمته ٦٠ مليون بيزيتا (نحو مليون دولار). وابدى رودريغز اهتمامه بشروط البيع، ونهض من مقعده قائلا: "ساقدم اليك عرضاً". واختفى داخل غرفة النوم، ثم عاد بعد لحظات وقدم الى الطبيب النفسي ورقة مطوية قبل ان يدور ليقف خلفه.

وفتح كاباليرو الورقة وقرأ فيها العبارات الآتية مطبوعة على الآلة الكاتبة: "هذه سرقة بالاكراه. افعل ما اقوله لك لئلا تتعرض للخطر". وارتسمت على وجه كاباليرو شبه ابتسامة وادار رأسه نحو مضيفه، فرأى فوهة مسدس مصوبة نحوه من

مسافة متر فقط فلا مفر من التنفيذ.
وأمره رودريغز بان يركع على ركبتيه. ثم تغيرت لهجته فجأة إلى اسلوب من يخاطب شخصاً ادنى منه، واستطرد:"اسند رأسك الى المنضدة وضع يديك خلف ظهرك".
وسرعان ما وجد كاباليرو معصميه مقيدين بأنشوطتين من خيوط النايلون تم إعدادهما من قبل. وأمر رودريغز أسيره بدخول غرفة النوم حيث قيد كاحليه، ثم غشّى عينيه بشريط لاصق وفتح ازرار قميصه. وأحس كاباليرو بان رودريغز يضغط صدره بجسم صلب مربع الشكل. وفجأة ادرك حقيقة ما يحدث له: لقد اصبح آخر ضحية لنوع جديد من أساليب الخطف في اسبانيا، يطلق فيه المخطوف لكي يجلب فديته بنفسه بعد ان تكون ثبتت في جسمه قنبلة موقوتة.
بينما كان كاباليرو يفكر في مصيره، لف رودريغز حبلا حول عنقه وآخر حول اسفل اضلاعه، ووصل الحبلين بالقنبلة. وبعد ذلك لف المسلح حول ترقوة الطبيب بضع طبقات محكمة من الشريط الطبي اللاصق، غطى بها القنبلة والحبل الذي يدور حول اسفل اضلاع الضحية.

حذار الهرب - رفع رودريغز قطعتي الشريط اللاصق من فوق عيني الطبيب، ووضع امامه ورقة اخرى مطبوعة على الآلة الكاتبة، تنبئه بأن جسمه ثبتت عليه قنبلة، وتطلب دفع عشرة ملايين بيزيتا قبل الساعة الرابعة من عصر اليوم التالي. وتقرر ان القنبلة ستنفجر تلقائياً بعد فترة تراوح بين ٧٥ ساعة و ٩٠ ساعة من تثبيتها على جسم كاباليرو. واضاف النص:"ونحن الوحيدون الذين نستطيع رفعها من دون ان تنفجر". وفي حال ابلاغ الشرطة او عدم دفع المبلغ المطلوب، فسوف تتخذ إجراءات انتقامية ضد اسرة كاباليرو.
وسأل الطبيب وهو يجاهد للسيطرة على صوته:"هل هذا الشيء مأمون؟" فمد رودريغز يده ونقر القنبلة بشدة مرتين باصابعه وقال موضحاً: "إنها لن تنفجر قبل موعدها إلا إذا اصابتها صدمة بالغة. غير أن فيها ادوات استشعار خاصة تجعلها تنفجر إذا اصابها بلل، أو إذا فصلت عن الجسم أو نزع منها الحبل الملفوف حول الرقبة". وأضاف:"سأتصل بك هاتفياً في الثالثة عصر غد لأنبئك بمكان وضع الفدية. وعليك أن تبقى هنا حتى الثامنة، ثم تنصرف وتسدد أنت حسابي في الفندق". وكانت الساعة السادسة والنصف عندما غادر رودريغز جناحه في الفندق.
وبعد خمس دقائق، كان كاباليرو تخلص من قيوده غير المحكمة واخذ يفحص نفسه. وبدت له الكتلة الملصقة بجسمه أكبر قليلا من حجم علبة السجائر. ورأى وسط صدره وصلة سدادة بارزة فوق حافة الشريط اللاصق خيل اليه انها ميكروفون، وقال في نفسه: "هل هذا نوع من أجهزة التنصت؟ ترى هل يراقبونني عن طريقه ليكتشفوا اي محاولة مني لخداعهم؟"
وفي السابعة والدقيقة الاربعين مساء غادر كاباليرو الفندق وكاد ان ينهار من الرعب، وبلغ بيته بعد خمس دقائق. وبينما كانت يده تدير مقبض باب شقته الواقعة في الطابق

الخامس، كان رأسه يموج بخضم من الافكار المتضاربة:"إنني قنبلة موقوتة تسعى على قدمين! هل يصح حقاً أن أبقى قريباً من الناس؟ لعل الأجدر بي ان اخرج إلى الجبال حيث انتظر انفجار هذا الشيء اللعين! كلا، هذا جنون. لقد كان رودريغز واثقاً من انه لن يقع اي حادث عن طريق المصادفة. ومهما يكن الأمر، فربما كانت هذه القنبلة خدعة زائفة".

ووجد البيت خالياً من زوجته سيسي ومن أطفاله الثلاثة الذين تراوح أعمارهم بين الثالثة والحادية عشرة. واستبدت به الحاجة إلى الحديث مع أحد الناس، فذهب الى شقة قريبة يسكنها اعز صديقين له، وهما فيلكس وزوجته لورديس. وما ان اخذ كاباليرو يروي ما حدث له حتى جاءت سيسي في زيارة قصيرة للصديقين كعادتها. وحين رأت زوجها هناك سألته ببشاشة عن نتيجة اجتماعه بالرجل الذي عرض شراء البيت. واعلن كاباليرو بهدوء:"لقد كانت سيئة". ثم تنهد ونقر سترته باصبعه فوق المكان البارز، وقال:"لقد ثبتوا في جسمي قنبلة يا سيسي".

لا وقت للبكاء - أحست سيسي بالخدر يوشك ان يسيطر على كيانها كله، لكنها تمالكت نفسها بسرعة وهي تفكر:"إن زوجي يحتاج الى معونة، لا الى عويل".

وقص كاباليرو ما حدث بعبارات مختصرة، وأصر على ان يتفاهم الاربعة كتابة حول جميع الأفكار والتعليمات الخاصة برودريغز وبطريقة التعامل معه، موضحاً شكه في امر الميكروفون، اذ كتب لهم:"من الجائز ألا يكون هناك شيء، ولكن سنفترض انه حقيقي".

وخلال المناقشة المكتوبة التي اعقبت ذلك، انتهى هؤلاء إلى نتيجة واحدة، هي أن كل ما يمكنهم عمله هو ان يحاولوا الحصول على نقود الفدية. وبمعاونة صديق لكاباليرو له صلات وثيقة بأعيان مدينة أورينسي، وضعت الترتيبات لجمع مبلغ عشرة ملايين بيزيتا من المصارف فور فتحها أبوابها في الصباح.

وأصر فيلكس وزوجته لورديس على قضاء الليلة مع كاباليرو وأسرته. وعند ظهر اليوم التالي، عاد فيلكس إلى شقة كاباليرو يحمل حقيبة سفر من الجلد البني مليئة بنقود الفدية: اوراق مالية من فئة الألف بيزيتا (أقل من عشرين دولاراً). وفي الساعة الثالثة والدقيقة الخامسة والثلاثين عصراً رن جرس الهاتف.

وجاء صوت رودريغز يعطي تعليماته:"انطلق بالسيارة ٧٧ كيلومتراً غرباً على طول الطريق الرئيسية بين أورينسي وفيغو حتى تبلغ بلدة بوينيارياس. وبعد ثمانية كيلومترات أخرى، سترى نافورة مياه حجرية وراءها علبة بيرة فارغة فيها تعليمات أخرى".وكان على كاباليرو أن يذهب وحده، وأن ينتظر مكالمة اخرى قبل ان ينطلق في طريقه. وجاءت هذه المكالمة في الخامسة مساء.

وبعد ساعة، وجد كاباليرو مذكرة التعليمات الثانية خلف النافورة، وهي تأمره بوضع النقود تحت تشكيل صخري (يعرف محلياً باسم "صخرة بيتهوفن" لأنه على هيئة رجل يجلس

إلى بيانو) على مسافة ثلاثة كيلومترات عبر أرض شديدة الوعورة. وسار كاباليرو على قدميه متجهاً إلى المكان وهو يجد عناء في حمل الحقيبة التي تزن ١٥ كيلوغراماً، وسرعان ما أخذ يلهث بشدة. وكان شريط اللصق الضيق يضغط على صدره على نحو جعل اضلاعه تؤلمه، فيما كانت علبة القنبلة تحفر لحمه حفراً موجعاً. ثم بدأ يعرق، فتذكر تحذير رودريغز من انفجار القنبلة إذا اصابها بلل. وبعد ان مضى متعثراً نحو ٦٠٠ متر، شعر بأنه لا يستطيع، كما لا يجوز له، ان يستمر. واستبد به الغيظ والاشمئزاز، فعاد إلى السيارة.

تعليمات جديدة – وصل كاباليرو إلى بيته في الثامنة والنصف مساء وقد انهارت معنوياته. وبعد ثلاث ساعات رن جرس الهاتف، وجاء صوت المجرم عبره آمراً: "تكلم". ولانت لهجته قليلا حين سمع رواية كاباليرو، وقال: "سأحاول ان اجد مكاناً يسهل الوصول إليه. انتظر مكالمة أخرى".

وجاءت هذه المكالمة في الثالثة والنصف صباحاً، تنبئه بأن هناك تعليمات جديدة في علبة سردين فارغة سيجدها ملقاة الى جانب لافتة على الطريق تبعد ثلاثة كيلومترات عن وسط ميناء فيغو على المحيط الاطلسي.

وانطلق كاباليرو إلى المكان حيث قضى اكثر من نصف ساعة وهو يبحث في غسق ما قبل الفجر عن اللافتة حتى وجدها. وأنبأته المذكرة بأنه بلغ نقطة مراقبة للتأكد من أنه احضر الفدية، وأمرته بأن يتبع ممراً ضيقاً حتى يبلغ حقلا تغطيه الحشائش الطويلة، وهناك يضع نقود الفدية في حقيبة رياضية سيجدها أمامه وسط الممر. وعليه بعد ذلك أن يذهب إلى السيارة وينتظر ست دقائق، يرجع بعدها إلى الحقيبة ليأخذها، وهي ملأى بالنقود، إلى موقع نهائي يلقيها فيه بالقرب من مدينة اورينسي. وهناك يجد لفافة من رقائق الألومينيوم تحوي التعليمات اللازمة لمنع انفجار القنبلة الموقوتة ونزعها.

ونفذ كاباليرو التعليمات ووضع النقود في الحقيبة. وعندما عاد بعد ست دقائق وجد سحاب الحقيبة مثبتاً ببضع لفات من السلك. وبدت له الحقيبة خفيفة على نحو غير عادي وهو يحملها عائداً بها الى السيارة. وعندما تحسسها بيده اليمنى بدت له لينة بحيث لا تتناسب مع صلابة ملمس رزم الأوراق المالية.

وقال في نفسه: "لقد خدعت! إن رودريغز أخذ الملايين العشرة. ولكن ما الذي في هذه الحقيبة؟ من الجائز أنها قنبلة اخرى قد تنفجر على الفور!"

واستبد به مزيج من الغضب والرعب وتعالت دقات قلبه المتسارعة، فترك السيارة والحقيبة (التي وجد في ما بعد انها محشوة باوراق الصحف). وكان التعب قد هده من قلة النوم، وفقد من وزنه سبعة كيلوغرامات في يومين فقط، وامتقع وجهه بعد ان ملأته شعيرات لحيته غير المحلوقة. وأحس في صدره بألم لا يطاق نتيجة الضغط المستمر من علبة القنبلة.

وبعد ان بلغ كاباليرو حافة اليأس، وجد سيارة تاكسي. وقضى ساعات

يبحث عن هاتف غير معطل، حتى تمكن اخيراً من الاتصال بزوجته التي انبأته بان صديقيهما اقنعاها بإبلاغ الشرطة عن الواقعة. ففعلت، وكان شرطها الوحيد عدم فعل اي شيء يزيد من الخطر الذي يتعرض له زوجها. وقالت له إن فريقاً خاصاً من خبراء تعطيل المتفجرات قدم من مركز شرطة اقليم كورونيا واستقر ينتظره في أورينسي.

ووصل كاباليرو إلى إدارة شرطة أورينسي في التاسعة والدقيقة الأربعين صباحاً، حيث قابل اندريس وكارلوس(*)، الخبيرين المتخصصين في تعطيل المتفجرات وعضوي وحدة تعطيل المتفجرات التابعة للشرطة الوطنية.

وفي حجرة تحت الأرض وقف الخبيران يرتديان ملابس سابغة واقية من الحريق ودروعاً من ألياف الزجاج تحمي جذعيهما وخوذات من البلاستيك ذات أقنعة واقية شفافة لحماية الوجه. وأخذا يفحصان الشريط اللاصق الملفوف حول جذع كاباليرو، والتقطا صوراً عدة بالأشعة. ولم يفعلا شيئاً غير ذلك، إذا كانا ينتظران عودة رجال الشرطة الذين ذهبوا للبحث عن لفة رقائق الألومينيوم التي تحتوي على تعليمات تعطيل القنبلة التي وعد بها رودريغز.

وسرعان ما جاء الخبر: لم يجدوا اي تعليمات.

مبضع جراح — عندئذ انتقل الثلاثة إلى استوديو للتصوير في دهليز المبنى، وقع عليه الاختيار لأنواره الكثيرة القوية. وحرصاً على حرية الحركة، قرر الخبيران أندريس وكارلوس أن يخلعا ملابسهما الواقية كلها ويعملا بأكمام مشمورة.

وكان اندريس رجلاً ضخماً من أهالي غاليسيا، يبلغ من العمر ٣٦ سنة. وقد وقف يفرك ذقنه برهة ثم قال:"حسناً يا دكتور، هلا بدأنا العمل في هذا الشيء؟"

وسأله كاباليرو بقلق:"هل سبق لكما أن عطلتما جهازاً مماثلا؟"

فرد الشرطي بهدوء:"كلا". وعلق زميله كارلوس مازحاً:"إذا انفجر هذا الشيء فسنطير جميعاً إلى العالم الآخر".

وخفض كاباليرو عينيه المحمرتين، وهز رأسه قائلا:"لنبدأ".

وفي العاشرة والنصف صباحاً، أمسك أندريس بمبضع جراح وبدأ يقطع بخفة طبقات الشريط اللاصق الذي يغطي الكتلة المثبتة على ترقوة كاباليرو، فيما بقي الطبيب النفسي واقفاً.

وبعد قرابة ساعة من العمل الدقيق بالمبضع تم خلالها قطع بضع طبقات من الشريط اللاصق، قال اندريس بهدوء:"ها هنا شيء ما"، إذ كان مبضعه قد لمس جسماً شبيهاً بالزر يحتمل أنه فتيل تفجير. وإذا نزع عنه الشريط اللاصق وحرره، فقد يؤدي ذلك إلى تفجير الشحنة الناسفة.

واحتياطاً لوجود فتيل آخر في ظهر الجهاز، دفع كارلوس ببطء شديد شريطاً من البلاستيك الرقيق الصلب بين صدر كاباليرو والقنبلة، وقال له:"أمسك هذا الشريط بقوة، وادفع الكتلة كلها بعيداً عن جسمك".

وأطاع الطبيب النفسي وقد

---

* الاسمان مستعاران.

غمره،في لحظة التوتر تلك، شعور بالراحة لأن محنته قاربت على الانتهاء بشكل أو آخر. وأسرع كارلوس بشريط لاصق يثبت قطعة البلاستيك الصلبة بإحكام بالقنبلة، ثم قال لكاباليرو: "يمكنك ان ترخي يديك الآن". ولا يتذكر كاباليرو على الاطلاق رد فعله عندما قال له كارلوس ذلك. لكن كارلوس وأندريس يؤكدان ان أندريس كرر الطلب ثلاث مرات، الا ان كاباليرو ظل جامداً كالتمثال من غير ان يبدر منه اي رد فعل. واخيراً وخز أندريس الطبيب النفسي بطرف المبضع، فصحا فجأة من غيبوبته.

وبعد أن ازيلت جميع الشرائط اللاصقة، فحص الخبيران التوصيلات الظاهرة، وقررا ان الحبل الرمادي الملفوف حول رقبة كاباليرو ليس أداة للتفجير كما زعم رودريغز. وقال أندريس:"سنخلعه الآن". فجمد كاباليرو في مكانه ثانية بينما راح أندريس يجذب طرفي الحبل ببطء من ثقبيهما على جانبي القنبلة.

ثم جاء دور الحبل الملفوف حول صدر كاباليرو. فقد تولى الخبيران انزاله على مهل، وهو متصل بالقنبلة، حتى استقر على الأرض. وفي الساعة الثانية عشرة والنصف بعد الظهر - اي بعد ثلاث ساعات من دخوله ادارة الشرطة - خطا كاباليرو خارج حلقة الموت وأصبح حراً.

وفي موعد لاحق من اليوم نفسه، وضع الخبيران الجهاز في حقل خال خارج مدينة اورينسي وفجروه بوسيلة لاسلكية، بعد ان وضعوا فوقه غطاء كاتماً من الألياف الزجاجية وزنه عشرة كيلوغرامات، أطاره الانفجار إلى ارتفاع أربعة طوابق.

ويحاول كاباليرو اليوم ان ينسى محنته البشعة التي استمرت ٤٣ ساعة، ولكنها تركت في نفسه ندوباً عميقة، من آثارها (كما يعترف هو): "أنني اصبحت شديد الحذر من الغرباء". ولم يتم حتى الآن العثور على الرجل الذي يسمي نفسه رودريغز. كما ان كاباليرو يضيف بأسف: "علي ايضاً دين مقداره عشرة ملايين بيزيتا يجب ان اسدده".

غير ان للحادث، على رغم ذلك، جانباً ايجابياً. ذلك ان كاباليرو، من خلال تجربته الأليمة، اتاح للشرطة ان توضح عملياً انها ليست عاجزة عن التصرف حيال سلاح اجرامي جديد خطر. وهذه الحقيقة، في ذاتها، هي عامل ردع عن مثل هذه الجريمة.

ولعل افضل درس اسفرت عنه هذه التجربة هو ما يعبر عنه كاباليرو خير تعبير بقوله:"إن في هذه الدنيا أناساً على استعداد دائم لمد يد العون في الملمات. بل إن بعضهم - مثل اندريس وكارلوس - يقدمون ما هو اكثر من العون، إذ يعرضون حياتهم نفسها للخطر".

■ راوول ف. دو بارغا

سأل الملك سليمان نملة عن مدى حاجتها لطعامها من القمح خلال عام، فقالت: "اربع حبات"، فأعطاها الحبات الأربع وحبسها عاماً، ثم عاد فوجدها قد أكلت حبتين فقط، فسألها عن السبب فقالت: "خشيت ان تنساني، فأمنت نصف حاجتي للعام المقبل".

نزار عرنوق - طرطوس (سورية)

التفاهم الجنسي
ضمان اكيد
للسعادة الزوجية

هل تتجاوب مع زوجتك او هل تتجاوبين
مع زوجك وتبثان على موجة جنسية واحدة؟
اذا شئت ان تصفو الاجواء بينكما
فاليك ببعض نصائح الخبراء في هذا الصدد

☐ عاد وليد الى منزله بعد انتهاء عمله اليومي فوجد زوجته ناهد مرتدية ثوبها الانيق الطويل، ورحبت به بعناق حار، وقالت انها اعدت له وجبة الطعام التي يفضلها والتي رأت ان تقدمها اليه في ضوء الشموع. وبدلا من اطراء زوجته على معروفها وجهودها، رد عليها وليد على نحو غاضب بتقطيب الجبين.

☐ تغلب التعب على سهيلة فاسرت لزوجها وحيد بأن الاعياء يضطرها الى النوم باكراً فتمنى لها ليلة سعيدة، وجلس هو يتابع النشرة الاخيرة للانباء على التلفزيون. وفي صباح اليوم التالي، لم يبد ان سهيلة استفادت من فترة نومها الاضافية، بل على النقيض من ذلك اخذت تتلوم بحدة على زوجها لانه نسي اعادة معجون الاسنان الى مكانه في خزانة الادوية.

فماذا دهى يا ترى وليد وسهيلة وحملهما على مثل هذا التصرف، فاضطربت المؤشرات الجنسية بالنسبة الى كل منهما وفقدت مدلولها الحقيقي.

الدكتور مارك برنشتاين المدير التنفيذي لمجلس العلاقات الزوجية

في مدينة فيلادلفيا يجيب مفسراً: "كان وليد يتلقى اشارات لم ترد عليه في الواقع بينما سهيلة كانت تبث اشارات لم يتسلمها صاحبها"

اعتقد وليد ان العشاء المتقن الذي اعدته زوجته كان جزءاً من مخطط لاستدراجه الى الجماع، فاثار ذلك حنقه لسببين: اولا، انه امضى يوماً حافلا بالعمل في المكتب ومن ثمّ لم يبق له مزاج للمغازلة، ثم انه كان يمقت التلاعب به على هذا الوجه.

ويقول الدكتور برنشتاين: "لقد كان وليد على خطأ في افتراضه، لان العشاء بحسب رأيه، كان بادرة طيبة من قبل ناهد نحو زوجها، ولم يكن ابداً محاولة لاغوائه. فقد لاحظت ناهد ان وليد كان منهك القوى، واملت في ان يكون العشاء الفخم مصدر راحة بالنسبة اليه.

واما سهيلة فقد كانت ترغب في الجماع مع زوجها في تلك الليلة وكانت تستهدف من ذهابها باكراً الى الفراش ان توعز اليه بذلك. لكن زوجها اخطأ فهم بادرتها وظن ان سهيلة قد هدّها التعب، وكانت النتيجة انها شعرت بالمهانة والاهمال فثارت.

الموضوع الحساس – يتفق خبراء الزواج على عدم استغراب مثل هذا الانهيار في العلاقات الجنسية بين الزوجين. ويقول عالم النفس اريك ريس مدير معهد استقصاءات الزواج: "ان مسألة الجنس موضوع شخصي حساس للغاية. وتتباين المواقف ازاءه، اذ ان الامزجة لا تتوافق دائماً وان المرء يشعر احياناً بأنه مهدد في صلب كبريائه. وليس من المستغرب بالتالي ان يدب الشقاق احياناً بين الزوجين، حتى الاكثر انسجاماً مع بعضهما بعضاً، بسبب عدم تفهم احدهما نية الاخر".

ويحدث ان معظم المتزوجين يعبرون عن رغباتهم الجنسية بالتلميح او بكلمات اصطلاحية او بتصرفات رمزية، "ولا حرج في ذلك – كما يقول ريس – وانما ينبغي للازواج والزوجات الذين يتبعون مثل هذه التصرفات ان يعلموا كم يسهل على الآخرين عدم ادراك مقصدهم، او سوء تفسيره او مجرد التقصير عن تحقيقه". ويشير ريس على الزوجين بالنصيحة الآتية: "اختر او اختاري المؤشرات التي يمكن تمييزها بوضوح على انها توطئة للنشاط الجنسي المطلوب، كارتداء ثوب معين او ابداء نحنحة خاصة او التحدث عن مكان مفضل، او اي شيء يميزه الطرفان ويتقيدان به".

وينصح ريس الازواج والزوجات بعدم كتم رغباتهم او رغباتهن خشية امتناع الطرف الآخر عن التجاوب معها. فهو يحث الزوج صاحب الرغبة على ان يبادر هو بالتلميح لشريكه الى هذه الرغبة، والامر لا يعدو ان يكون ضرباً من المجاملة والاطراء، مما يبعث على اشباع غرور الطرف الآخر في معظم الاحيان ويحمله في النهاية على رد التحية بمثلها، ولو انه ابدى تمنعاً في بادىء الامر.

واما الذين لا يستطيعون او لا يحفلون باظهار الاشارات الجنسية المفهومة، فلا تقل مشكلتهم عن مشكلة اولئك الذين لا يستطيعون او لا يحفلون بادراك مثل تلك الاشارات

وتفهمها. ويقول الدكتور برنشتاين في هذا الصدد: قد يكون تجاهل تلك الاشارات في بعض الحالات امراً مقصوداً، وقد يفضل احد الشريكين ان يتجاهل "النداء" بدلا من ان يرد عليه بالرفض الصريح. وقد يعود ذلك الى كون احدهما مستاء من شيء آخر، فيجد له في حل شريكه متنفساً لانفعاله. ومثال ذلك، الرجل وزوجته اللذان يتشاجران على مائدة العشاء ثم تمضي الزوجة الى الفراش بقصد "اصلاح" ما فسد بينهما لكن الزوج الحانق يتجاهل مقصد زوجته ويؤثر البقاء عمداً في غرفة الجلوس مسمراً رأسه في احدى قصص التجسس.

تقول الدكتورة افودا اوفيت المحللة النفسية. والاختصاصية في علاج الحالات الجنسية: "ان هذا النوع من مقاطعة الشريك لشريكه امر مضر بالصحة الزوجية، والافضل للزوج ان يفاتح زوجته بموضوع الخلاف والعمل على جلاء الغمامة بينه وبين زوجته بدلا من ان يقيم حاجزاً لا يتأتى منه سوى تفاقم الامور بينهما".

وتحث الدكتورة اوفيت الطرفين على التخطيط والتمهيد للقاءاتهما الجنسية. وهي ترى في انهماك الرجل والمرأة في اعمالهما اليومية الروتينية من اجل لقمة العيش او لتدبير شؤون المنزل، ما يحول في الليل دون تحولهما بسهولة الى عاشقين ولهانين. وتقول الدكتورة اوفيت ان اتفاق الزوجين على موعد معين للجماع يشجعهما على التأهب نفسياً لذلك اللقاء. وهي ترى في "توقع" اللقاء ما يزيد من الاستمتاع بلحظاته.

وهناك كثرة من المتزوجين يخفقون في الاستجابة او يستجيبون من دون حماسة للاشارات الجنسية الصادرة عن شركائهم او شريكاتهم وذلك لعدم استحسانهم او استحسانهن لتلك الاشارات. والطرف الذي يأنف الاشارات الجنسية التي يستخدمها شريكه يحار عموماً في طريقة حمل شريكه على تغييرها. وتقدم الدكتورة اوفيت الحل في هذه الكلمات: "لا تنتقد الاشياء التي تأنفها بل ركز على الاشياء التي تفضلها".

المداراة ضرورية - يعتقد الدكتور برنشتاين ان الزواج يستفيد من مفاتحة الطرفين احدهما للآخر بين حين وحين، في شأن مؤشراتهما الجنسية المفضلة. وهو ينصح بعدم التعرض للمصطلحات المتعارف عليها سابقاً، ثم يقول: "ما لم تكن متأكداً من ان عبارة" لدي صداع" تعني "ليس الليلة"، فلا تفترض ان معناها هو ذلك". ويرى ان الاطراف الذين يتسترون وراء مثل هذه الصيغ المبتذلة احرى بهم ان يبحثوا عن طرق اخرى اقل تعقيداً للاعراب لشركائهم عن حقيقة شعورهم. فهو ينصح باتباع طريقة للاعتذار لا تجرح الشعور، كأن تقول: لا اعتقد انني سأكون عاشقاً بارعاً هذه الليلة، على ان تعقب ذلك بشرح موجز مثل: "لقد انهكني الاطفال اليوم" او"كان اليوم عصيباً في المكتب"، اذ ان من شأن ذلك المساعدة على جلاء الموقف.

ويشدد الدكتور برنشتاين في الوقت نفسه على ضرورة افهام الشريك الممتنع لشريكه ان هذا

الامتناع هو موقت فقط، وذلك بمثل هاتين العبارتين: "لماذا لا نجرب في الصباح؟" او "لنتفق على الليلة التالية"، اذ ان ذلك يعني انك لا تتأبى الجماع ولكن ليس في ذلك الوقت بالذات.

وبالنسبة الى الزوجين اللذين يرغبان في تحسين مصطلحاتهما الجنسية، تقدم الدكتورة اوفيت النصيحة الآتية: جرب الكلمات البسيطة مثل "اشعر" كأن تقول "اشعر بأني اود ان اضمك الى صدري" او "اشعر بأنني حميم قريب منك". وتقول الدكتورة اوفيت "ان اي اختلاجات يستطيع الشريك ان ينقلها الى شريكه — من الشعور بالاسى لقصر الحياة الى الشعور بالغبطة للاستيقاظ معاً في الصباح — من شأنها توثيق الرابطة الاساسية التي تحفز الزوجين على التقارب الجنسي الحميم".

ولا شكّ في ان الزوجين اللذين يجدان الحلّ الملائم لمشكلة التفاهم الجنسي بينهما، لا يقويان على تضييق رقعة التباين في علاقاتهما الزوجية فحسب، بل ينعمان ايضاً بالمزيد من رفاهية المتعة الحسية، وتقول الدكتورة اوفيت: "كثيراً ما تكون اللهجة البدائية في الاعراب عن رغبة الجماع دليلا على مدى الاستمتاع به. فاذا استطاب كلا الطرفين لهجة البداية، طابت لهما كذلك عذوبة الجماع اللاحق".

■ **اليس فليمنغ**



العدوانية والمجتمع المعاصر

يقول الكسندر ميتشرليخ، المحلل النفسي في مدينة فرنكفورت الالمانية: "ان المجتمع المعاصر لا يهيىء منافذ كافية لجعل النزعات العدوانية عديمة الضرر".

مجلة "سيدتي"، المانيا

مهنة مربحة

روى ماريشال الأركان جان سماتس الحادث الآتي الذي وقع خلال حفلة عشاء في البيت الأبيض الامريكي عام ١٩٤٦:

خلال حرب البوير جاء ونستون تشرشل الى جنوب افريقيا كمراسل صحافي. لكنه ارتكب خطأ اوقعه في الاسر مع كتيبة جنود بريطانيين. وثار سخط تشرشل لأن البوير لم يميزوا بين صحافي وجندي. وظل صوته يلعلع بانه مراسل وان لديه بالتالي حصانة ضد الاعتقال. ثم التمسني موجها بعض الكلمات التي احسن انتقاءها وهو في معسكر السجن.

وعلى الفور لجأت الى وسائلي الخاصة لكي اطلق سراحه. لكنه نجح في الفرار قبل ان احقق ذلك قانونيا. والتقيته بعد سنوات في مناسبة رسمية وذكرته بالحادث، فقال لي: "لو لم تكن خطواتك بطيئة جدا، لخسرت تسعة آلاف جنيه".

فسألت: تسعة آلاف جنيه؟

— نعم، فقد كتبت قصة هروبي وبعتها في مقابل هذا المبلغ.

لسلي فريون كتاب "المنكت الخالد"



تأملات معاصرة

حذار انحدار اللغة

ان احد اكبر مصادر الازعاج التي تواجهنا اليوم هو الانحطاط المتزايد للغة من حيث ابتذالها من جهة وافسادها بالرطانة الاكاديمية من جهة اخرى.
ان هذا لأمر خطير. ذلك ان حضارة تفقد السيطرة على لغتها انما تفقد السيطرة على واسطة الفكر. ومن دون هذه الملكة، لا يمكن ان تكون هناك دقة في التفكير ولا عظمة.

هـ.ب.

اخطار الحياة الجماعية

لا حياة جماعية من دون اخطار. فحتى الحياة الفاضلة لها اخطارها المجسدة في المثل القائل: "الزوجان اللذان يذهبان باكرا الى الفراش بقصد توفير الشموع، ينتهيان بانجاب التوائم".

اللورد روتشيلد

التراب والماء

على رغم ادعاءات الانسان الفنية وسعة ثقافته وانجازاته الكثيرة، فهو مدين بكل وجوده للتراب والمطر: يأكل من الواحد ويشرب من الآخر.

رسالة بلا توقيع

المناعة

ان سور الصين العظيم بناء هائل كلف مبالغ طائلة من المال وحين تم بناؤه بدا في غاية المناعة. لكن العدو استطاع فتح ثغرة فيه لا بهدمه ولا باختراقه، بل برشوة حراس السور.

هـ.ا.ف.

حل المشاكل

لاحظ كاهن ان قسماً كبيراً من وقته يتجه نحو تقديم النصح الى اناس يبحثون عن راحة البال. فحاول حل المشكلة عبر تخصيص موعد لاحق للقاء موسع. وكنت تجد في هذا اللقاء عشرة اشخاص او اكثر اجتمعوا في صالة الانتظار، اذ انه تعمد تحديد مواعيد للقائهم جميعا في اليوم ذاته وفي الساعة عينها. وعند ذاك يدلف الكاهن الى صالة الانتظار ويبلغهم ان طارئا ما قد حدث، وانه يطلب العذر منهم لانه سيتغيب فترة تناهز الساعة، ويقترح عليهم تبادل الحديث في اثناء غيابه.

واذ يعود، كان يجد ان الصالة خالية باستثناء شخص واحد طلب منه الآخرون البقاء لكي يشرح اسباب خروجهم. ذلك ان كلا من المنتظرين تعرف الى ما يقلق الآخرين، فاكتشف ان مشكلته لم تكن بذلك المقدار من السوء.

رالف ل. وودز

النقد الذاتي

مراجعة الذات هي كيفية فهم الاخطاء التي كان يمكن تلافيها ببعد النظر.

هربرت دانييلز

اذا كان العلم لم يتوصل بعد الى تفسير الوظيفة المدهشة للذاكرة فان هناك شيئاً متفقاً عليه وهو: توافر الطرق لتحسينها

الذاكرة متى تضعُف وَماذا يقوّيهَا

ثمة رجال من كبار المسؤولين يتميزون بذاكرة خارقة تثير الدهشة والاعجاب في نفوس زملائهم، ومن بين هؤلاء مدير احدى شركات صناعة الصلب ورئيس مجلس ادارتها، البالغ من العمر ٥٥ عاماً، فهو يستطيع قراءة نص خطبة مرة واحدة ثم يلقيها بحرفيتها تقريباً من دون ان يعتمد على اي مذكرات. وهو يعرف عدة آلاف من الموظفين بأسمائهم، كما يمكنه ان يستأنف مع ايهم الحديث الذي توقف عنده قبل ذلك بعام كامل.

وهناك مدير لاحدى دور المعاملات التجارية لا يتجاوز السابعة والثلاثين، يعتقد ان في استطاعة المرء، وهو في غمرة الشغل، ان يتذكر زبائنه واحداً واحداً، وان بلغ عددهم الفاً كل يوم.

وكثيراً ما يعلق مرؤوسو امثال هؤلاء الرجال على مقدرة رؤسائهم فيقولون: "لا ندري كيف يستطيعون ذلك". والواقع انه، حتى العلماء انفسهم لا يستطيعون تفسير ذلك. فهم لا يزالون يجهلون ما اذا كانت ذاكرة الانسان كيميائية ام كهربائية، وما اذا كانت تحتوي على مساحة غير محدودة لاختزان المعلومات، ام انها تحتاج الى غربلة مستمرة لتوفير المكان للمستجد من المعلومات. بل انهم يجهلون حتى الموضع العيني من الدماغ الذي تتجمع فيه التذكرات.

دماغ ذو ذاكرتين ـ لكن هذا لا يعني ان العلماء ينفقون الوقت عبثاً، فهم عملوا على بناء دماغ الكتروني متقن يماثل "الذاكرة العرضية" التي تستوعب حدثاً من الاحداث المترابطة في الحياة الواقعية، كالاسماء، والوجوه والتواريخ، و"ذاكرة الدلالات اللفظية" التي تستوعب المجموعات المتكاملة من المعلومات، مثل اللغات

والرياضيات واساليب قيادة السيارات. وقد اوضح العلماء بالرسوم البيانية الفروق بين الذاكرة "القصيرة الاجل" والذاكرة "الطويلة الاجل". كما اجروا مقارنات مجهرية بين دماغ الجنين المتكون قبل الولادة والدماغ الذي بلغ صاحبه سن الشيخوخة. كذلك هم اجروا بعض التجارب الفاشلة لزرع ذاكرة مخلوق حي في دماغ مخلوق آخر. ولئن عجزت جميع هذه التجارب عن ايجاد تفسير عام حاسم للذاكرة الا انها قد تسببت في استكشاف عدد من الامور الخفية.

□ من الناحية البيولوجية، يبدو ان التقدم في السن اقل اثراً مما يعتقد حتى الان، في ما يتعلق بضعف الذاكرة. الا ان تزايد حصيلة المعلومات ربما افضى الى تزايد التنافس بين الذاكرتين الجديدة والقديمة. ومثال ذلك ان سائق السيارة الجديدة ينزع الى البحث عن الكابح اليدوي حيثما كان في سيارته القديمة.

□ ان ضعف الذاكرة يتفاقم بسبب الخوف من الفشل. فتحاش اذاً الوقوع في الذعر. وكثيراً ما يحدث ان تهتدي الى الاسم او الرقم التائه عن ذاكرتك، بالاعتماد على مقدار اقل من الالحاح.

□ قد تتنبه الذاكرة بمجرد الضغط على الجسم لحمله على افراز منبهات كيميائيةللدماغ. ولكن اذا تكاثر هذا الضغط فقد يتسبب في مجموعة من اعراض الذعر التي تنتاب التلميذ ازاء الامتحانات النهائية، وتبعث فيه الارتباك فيعرقل عملية الادراك لديه.

□ ربما ادى تغيير البيئة الى نقص ظاهري في الذاكرة، كالارتباك العارض، الذي يحول دون معرفتك لطبيبك الخاص اذا ما قابلته على غير توقع في المطار.

وما زال الانسان منذ عصر اليونان الذهبي يسعى الى ابراز سر الذاكرة. فقد وصفها افلاطون بانها "مسبكة من الشمع الصقيل"، تتلقى انطباعات الخواطر والاحاسيس فتسجلها وكأنها تحفر فيها بمنقش. ويسلم معظم العلماء اليوم بشكل او آخر بما يدعى "نظرية لوحة مفاتيح الذاكرة". فهم يعتقدون ان العشرة مليارات خلية عصبية التي يتكون منها دماغ الانسان، تترتب على شكل دارات كيميائية كهربائية مترابطة يطلقون عليها اسم "انغرامات" (نسبة الى الاثار التي تخلفها في الدماغ) والسبيل الذي يتبعه كل "انغرام" منها هو ذاكرة. وفي استطاعة كل واحدةمن الخلايا العصبية ان تتسبب في اشعال او اطفاء عدد لا يحصى من الانغرامات، اسوة بالمصابيح الكهربائية المتعاقبة في لوحات الاعلانات والتي تضاء وتطفأ بحيث ترسم كلمات وعناوين مختلفة. ولكن المشكلة هي ان احداً لم ير اطلاقاً انغراماً واحداً حتى الآن.

وعلى نقيض ذلك، فقد استطاع العلماء منذ سنوات عدة مراقبة وفحص آلاف الخلايا العصبية الموجودة في الدماغ، ووجدوا ان الخلية العصبية تتكون من نواة ومحور عصبي تتولى اطرافه المتعددة نقل الرسائل الكيميائية الى الاعصاب الاخرى، كما تشتمل على عدد من هوائيات الاستقبال هي الزوائد المتفرعة من الخلية العصبية.

وتسمى الفجوات التي تفصل بين الخلايا العصبية مواقع التشابك العصبي. ويعتقد العلماء ان سر

الذاكرةوالتعلم يكمن في العمل الجزيئي الذي يحدث في مواقع التشابك العصبي.

تغذية الذاكرة ـ وقد اجرى جيمس ماكغاو، الاختصاصي في علم النفس في جامعة كاليفورنيا في ايرفين، تجارب في هذا المجال مستعيناً بالعقاقير المقوية للذاكرة (ومنها الكافيين) والتي من شأنها تضخيم الاشارات المتبادلة بين الخلايا العصبية. وتوصل بفضل هذه التجارب الى اثبات امر كان يشتبه به بعض العلماء،، وهو ان حالات الرعب او الابتهاج الشديد تبعث على رفع درجة الانفعال الذي تسببه التجربة، وبالتالي فانها تتسبب في افراز مواد كيميائية تقوي الترابط بين مواقع التشابك العصبي فتطبع في الذهن ذاكرة حادة وثابتة.

ويدرس الدكتور ريتشارد فورتمان في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا امكان الاعتماد على بعض النظم الغذائية المعينة كوسيلة لتقوية الذاكرة. وقد اكتشف ان مادة "الكولين"، التي تتوافر في البيض وفول الصويا والكبد، تمتص مباشرة من مجرى الدم وتتوجه الى الدماغ حيث تتحول الى مادة "الاسيتيلكولين"، وهي عبارة عن جهاز ارسال كيميائي ينقل الاندفاعات العصبية عبر مواقع التشابك العصبي. وثبت في الواقع ان ادمغة الاشخاص المصابين بفقدان شديد للذاكرة تفتقر الى الكمية الكافية من الاسيتيلكولين، مما يحمل على القول بأن تزويد هؤلاء الاشخاص بكميات صافية ملائمة من تلك المادة قد يكون له تأثير ايجابي في علاج العجز الذي يعانون. ويأمل الدكتور فورتمان في ان يكون للنظام الغذائي، دوره المهم في تحسين الذاكرة.

ومن المعلوم، منذ زمن طويل، ان الاسراف في الشراب على نحو مزمن يضعف الذاكرةحتى الاضمحلال، بل ان الشرب في المناسبات الاجتماعية من شأنه ايضاً اضعافها اذ ان الكحول تؤثر على قدرة الدماغ على انتاج البروتيينات، وهي المادة الاساسية لتكوين الخلايا العصبية. ولئن تكن الخلايا العصبية لا تتوالد من بعضها البعض، بحيث يتعذر تجديد اي جزء من نسيج الدماغ يفقد بتأثير المرض او الاصابات الطارئة، الا ان البروتيين الذي تحتوي عليه تلك الخلايا لا ينفك عن النشوء والاضمحلال ويمكن القول ان دماغاً جديداً يتكون لدى الانسان كل شهر، ولكن بالخلايا والانفرمات ذاتها.

وهناك بعض الباحثين من اختصاصيي الدماغ يعملون على تحسين الذاكرة باستخدام العقاقير والاعتماد على نظم التغذية المؤاتية، ويتجه البعض الآخر الى اتباع طرق غير هذه تمكيناً للدماغ من تأدية وظيفته الى اقصى الحدود. ويؤكد اصحاب الخبرة من علماء النفس "ان الذاكرة شبيهة بالعضلة، يلزمها تمرين للاحتفاظ بعافيتها".

المراحل الثلاث ـ ويقسم هؤلاء العلماء عمل الذاكرة ثلاث مراحل هي: التسجيل والتعزيز والتذكر. ففي المرحلة الاولى، يعتبر الانتباه شرطاً اساسياً للحصول على معلومات جديدة

"ولكن الواقع يقضي حسب قول توماس لاندوير العالم النفسي في مختبرات بيل في موري هيل (ولاية نيوجيرسي) بالا تتوقف عند حدود تعرضك للحادث كي يظل راسخاً في ذاكرتك. فعليك ان تحاول الانفعال به وارساخه بطريقة ما". وهو يعتقد ان تكرار المعلومات مراراً بعد تلقيها مباشرة امر لا يسفر عن نتيجة راسخة. ومثال ذلك ان التكرار يساعد الشخص على تذكر رقم الهاتف لوقت كاف يتيح له ان يدير القرص، ولكن ليس لمدة طويلة بعد ذلك.

أما من اجل الاحتفاظ بالمعلومات على نحو دائم، فيوصي لاندوير بما يسميه "التمرين على فترات منتظمة" اي ان تتخلل التكرار فترات راحة. وهو يؤكد ان كل فترة تمرين تخلق ذاكرة جديدة يمكن خزنها في مكان مختلف. اما في ما يختص بتذكر القوائم فان لاندوير ينصح بالتصنيف. ومثال ذلك انه يجب على ربات البيوت اللائي يذهبن للتسوق ان يفكرن في الخضر، فاللحوم، فالالبان، كل على حدة. وقد تمّ في الاعوام القليلة الماضية تصميم طرقتسلسل مترابطة لمساعدة ضعيفي الذاكرة، وهي تعتمد جميعها على الاقتران والترابط في الذاكرة بين الشيء الذي نحاول ان نتذكره وشيء آخر سبقت لنا معرفته. ومثال ذلك ان الاطفال يستطيعون رسم خريطة ايطاليا بسهولة لكونها مقترنة في ذهنهم بشكل الحذاء.

معلومات تفرح الشيوخ ـ وقد اتى الباحثون بمعلومات تثلج قلوب الشيوخ الذين يخشون ان يفقدوا ذاكرتهم، ذلك ان دماغ الانسان يحتفظ بمرونته وقدرته على الاستيعاب الى مرحلة متقدمة من السن شرط ان يبقى الشخص المعني مهتماً بذاكرته. فقد اجرى الدكتور ارنولد شايبل الذي يعمل في معهد بحوث الدماغ في جامعة كاليفورنيا في لوس انجليس، دراسات مجهرية على ادمغة عدد من المسنين بعد وفاتهم بساعات قليلة، فلم يتضح التدهور الخطير في مواقع التشابك العصبي الا في حالات الخرف الشديد.

ومن جهة اخرى فقد افادت التجارب التي اجريت على الفئران ان التي تعيش منها في البيئات الناعمة بالحركة والالعاب تعاني تدهوراً في مواقع التشابك العصبي اقل من الفئران التي تعيش في حال السكون. فقد وجد الدكتور شايبل، من خلال هذه الدراسات وتلك التي اجراها بنفسه، ان تنمية المهارات الجديدة ـ كتعلم لغة اجنبية او العزف على آلة موسيقية او الاضطلاع بمسؤوليات اجتماعية جديدة ـ من شأنها الحد من تدهور الذاكرة لدى المتقاعدين عن العمل.

ومن يدري، فقد يكون للنسيان بعض الفوائد، كأن يخفف من وطأة المآسي على الذين يتقدمون في السن في مجتمع متجدد الشباب، او ان يخفف من ازدحام الذاكرة بالمعلومات. ولكن على اي حال، فحتى اكثر التذكرات انطباعا قد يحدث لها احياناً ان تكون كالزئبق، فتتلاشى فجأة وكأنها تتقلص في الهواء.

■ روي روان

فندق السعادة

قصة واقعية عن عاشقين شابين
جمعتهما لمسة سحر في اشهر فندق في العالم

ذات ليلة ماطرة من اكتوبر (تشرين الأول) قبل ثلاثين عاماً، جلست في غرفتي في الاكاديمية البحرية في انابوليس (ولاية ماريلاند الامريكية) اجيل النظر في احد دروس الملاحة وافكر في جين. لقد قابلتها في شيكاغو في اغسطس (آب) الماضي واغرمت بها، وافترقنا بعد ثلاثة ايام فعدت الى انابوليس لأحيا في عالم الانظمة والقوانين، وتركتها بين اسراب الشبان الراغبين في الزواج. يومها بدا لي كل شيء كئيباً. ثم تفتح الافق عن بارقة امل. كانت جين قادمة الى فيلادلفيا لحضور المباراة السنوية في كرة القدم بين الاكاديمية البحرية والاكاديمية الحربية في وست بوينت (ولاية نيويورك) خلال نوفمبر (تشرين الثاني) وتلك مصادفة جيدة،



وقد شاء عمي وزوجته ان يدعوانا نحن الاثنين الى قضاء نهاية الاسبوع معهما في نيويورك. واذا كان هناك ثمة امل لي، فعلي ان اجعل من عطلة نهاية الاسبوع هذه حدثاً لن تنساه مدى الحياة. وازحت كتبي جانبا وكتبت الرسالة الآتية:

"السيد المدير،

"فندق والدورف - استوريا،

"مدينة نيويورك - نيويورك.

"سيدي الكريم

"يوم السبت في ٢٧ نوفمبر (تشرين الثاني) أتوقع ان اشق طريقي بين اعضاء فريق اكاديمية وست بوينت الحربية لكرة القدم، لعلي احظى بمقعد في مدرج البلدية حيث تجلس فتاة في

انتظاري. ثم نمضي معا الى محطة السكة الحديد، فنستقل القطار الى نيويورك. وعندما نصل اليها سنتوجه في سيارة تاكسي الى فندقكم.

هنا، سيدي الكريم، تدخل انت وفندق والدورف - استوريا في سياق الاحداث.

"اني متيم بهذه الفتاة، لكنها لم تصرح لي بعد بأنها تبادلني الحب. ونظرا الى اني حبيس هذا الدير العسكري، فقلما تتاح لي الفرصة لاستمالتها. لذا فلا بد من ان تكون امسية السبت اروع الامسيات وانسبها لأني سأبلغها اعتزامي الاقتران بها.

"اود الحصول على مائدة ممتازة تضيئها الشموع وتلمع صحاف الفضة فوق غطائها الناصع البياض. اريد ان يكون النبيذ وطعام العشاء افخم ما توصل اليه كبير الطباخين. وعند منتصف الليل تماما، اود ان تعزف الاوركسترا نشيد البحرية عزفاً رقيقاً حالماً، لأني في تلك اللحظة سأطلب يدها.

"وكم اكون ممتنا لكم اذا تكرمتم بتأكيد هذه الترتيبات واشعاري بالقيمة التقريبية للتكاليف. وأنا، في الحقيقة يا سيدي، لم اقو على جمع ثروة من راتبي الشهري الذي لا يتجاوز ١٣ دولارا، ولو اني ادخرت منه بعض الشيء.

المخلص

أ. س. اينس

تلميذ بحري في اسطول الولايات المتحدة"

مع تحيات بوسيدون ـ ما ان القيت بكتابي في صندوق البريد حتى ندمت على ارساله. لقد كان ينضح غروراً ووقاحة. فما هم المشرف على اشهر فندق في العالم من غرام تلميذ بحري مغمور؟ سيكون للرسالة مصيرها الذي تستحقه: ان تلقى في سلة المهملات.

ومضى اسبوع وبعده آخر، ونسيت امر الرسالة. ورحت احاول ايجاد طريقة اخرى لاقناع جين في غضون ٣٦ ساعة بمشاركتي في بقية حياتها. ثم جاء صباح وجدت على مكتبي رسالة تحمل شارة فندق والدورف - استوريا، ففضضتها على الفور وقرأت:

"عزيزي التلميذ البحري اينس،

"كانت رسالتك اللطيفة موضوع اهتمام العاملين في فندقنا. واني ارفق بجوابي، على سبيل الفكاهة، ما اقترحه رئيس طهاتنا الشهير رينه بلاك للعشاء:

- كافيار سمك الحفش من بحر قزوين محشو في مخالب الكركند، يترنم بحمد رب المحيطات.
- شرائح سمك البنبان المعروف باسم "عذراء الاطلسي"، مقدمة في كيس من الورق الشفاف يحمل العبارة الآتية:

"مع تحيات بوسيدون اله البحر".

- شرائح من صدر الدجاج مقدمة في عش صغير على هيئة سفينة شراعية ذات صاريين، ومصحوبة بحرس شرف من الخضر.
- حلوى ممتازة تحمل اسم "عودة الفاتح" المأخوذ عن اوبرا "عايدة" للمؤلف الموسيقي فيردي، مصحوبة بكأس من الشراب المعطر كمسك الختام.

"اما ثمن هذا الاعجاز المطبخي، بما في ذلك الشراب والبقشيش والزهر والموسيقى، فهو يقارب المئة دولار. ونأمل في ان يكون كنزك النقدي مدعوما بهذا المبلغ لضمان النصر التام.

"واسمح لي بأن اقول لك صراحة انه ما لم تكن لديك موارد خاصة، فلا داعي اطلاقا الى تبديد هذا المال كله. وسوف يسعدني ان احجز لك مائدة انيقة في قاعة ودجوود، حيث تلقى وفتاتك افضل عناية وخدمة ويقدم اليكما الزهر ويمكنكما ان تطلبا من قائمة الطعام كل ما يطيب لكما.

"ستتمتعان بقدحين من الكوكتيل وبوجبة عشاء ممتازة مع زجاجة شمبانيا، في مقابل ثلث المبلغ الذي يقترحه رينه بلاك. وعلى اي حال، فأليك وحدك يعود بت هذا الشأن. ولذلك ارجو أن تعلمني بما يرسو عليه اختيارك في تنسيق حفلتك الصغيرة.

مع اخلص تمنياتي،
هنري ب. وليمس
المدير العام"

"حاشية: اظن ان رسالتك الممتعة كانت مصدر الهام للسيد بلاك".

حيرة وتردد ــ امتلأت جوانحي ابتهاجا وامتنانا لهذا الرد، ولكن اضناني ان تقل مدخراتي عن المئة دولار. وكتبت آسفا الى السيد وليمس، اعلمه بان تقديره لمواردي كان اصوب كثيرا من تخمين السيد بلاك، واني اكون شاكرا اذا تكرم بحجز المائدة التي حدثني عنها.

ومرت الايام من دون ان اتلقى تأكيدا للحجز الذي طلبته. فغدوت شبه واثق من ان رسالتي الثانية لم تبلغ السيد وليمس، او ان يكون الامر كله مجرد دعابة. وجاءت عطلة نهاية الاسبوع في ٢٧ نوفمبر (تشرين الثاني)، واقبل تلاميذ البحرية يتفرجون على فريقهم الملهم وهو يوقف فريق الاكاديمية الحربية الشهير عند نقطة التعادل (٢١ - ٢١) في مباراة مثيرة. واندفعت فور نهاية المباراة لاقابل جين. كانت جميلة ورائعة كما كنت اذكرها تماما.

وفي القطار الذي نقلنا الى نيويورك، اطلعت جين على الرسالة التي تلقيتها من السيد وليمس، وقلت لها اني غير واثق من الحجز. ولكن قر رأينا على ان نذهب الى فندق والدورف في اي حال.

دخلنا بهو الفندق حيث تقع قاعة ودجوود الى اليمين، تتقدمها بضع درجات في اسفلها حبل مخملي وفي اعلاها آخر، وقد وقف الى جانب كل من الحبلين كبير خدم الفندق ببزته الرسمية، واحتشد امام الحبل السفلي جمهور من القادمين في حلل انيقة ينتظرون موعد الدخول.

والتقت عيناي عيني جين، وقلت لها مستجمعا جرأتي: "توكلنا على الله". ثم دنوت من كبير الخدم متهيباً وقلت: "اذا سمحت،أنا التلميذ البحري اينس. هل لديك حجز باسمي؟".

ورفع كبير الخدم الحبل بحركة تشبه السحر وقال: "بالطبع!" ورأيت زميله الواقف الى جانب الحبل الاعلى يبتسم ويقول: "التلميذ البحري اينس"؟" فقلت متلعثما: "نعم يا سيدي". فقال: "تفضل من هنا". ثم ضرب اطراف اصابعه بعضها على بعض، فجاء نادل وتقدمنا عبر القاعة في اتجاه مائدة انيقة انحنى فوقها خادمان يضيئان الشموع البيضاء.

حلم أم يقظة؟ ــ تقول جين: تقدمنا، باد وأنا، ورحت اتأمل

المائدة بدهشة واعجاب. كان بين الشموع اناء ابيض يضم زهر الغاردينيا الأبيض والورود البديعة الحمراء. وعندما اجلسني النادل ذو السترة الحمراء في مقعدي، رأيت امامي علبة فتحتها لأجد في داخلها باقة من الزنابق البيضاء الصغيرة.

كانت قائمة الطعام مرسومة باليد رسما مائياً، وفي اعلاها سفينة من سفن الاسطول بدت تمخر في اتجاه الركن الأيمن الاعلى، بينما برز في الركن الايسر رسم لرأس فتاة تزين شعرها مجموعة من الببغاوات المتيمة. وما ان هدأت نشوتنا الى حد يتيح المقاطعة حتى انحنى الخادم المكلف الاهتمام بمائدتنا وسأل باد: "هل ترغب في كوكتيل؟".

اتفقنا على ان نأخذ كوكتيل "مانهاتن". وكان ذلك السؤال الوحيد الذي وجه الينا طوال تلك الأمسية.

بدأ العشاء وسط لمعان الفضة وبريق البلور في ضوء الشموع، بينما الموسيقي الشهير ايدي دوتشين وافراد فرقته يعزفون في خلفية القاعة. كانت الخدمة ممتازة، وكان كل طبق ابدع من سابقه والذ.

وقرابة منتصف العشاء دنا من مائدتنا رجل وجيه ذو شعر فضي وانف فرنسي ضخم وقال: "انا رينه بلاك وقد جئت اتأكد من انكما غير ناقمين علي". فهب باد واقفا بينما اشرق وجهي بالابتسام، ورحنا نعرب عن شكرنا العميق للرجل الذي خطط لنا هذه الأمسية.

تناول بلاك مقعدا وجلس يحدثنا ويمتعنا بنوادره عن علاقته الغرامية المستمرة بزوجته وعن اصل عجة البيض وعن حفلة العشاء التي اقامها لفرقته العسكرية في فرنسا خلال الحرب العالمية الاولى. وعندما سألناه عما اذا كان هو الذي زين قائمة الطعام برسومه، ابتسم وقلب القائمة ليرسم بسرعة على ظهرها رأس كبير الطهاة وكتب تحته بالفرنسية: "اذا كان الحب لا يتطلب سوى القبل، فما الفائدة من شهرة الطاهي؟".

بعدما غادر السيد بلاك المكان نظرت الى باد. كنت قد خططت لمشاهدة المباراة بين الجيش والبحرية وقضاء عطلة نهاية الاسبوع معه، الا انني كنت اتساءل عما ستكون مشاعري تجاه هذا التلميذ البحري الجريء الذي التقيته لقاء قصيرا في الصيف الماضي.

وها نحن الآن سوياً في فندق والدورف - استوريا في نيويورك، وقد تبادلنا لتونا اطراف الحديث مع رينه بلاك الشهير ونعمنا بعشاء يليق بالملوك، والآن نرشف النبيذ الفاخر. فما اروع ذلك!

النغم الجميل - يقول باد: بعد لحظات ترك ايدي دوتشين فرقته وجاء الى مائدتنا. كان هذا الموسيقي الاسطوري الشهرة ودوداً، رقيقاً، وهو يتحدث عن المباراة الرائعة التي خاضها فريق البحرية عصر ذلك اليوم. وسبق لدوتشين ان انخرط في البحرية خلال الحرب العالمية الثانية. وهو اغتنم فرصة شرود انتباه جين لحظة قصيرة، ومال نحوي هامساً: "نشيد البحرية في منتصف الليل تماما. اتمنى لك التوفيق". ثم نهض مبتسما وعاد الى البيانو.

كنا نرتشف قدح الشراب المعطر عندما جاء النادل ينبئني بأن هناك مكالمة هاتفية لي في الردهة. فمضيت في اثره اتساءل عمن عسى يكون صاحب المكالمة. ولكن ما ان خرجت من الباب حتى رأيت رئيس الخدم ينتظرني ليقدم الي قائمة الحساب وهو يقول: "فكرنا في انك قد تفضل الا نقدم اليك هذه على المائدة".

قلبت القائمة متهيبا ونظرت الى مجموع ارقامها، فوجدته ٣٣ دولاراً.

كان من الواضح ان هذا المبلغ لا يمكن ان يفي بجزء صغير من كلفة السهرة، وان هذا الاسلوب الرقيق في تقديم قائمة الحساب يستهدف انقاذي من الحرج.

وتقول جين: عاد باد الى المائدة مشرق الوجه. ورداً على سؤالي الفضولي عن المكالمة الهاتفية قال: "انه امر لا اهمية له. هيا نرقص!". وشعرت بيده على ذراعي توجهني برقة الى حلبة الرقص. وكان حولنا ازواج آخرون يرقصون ويتحدثون ويبتسمون. لكني لم ار سوى باد. كنا نعيش امسية اسطورية لكنها كانت واقعاً حقيقياً. وقلت لنفسي: "اني عاشقة، فما اروع ذلك!".

ويقول باد: قبل منتصف الليل بخمس دقائق كنا جالسين الى مائدتنا وقلبانا مفعمان بالسعادة. وفجأة ظهر النادل الى جانبي وفي يده زجاجة شمبانيا، فتحها ليخرج من سدادتها فرقعة خفيفة، وملأ لنا كأسين بالشراب المتلألىء.

ورفعت كأسي لجين. وفي تلك اللحظة دوت طبول الفرقة الموسيقية. والتفت ايدي دوتشين وانحنى لنا، ثم استدار ورفع يده وانزلها، فاذا بنا نسمع نغمات ذلك النشيد الجميل العاطفي العذب، نشيد البحرية:

"لقد اثبت البحارة في المعارك/ منذ ايام القتال الغابرة/ حق البحار في ارتداء بزة/ البحرية بلونيها الازرق والذهبي".

ونظرت الى حبيبتي الرائعة وقلت لها بغصة: "هل تقبلينني زوجا لك؟".

وتقول جين: تم زواجنا في يونيو (حزيران) التالي. والآن، بعد ثلاثين عاما شب خلالها اطفالنا الخمسة واصبح التلميذ البحري اميرالا، كثيراً ما نجلس لنقلّب هدية الزواج الجميلة التي تلقيناها من السيد وليمس، وهي نسخة ثمينة التجليد من طبعة محدودة عن تاريخ فندق والدورف - استوريا، تنطوي على اسماء الامراء والملوك والرؤساء الذين نزلوا ضيوفاً على ذلك الفندق الساحر.

ولكن ثمة امسية لا يتضمنها الكتاب -، تكاتف فيها رجال عطوفون ذوو قلوب رقيقة حانية كي يفتحوا باب السعادة لشابين عاشقين. تلك هي امسيتنا، تشهد عليها هدية السيد بلاك التي علقناها ضمن اطار في موضع الشرف على حائط غرفة المائدة في بيتنا. انها رسم مائي لطاه قصير القامة يشرف على الشواء في مطبخ عتيق. وفي اعلى اللوحة خطّ السيد بلاك بيده وبالفرنسية، ما سبق ان كتبه لنا تلك الأمسية: "اذا كان الحب لا يتطلب سوى القبل، فما الفائدة من شهرة الطاهي؟".

■ جين وباد اينس

صراعٌ في الجوّ

لقبوها "ناقلة النفايات"، لكن يوما أتى حلقت فيه بملاحيها في سماء المجد

ما كاد الملازم الطيار بوب هايوود يقترب بطائرته "الهيركيوليز"، التابعة لسلاح الجو الملكي الاوسترالي، من مدرج مطار داروين، بعد رحلة شحن من ماليزيا دامت ثماني ساعات ونصف ساعة، حتى اتصل به برج المراقبة مستفسرا عن كمية الوقود المتبقية لديه. كان ذلك في الثاني والعشرين من يناير (كانون الثاني) الماضي.

وكان تقدير الملاح مايك روبرتس ان الكمية المتوافرة تكفي لمدة ثلاث ساعات.

وسأل هايوود: "ما الأمر؟".

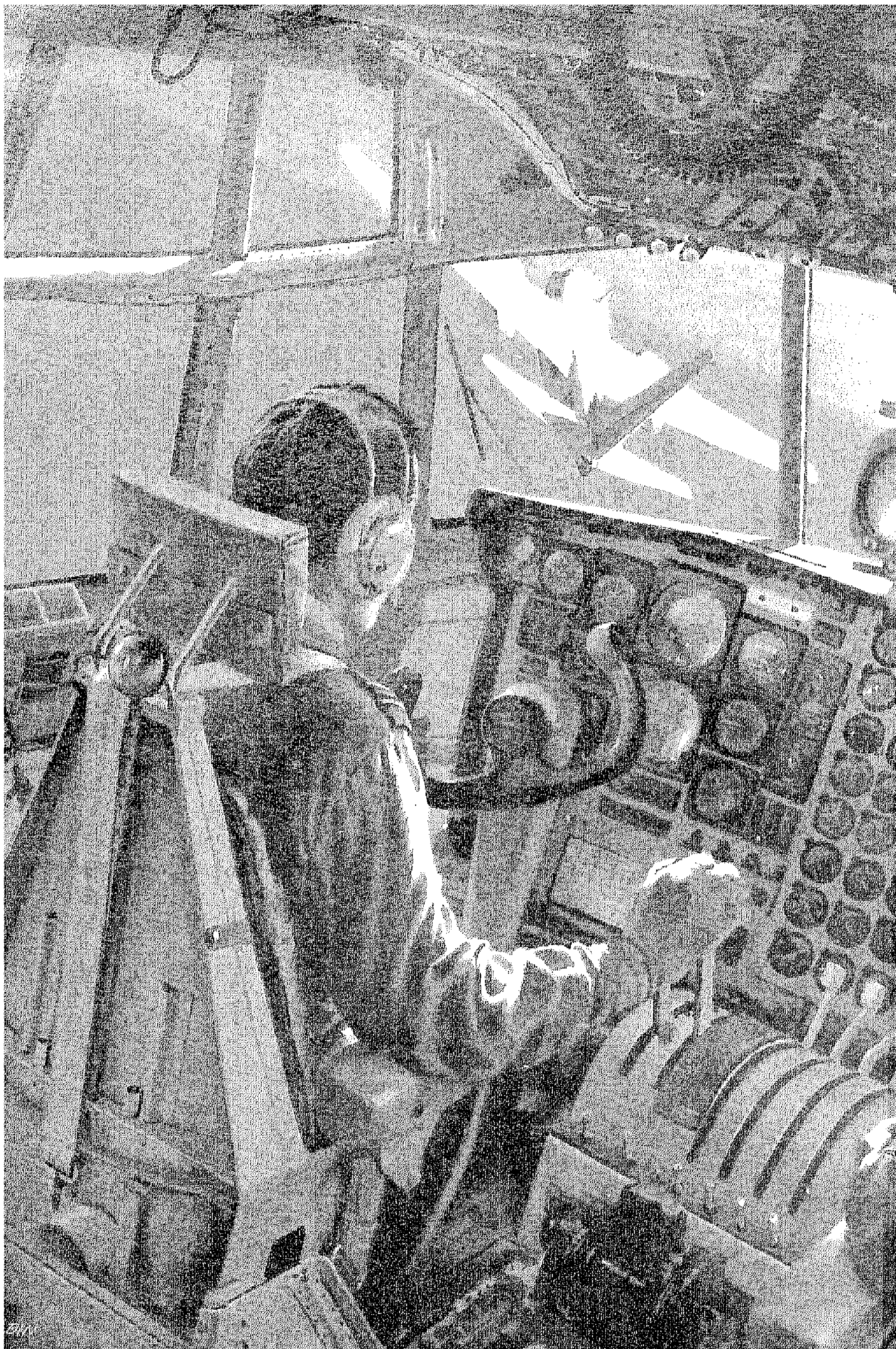
وجاء جواب برج المراقبة ان هدفا مجهول الهوية يظهر على الرادار.

واضاف: "هل في استطاعتك اعتراضه؟".

"أجل"، اجاب هايوود. وحلق بطائرته الهيروكوليز الضخمة متوجهاً نحو طريدته التي تبعد ثلاثين كيلومتراً، بعد ان زودته محطة الرادار بالمعلومات عن مكان الاعتراض.

واستغرب هايوود الامر. صحيح انه كان متعلقاً بطائرته العجوز، وصحيح ايضا انها ربما كانت الاطوع قياداً بين طائرات سربه الاثنتي عشرة، وكلها من نوع "اي - هيركيوليز"، لكن قيام هذه النحلة البدينة ذات الخمسة والخمسين الف كيلوغرام بمهمة اعتراضية، لن يعدو كونه مهزلة كبيرة.

وليس الامر ان الهيركيوليز طائرات يستخف بها. فهذا النوع بالذات، وهو طراز "سي - ١٣٠ - اي"، سبق ان قام باجلاء الجرحى الاوستراليين عن فيتنام، وبانزال الامدادات الى سكان اوتباك في اثناء الفيضانات وفي مواسم الجفاف، وبنقل ما يزيد على الخمسة



آلاف شخص من داروين بعد اعصار تريسي الذي دمر المدينة. ثم ان هذه الطائرات نفسها ساهمت في عملية انقاذ موظفي السفارة الاوسترالية عند سقوط العاصمة الكمبودية بنوم - بنه. لكن معظم رحلات الهيركيوليز كانت عمليات شحن لقطع الغيار بين اوستراليا والخارج. وهذا الواقع جعل ملاحيها عرضة دائمة لسخرية ملاحي المقاتلات من نوع "داشينغ - دان" في سلاح الجو الملكي الاوسترالي الذين اطلقوا على طائرات الهيركيوليز لقب "نفاية الشاحنات". لكن شعار السرب يؤكد الواقع المرير، فهو قربة ماء ذهبية ترمز الى تلك التي تحملها الدواب.

فلا عجب اذا وجد هايوود نفسه مدهوشا وهو يسارع بوحشه الطائر الى مهمة يتمناها كل طيار مقاتل.

وعلم هايوود من برج المراقبة ان الطيار المجهول يسبب مضايقات خطيرة. فهو خرق المجال الجوي المنظم، مما يمكن ان يؤدي الى اصطدام في الفضاء، فضلا عن انه لم يرد على النداءات اللاسلكية المتكررة من برج المراقبة.

بداية سيئة - وجال هايوود وافراد طاقمه انحاء الجو بحثا عن المتطفل الغريب. وفجأة لاح امامهم، وسط السحب المتراكمة، بريق جسم صغير. كانت تلك الطائرة منطلقة في اتجاه جنوبي شرقي، بسرعة ١١٠ عقد في الساعة، اي باقل من نصف سرعة الطائرة العجوز ١٦٨. وما ان تمكن هايوود من العودة بالهيركيوليز في انعطاف دائري واسع حتى كانت الطائرة قد اختفت عن الانظار.

تلك كانت بداية سيئة لمهمة الهيركيوليز الجديدة. وبعد ان حدد هايوود مكان الطائرة الغريبة على الرادار، حاول مساعده واين سومرفيلد الاتصال بها بواسطة الراديو، ولكن من دون جدوى. واقترح احدهم ان الطائرة الطريدة ربما كانت لمزارع ضل طريقه بعد ان تعطل جهاز الراديو.

وما ان حلق هايوود ثانية فوق ذلك المجهول حتى بدأت الشكوك تساوره. فقد كانت الطائرة من نوع "ايرو - كوماندر"، عالية الجناحين، ذات محركين، ومجهزة بصهريجين ضخمين للوقود. ولم تكن على جناحيها اشارات مميزة، لكن حروفا صغيرة ظهرت على جسمها.

وسألته محطة رادار داروين عما اذا كان في استطاعته الاقتراب من الطائرة الغريبة. لكن تلك مهمة عسيرة لا تخلو من المجازفة. وكان يكفي ان يبدر خطأ صغير منه ليدفع بالعجوز ١٦٨ الى سحق الطائرة وافنائها. غير ان خبرة اثني عشر عاما في الطيران جعلت هايوود يدنو تدريجا من طريدته.

وما ان اصبحت الهيركيوليز على بعد خمسين مترا من طائرة الكوماندر حتى انجلت الكتابة التي على جسمها: "وحدة بحوث لوران". و"لوران" ترمز الى احد انظمة الملاحة القديمة، مما جعل هايوود يشك في قانونية مهمتها.

العملاقة المتثاقلة - نقل هايوود ارتيابه الى برج المراقبة، مضافا الى الحيرة المتزايدة هناك. ذلك ان قائد طائرة الـ"ايرو - كوماندر" سبق ان

قدم في بروناي مخطط رحلة بين بروناي وموموت في جزر ادميرالتي القريبة من غينيا الجديدة. وكان مقررا ان تستغرق الرحلة اربعا وعشرين ساعة في مسار مواز لخط الاستواء وعلى بعد اربع درجات جنوبا. لكنها اخترقت الاجواء الاوسترالية واتجهت على زاوية متعامدة مع خط الاستواء.

وكان هايوود يدرك ان الرحلة المباشرة بين بروناي وموموت لن تستغرق ٢٤ ساعة على الاطلاق. وهذا يعني ان طيار الكوماندر سيقوم برحلة جانبية. ولكن الى اين تكون تلك الرحلة؟ وما سرها؟

مهما يكن الجواب، فقد واجه هايوود طيارا محترفا. ولم يبد قائد الطائرة، التي سماها ملاحو الهيركيوليز ١٦٨ "الخفيفة"، اي اهتمام بدنو الهيركيوليز منه. لكنه بدأ لعبة القط والفأر مع العملاقة المتثاقلة.

وكانت العجوز ١٦٨ متفوقة على "الخفيفة" من حيث السرعة، لانها تستطيع الانطلاق بسرعة ٣٢٠ عقدة، اي ٥٩٢ كيلومترا في الساعة. لكنها فقدت قدرتها على المناورة بعد ابطائها الى سرعة الطائرة الاخرى. واي انعطاف في هذه الحال مجازفة تؤدي الى التوقف والسقوط.

واستغلت "الخفيفة" عجز الهيركيوليز. فأخذت تنطلق بسرعة ثم تتباطأ فجأة الى ما دون المئة عقدة، مما اضطر هايوود الى اتباع مسار متعرج نحو طريدته، بينما التصق معاونه وبقية افراد الطاقم بالنوافذ يتتبعون تحركات الصغيرة.

وفي هذه الحال، تلاشى فجأة كل شك في ان الطريدة خصم خطر، اذ انعطفت من غير تحذير متوجهة في خط مستقيم نحو الهيركيوليز. وللحظة، تملك الفزع طاقم الهيركيوليز. وقام هايوود بحركة انعطافية ملتزما ضبط النفس. فلو انه استمر في المراوغة لجازف بحدوث توقف وسقوط. ثم عاد بطائرته الى وضع متزن اصبح فيه الجناحان مستويين، متجنبا بذلك اصطداما محققا. وصلى هايوود راجيا ان تكون حركة الطيار الآخر مجرد ايهام. وفي اللحظة الاخيرة نكصت "الخفيفة" عادلة عن تهديدها.

وغلى دم هايوود. وايقن ان خصمه لا ينوي خيرا. فأراد ان يكيل له الصاع صاعين ويدخل الرعب الى قلبه. وحلق بطائرته الضخمة على بعد ستة امتار من مؤخر الكوماندر، وانقض على ميمنتها متمايلا يمنة ويسرة، وانطلق فوقها في اتجاه داروين. وهذه المناورة هي في العرف الدولي اشارة اعتراض عسكرية وامر بالاستسلام (على رغم ان الهيركيوليز لم تكن مسلحة) وباتباع الطائرة المعترضة.

ولم تأبه الكوماندر الى الاشارة، فثار غضب هايوود وشتم قائدها. لكنه كرر اشارته على ميسرة "الخفيفة". وهنا تمايلت الكوماندر دلالة على انصياعها، وتبعته ببطء في اتجاه داروين.

وخففت الهيركيوليز من سرعتها حتى وصلت الى ١٤٠ عقدة في الساعة. عندها انحرفت "الخفيفة" فجأة، ولم يستطع هايوود مضاهاة

خفقتها لكنه دار بطائرته الضخمة في قوس كبير وعاد الى مطاردة الكوماندر، فوجدها قد اختفت عن الانظار. الا ان رادار داروين كان بالمرصاد، فوجه هايوود ثانية نحو "الخفيفة" الفارّة.

وهنا بدأ هايوود يفكر في الوقود المتبقي لديه. فالمناورات، بين انطلاق سريع وتباطؤ مفاجىء على ارتفاع منخفض، تزيد في استهلاك الوقود. غير انه اصر على مطاردة خصمه المراوغ الذي كان يبدو متمتعا بما الحقه بالهيركيوليز من عذاب.

الخدعة الاخيرة - وادرك هايوود ان مضايقة الكوماندر لم تحقق شيئا، فحلق بطائرته الى ارتفاع ١٥٠٠ متر للحفاظ على الوقود ولمراقبة الطائرة الصغيرة. وكانت الكوماندر ما زالت تتجه جنوبا، مهتدية بالطريق الرئيسية بين داروين واديليد، وعلى ارتفاع لم يتجاوز ٥٠٠ متر. وادرك هايوود ان الظلام سيحل بعد اقل من ساعة، اي في السابعة والنصف. عندئذ يتحتم على "الخفيفة" الهبوط، فيرسل هايوود الى داروين معلومات عن مكان هبوطها لتكون الشرطة في الانتظار.

واشتد الظلام. واجتهد طاقم الهيركيوليز في ابقاء انظارهم مركزة على "الخفيفة". وفجأة، وعلى بعد ١٣٢ كيلومترا جنوب داروين، انحدر الطيار الطريد بطائرته فوق قسم خال من الطريق وكأنه يود الهبوط. وانحدرت الكوماندر الى نحو ثلاثين مترا فوق الارض. غير ان هايوود استشف امرا غريباً وحافظ على ارتفاع طائرته. وما هي الا لحظات حتى تأكد ارتيابه، وارتفعت الكوماندر ثانية مغادرة مهبطها المموه.

وازدادت العتمة، وبدأت تلوح في الافق بروق خاطفة ترافقها عواصف رعدية وزخات متفرقة من المطر. وانار هايوود اضواء طائرته، لكن قائد الكوماندر تركها مطفأة. واضطر هايوود الى الانحدار بطائرته الى ما دون مستوى الطريدة، على رغم ما يسببه ذلك من زيادة في استهلاك الوقود. غير انه اراد ان يبقي الكوماندر منظورة وسط الضوء الباهت المنعكس من السحب في الافق.

واقتربت الطائرتان من مدينة كارترين. واستمرت الكوماندر في المراوغة، ففقدها هايوود مجددا. وابلغ داروين الامر، لكن الرادار لم ينجح هذه المرة في تحديد مكانها، لان الكوماندر كانت تحلق على ارتفاع منخفض.

وادرك هايوود، من حسابات مساعده لكمية الوقود، ان الوقت المثالي للعودة السليمة الى داروين انقضى منذ عشر دقائق. لكنه، من جهة اخرى، كان يعلم ان ذلك ينطبق ايضا على طائرة الكوماندر. فحوّم مدة خمس دقائق اخرى، ثم ارتفع بالهيركيوليز ١٦٨ الى مستوى يسمح له بتوفير الوقود. وفي النهاية عاد في طريقه الى داروين.

فرحة العجوز - وتوقع ملاحو الهيركيوليز ان يكون طيار الكوماندر اضطر الى الهبوط، أو ان يكون قاد نفسه الى الهلاك. وعلموا في ما بعد انهم كانوا مصيبين في كلا الاعتقادين.

ولدى عودتهم الى داروين، علموا ان طيار الايرو - كوماندر اضطر الى الهبوط، وانه أشعل النار في طائرته. لكن النار لم تلتهم البضاعة التي كان يشحنها داخل صناديق معدنية مشمعة. وقدرت قيمة الحشيش بنحو ٣،٧٥ ملايين دولار اوسترالي.

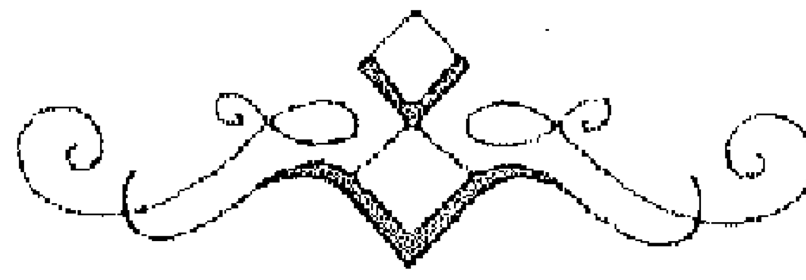
وبعد يومين ألقت الشرطة القبض على قائد الطائرة ومساعده. وفي المحكمة اعترفا بالجرم، وحكم على الطيار بالسجن سبع سنوات وعلى مساعده اربع سنوات.

وانهالت التهاني على بوب هايوود وافراد طاقمه. وكان بينها رسالة تهنئة من موظفي الجمارك في ريتشموند جاء فيها: "ان الهيئة الادارية والموظفين يعربون عن شكرهم لقائد طائرة التعقب سي - ١٣٠ وملاحيها على مطاردتهم المهربين".

لقد اصبحت العجوز ١٦٨ طائرة تعقب! وغمرت الفرحة نفس هايوود ومساعديه.

ونيابة عن السرب ٣٧ - سرب "نفاية الشاحنات" - كتب هايوود ومساعدوه رسالة تأنيب الى الساخرين التقليديين، طياري المقاتلات في قاعدة وليمتاون التابعة لسلاح الجو الملكي الاوسترالي، جاء فيها: "لقد قررنا تنظيم دورة تدريبية في عمليات الاعتراض في اشراف الملازم الطيار هايوود. وفتيانكم الاغرار مدعوون الى الاشتراك فيها".

■ ستيفن جونسون



وصية

لم يستفد احد من الوصية الالهية القائلة "احبوا اعداءكم" اكثر من صانعي المشروبات الكحولية.

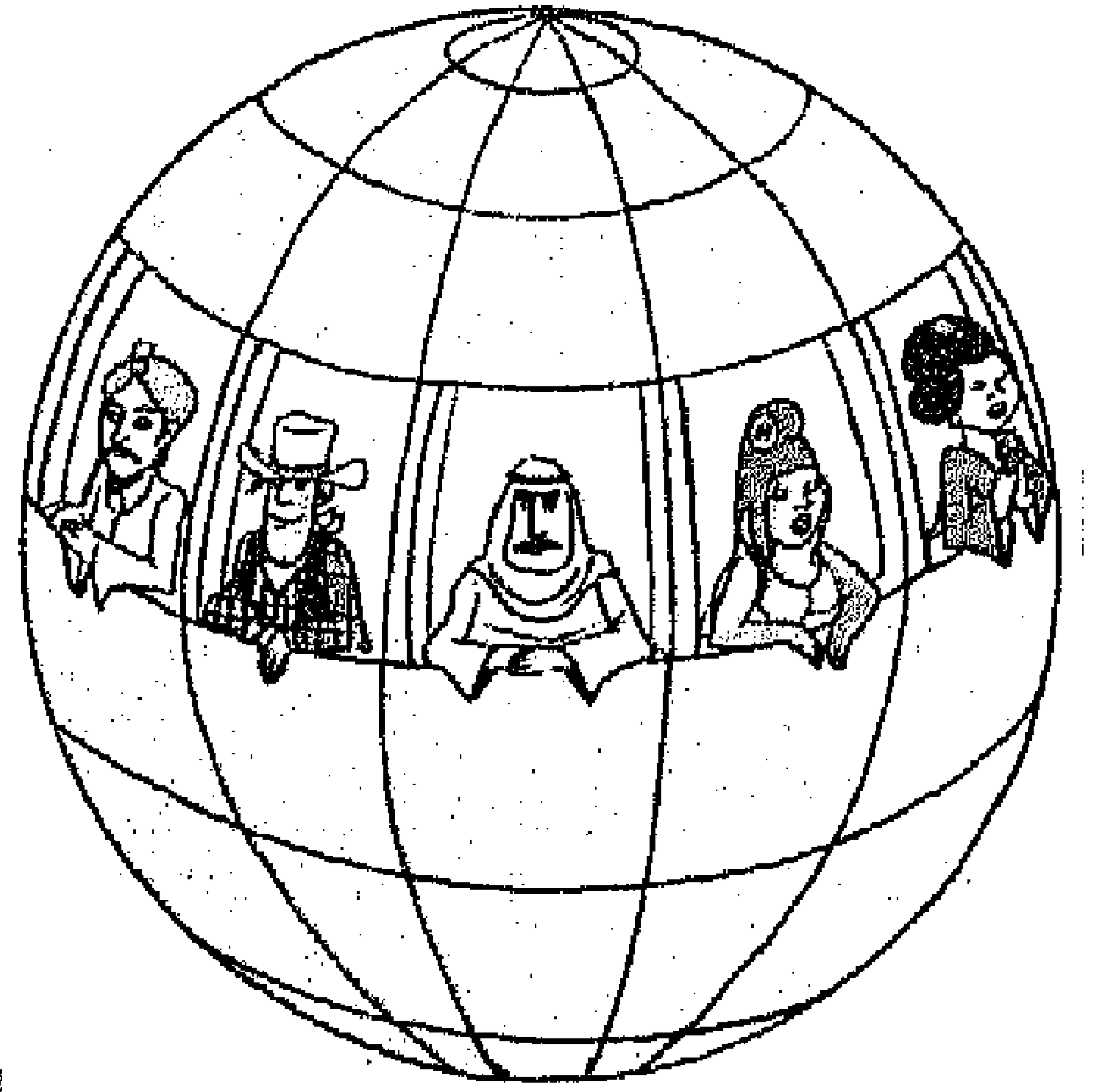
ر.ل.

مملكة النحل

ثبت ان مستعمرة نمل الخشب الأحمر التي اكتشفت في الجورا في مقاطعة فود السويسرية عام ١٩٧٣ هي اكبر مثيلاتها في العالم، اذ يقدر عدد "سكانها" بما يراوح بين ٢٠٠ مليون و٣٠٠ مليون نملة. ويتفاوت ارتفاع الكثبان السكنية التي يقيمها هذا النمل بين متر ومترين، وتغطي مساحة تقارب ٦٨٠ ألف متر مربع. ويبعد كل وكر عن الآخر مسافة تزيد على المئة كيلومتر.

وهذا النوع من النمل (فورميكا لوغوبريس) ذو اهمية فائقة لنمو الغابات الخالية من الآفات. فهو يعيش على كميات ضخمة من الحشرات الضارة، اذ يلتهم افراد المستعمرة المذكورة بين ٣٠ الف و٥٠ الف حشرة يوميا، منظفين منطقة مارشيروز بذلك من الجراثيم. ويبذل العلماء والمختصون في شؤون البيئة جهودا كبيرة لصيانة الأوكار النملية القائمة في سويسرا والأكثار منها عند الضرورة.

ش.ل.



حكايات صغيرة من العالم

العمل بضريبة اقل

ان في امكان سكان مدينة هارتفورد (ولاية كونيتيكت الامريكية) تفادي دفع جزء من ضرائبهم المحلية اذا كانوا من ذوي الدخل الثابت او المتناقص. اذ يسمح للعاطلين عن العمل من اصحاب الاملاك ان يعملوا في خدمة المدينة لفترة محدودة، في مقابل اعفائهم من جزء من الضريبة المفروضة على املاكهم قد يصل الى الفي دولار.

ه.م.

الدمية مثلي تتألم

تعدّ فترة المعالجة في المستشفى تجربة مخيفة للجميع، اما بالنسبة الى الاطفال فيمكن ان تسبب آلاما جسيمة. من هنا اجرى ١٥ متطوعا من مصنع بدفورد بارك للدمى، تابعين لبرنامج قدامى المتطوعين المتقاعدين في مقاطعة برونكس (نيويورك)، تجربة تخفف من وطأة الاقامة في المستشفى.

يلتقي المتطوعون كل ثلثاء لصنع دمى محشوة بالقطن للاطفال الراقدين في مستشفيين محليين. وهكذا تغدو هذه الدمى الناعمة الدافئة اكثر من مجرد لعب بالنسبة الى الاطفال. ويصبح لكل طفل صديقته "الدمية المحشوة" التي تشكو، في نظره، من المرض نفسه. فاذا اعطي المريض حقنة، كان نصيب الدمية حقنة مماثلة. وقد ساعدت هذه الطريقة على تهدئة مخاوف الاطفال وخففت من شعورهم بالوحدة.

نشرة "قدامى المتطوعين المتقاعدين"

رب ضارة نافعة

ادرك مديرو الشركات في الولايات المتحدة ان توفير الوقود وسيلة بسيطة للحد من الاكلاف ورفع الارباح. فمنذ الحظر النفطي عام ١٩٧٣، اخذت الشركات تطفيء الانوار وتخفض حرارة اجهزة التدفئة وتعيد تصميم المباني وتوصي الموظفين بتطبيق اساليب حفظ الطاقة في منازلهم.

وتراوح التدابير المعتمدة بين التعقيد، كما هي الحال بالنسبة الى العقل الالكتروني المتطور، والبساطة، كما في اكتشاف شركة جنرال موتورز انها تستطيع توفير ١٥٧.٦ دولارا سنويا باطفائها الانوار في آلات البيع الاوتوماتيكية في مخازنها. ونتيجة لذلك يقدر خبراء وكالة الطاقة الامريكية ان هذه التدابير وفرت ما يقارب ٣ مليارات دولار منذ ١٩٧٤.

"التايم"

وداعاً للصوص

اخترع بائع اجهزة ميكانيكية في مدينة بورغدورف في المانيا جهاز ارسال الكترونياً يمكن تصغير حجمه ليعادل حجم نصف رأس دبوس، لكنه، مع ذلك، يبث اشارات لاسلكية على امتداد دائرة يبلغ نصف قطرها ثلاثة كيلومترات بمجرد تحريكه.

وسنحت فرصة غير متوقعة لالفريد غروتجاهن، البالغ من العمر ٤٣ عاماً، لكي يعرض امام الشرطة قدرة جهازه الهائلة، وذلك حين تسلم صاحب مطعم في محطة قطار هانوفر الرئيسية رسالة من مجهول يهدد فيها بنسف المطعم ان لم يودع مبلغ ١٠٠ الف مارك حقيبة صغيرة توضع في الغابة المجاورة.

وكان غروتجاهن قد عرض جهازه على الشرطة قبل اسبوعين، فتولت اخفاء جهاز الارسال الدقيق بين الأوراق النقدية داخل الحقيبة التي تركها صاحب المطعم في المكان المحدد، فيما كان رجال الشرطة ينتظرون على بعد كيلومتر، يرافقهم غروتجاهن ومعه جهاز استقبال يزن سبعة كيلوغرامات ليلتقط اشارة جهاز الارسال عند تحريكه. ومضت ساعتان بعد منتصف الليل، وإذا بالضوء الاحمر يتوهج فجأة في جهاز الاستقبال، وبدأت المطاردة.

وحين سمع المبتز المجهول اصوات الشرطة تلاحقه، حاول التخفي في الغابة الحالكة السواد، لكن بريق جهاز الاستقبال كان يزداد توهجاً مع اقتراب الشرطة من جهاز الارسال المدسوس، وباتباع الاشارات الضوئية، عثرت الشرطة على المتهم في حفرة تحت كومة من اوراق الشجر.

ومنذ ذلك الحين، ابدت الشرطة والمصارف وشركات التأمين اهتماماً كبيراً بجهاز اقتفاء الاثر هذا، الذي يتفوق على اي اداة اخرى مماثلة ولا يكلف، في حال انتاجه، اكثر من ١٤٥٠ ماركاً المانياً. ويتجاوز نطاق عمله المطاردة الى الحراسة. فاذا وضع في محل للمجوهرات او في سيارة، يمكن ان يشع حالما يلمس. واذا تم تكبيفه، فمن الممكن ان يوضع في حافظة النقود ويطلق اشارة انذار عند تعرض حاملها لهجوم.

مجلة "شتيرن"، المانيا

الصوت الغامض

فيما كان علماء المحيطات الامريكيون يرصدون الاصوات تحت الماء في المناطق القطبية، تكرر التقاطهم لاصوات غريبة بلغ ارتفاعها حداً طغى على الاصوات الاخرى النابعة من حركة المحيط. وكانت تعاود الظهور بانتظام بمعدل دقة كل عشر ثوان مع انقطاعها عرضاً على نحو غامض.
وظل العلماء في حيرة من امرهم حتى جاء احدهم بتفسير بسيط، وهو انهم يستمعون الى دقات قلب حوت. ذلك ان قلب الحوت الازرق يزن اكثر من ألف رطل ويولد نحو ٧ كيلواط من الطاقة ويستطيع ان يحفظ ثمانية اطنان من الدم خلال الحركة.
أما سبب انقطاع الصوت احيانا فعائد الى ان الصوت لا يمكن ان يسمع ما لم يكن فم الحوت مفتوحاً، اما اذا كان مغلقاً فان الكتلة اللحمية السميكة من رأسه تمتص كلياً الأزيز الناجم عن دقات قلبه.

مجلة "العلم والحياة"، فرنسا

فن أم تعذيب؟

تعد القطعة الموسيقية "اضطرابات" للموسيقي اريك ساتي واحدة من اطول المؤلفات المعدة للبيانو، إذ يستغرق اداؤها كاملة ١٨ ساعة و٤٠ دقيقة. وتطلب اول اداء عام لها، في سبتمبر (ايلول) ١٩٦٣ على مسرح "بوكيت ثياتر" في مدينة نيويورك، تناوب عشر عازفي بيانو. وخلال هذه الحفلة لم يتمالك الناقد الموسيقي لصحيفة النيويورك تايمس نفسه، فاستغرق في النوم الساعة الرابعة صباحا، فيما تضاءل عدد الحاضرين حتى بلغ ستة اشخاص. وفي الختام صرخ احد مهووسي تعذيب الذات: "أعيدوا من جديد"!

كتاب "الارقام القياسية في العالم"

استكشف اسلاف المواطنين الاوستراليين الاصليين سهول نولاربور القفراء واستقروا فيها منذ أكثر من عشرين الف سنة، وعام ١٩٦٧ كشف الاثريون عن بعض المعالم التي خلّفها هؤلاء الاوستراليون الاقدمون في كهف كوونالدا في الطرف الجنوبي من تلك السهول، وقد اوحت هذه الآثار وسواها بالقصة الخيالية التي نوردها هنا، ولعلها تجلو بعض غوامض حياة الانسان في ما قبل التاريخ

صيّادو الأزمنة الحجريّة

يا لهما من عينين لامعتين غائرتين في محجرين عميقين ينطلق منهما ضياء وهّاج نحاسي الشعاع كلون البشرة السمراء التي ينبع منها، تينك العينين البشريتين الاوليين اللتين تجيلان الطرف في أرجاء السهل البكر، في كنف حاجبين كثيفين يتدلى الشعر منهما ستارا يقيهما ذرات الرمل المتطاير ولهب الشمس الصحراوية.

وراحت العينان ترصدان المستقر الجديد وتنقبان في انحائه: وطن جديد غريب ناء عن الوطن السابق العريق حيث ترفّ أرواح الاجداد وتسهر على حراسة الاحفاد. وكان الوجه قوي العضلات، يتميز بفكيه المربعين الضخمين واسنانه الغليظة ومنخره العريض المنتفخ وجبهته الداكنة المتحدرة من جمجمته المستدقة الرأس. ذاك هو انسان ما قبل التاريخ.



لقد ارهقه العطش والجوع والسفر الطويل، فنحل عوده وتروضت اعصابه وشحذت رشاقته ومشى في طليعة قومه،المتناقص باستمرار، في اتجاه الجنوب هربا من وطأة الجفاف وقسوته عند أطراف الصحراء الوسطى. وها هو يستنشق الهواء بملء رئتيه ويرهف اذنيه للسمع ويرقب فلول اسرته تطوف في اعقابه بحثا عن ثمار العلّيق واليرقانات الدودية والحيوانات الجرابية الصغيرة، ويعمل افرادها حفرا في الارض طلبا للعسل والجذور النباتية الصالحة للأكل.

وفجأة حلّق في كبد السماء المغبرة صقر ظليل على ارتفاع شاهق وأرفد جناحيه من دون حراك ولم يلبث ان انقضّ نحو الارض، وعاجل الى التهام سحلية او فأرة او طير غافل، بينما راح الرجل يجيل بصره الحاد كبصر الصقر في رقعة خضراء تزهو بها الارض في وهج الشمس، فلوّح بيديه الى ابناء عشيرته المنتشرين في غير نظام، لكي يتقدموا. وكان اثنان من انسبائه يحرسان جانبي القوم وقد تسلحا تحذرا لأي خدعة مفاجئة، بينما مشت النسوة واطفالهن وسط المسيرة، وسار وراءهن عمه العجوز الذاوي، زعيم العشيرة وحارس شرائعها، وقد أمسك بيده غصنا من السنط راح يقلبه في الهواء باستمرار لكي يظل طرفه شاعلا فيستعين به في ايقاد النار عندما يحين وقت العشاء. غير ان الصياد الذي يسير في المقدم هو الذي يعتبر رئيسها الطبيعي، لا سيما وأنه اشد يأسا وأصغر سنا.

بعد ذلك، سار الصياد بخطى وئيدة هادئة على باطن قدميه الخشنتين، وسرعان ما أدرك ان الرقعة الخضراء التي ابصرها تبعد اكثر مما ظنّ في بادىء الامر، ولكنها ارحب واوسع نطاقا وفي وسطها ثقب مائي صغير يكفي لسد حاجات عشيرته طوال يوم او يومين. فانحنى واغترف براحتيه من سائله الداكن وقربه الى شفتيه. لقد كان الماء عكرا وملوثا بروث الحيوانات، الا انه ماء، وألماء يعني الحياة.

لم تكن لغة هؤلاء القوم الذين يعدون اربعة عشر نفرا اكثر من بضع كلمات، الا انهمحين ضربوا خيامهم في المكان لم يعوزهم الكلام اذ كان لكل منهم واجب معين يقوم به. وحمل الرجال رماحهم وهراواتهم وانطلقوافي ظلمة الغسق بحثا عن الصيد. وانكب الاولاد على تجميع القش والاغصان اليابسة ليجعلوا منها جمرا متوهجا يلقون فوقه اوراق الشجر الخضراء لينبعث منها الدخان الكفيل بوقايتهم من الارواح الشريرة. وراح الزعيم العجوز ينفخ في طرف عصاه ليضرم بها الحطب. وراحت النساء وبناتهن يقشرن بعض الفاكهة المجففة ويكسرن الجوز ويطحنّ ما تبقى لديهن من بذور النباتات التي جئن بها من بلاد ما وراء السهل. وما ان اضرمت النار حتى القين فوقها ببعض السحليات لشيّها بجلدها.

عاد الصياد الشاب من مغامرته خالي الوفاض كئيبا يتوجس خيفة من ان يكون انعدام الصيد شراً مقصوداً تدلل به الآلهة على عدم ارتياحها الى

مكان اقامتهم الجديد. وملأ فاه بلحم السحليات المشوية المتفحمة وهو يحدّق في غور الظلمة المترامية خلف النار. ولكم بدت له تلك النجوم المتلألئة في قبة السماء عيون الاسلاف الغريبة تتفرس فيهم من عل وترقب هذه البقعة من الارض وتأبى عليهم ان يحطوا رحالهم فيها. ولقد تسبب ذلك في وفاة ابنه البكر في تلك الليلة، عندما طلب اليه ان يجيء ببعض القش للموقد، فلم يلبث ان دهمته افعى الموت من حيث لا يدري وانشبت انيابها في بطة ساقه فشق صراخه سدول الليلة الظلماء. وسارعت النساء فنقلنه الى مكان قريب من الدخان الذي يقيه شر الارواح. فلم يجد ذلك فتيلا، لان السم كان اعمل فيه مفعوله فجمد الدم في عروق الصبي وانتحبت النسوة وندبنه متفجعات ورحن يضربن رؤوس بعضهن بالعصي ويشرطن بحد الحجار جباههن وما بين الثديين فتسيل الدماء بغزارة.

اما والد الصبي فقد قبع في مكانه من دون حراك يتملكه الصمت والخوف لان الموت لا يجيء عرضا، وليس في الحياة مصادفات. وما ذلك الحدث سوى انذار بغضب الاسلاف الذين حكموا هذا المكان وبسطوا رقعة هذا السهل الرحب على الارض ورفعوا من فوقه قبة السماء. فبدأت ترتعد فرائصه.

وهل من المحتمل أن يكون القرار الذي اتخذته امه سببا اثار حفيظة الاسلاف وغضبهم في هذا المكان؟ كانت أمه عجوزا نحيلة الجسم لم يبق منها سوى الجلد والعظم وكاد النور ان ينطفىء في عينيها العقيقيتين. فما ان بلغ القوم طرف هذا السهل حتى قررت من تلقائها ان ساعة منيتها قد حانت وانها لن تستطيع المضي في المسير، وان القوم لن يتمكنوا من حملها طوال الطريق، فتسلقت احدى الاشجار واسندت ظهرها الى جذعها وأحنت رأسها الى الامام بحيث ارتكز ذقنها فوق ركبتيها على غرار ما فعله الاجداد من قبلها واستسلمت منتظرة انتقالها الى دنيا الاحلام، قبالة مشرق الشمس حيث تصب الانهر في بحيرات فسيحة عذبة وحيث المياه الضحلة تمور بالاسماك السمينة المتعددة الالوان بزعانفها الذهبية. وحيث تمتد رحاب الوديان الخضر وتقيم الطيور العملاقة غير المجنحة وتضع بيضا كبيرا تكفي الواحدة منه لسد أود اسرة بكاملها. وستبقى امه التي اتخذت ذلك القرار في مكانها على الشجرة حتى تجفف الرياح جسمها فيستحيل الى تراب وتذروه في اتجاه بلاد ما بعد الموت الاسطورية. فقال الصياد في قرارة نفسه: "لا. لا يحتمل ان تكون وفاة والدتي النبيلة هي السبب في غضبة الارواح، بل ان السبب هو اقدامي على اقتحام حرمة ديارها الغريبة". واستولى عليه اليأس والأسى والخوف من المستقبل، وانطرح على الارض الى جانب الآخرين، قرب النار الداخنة، وابحر في نوم مضطرب.

اعظم بحيرة جوفية — واستيقظ القوم عند الفجر ينهشهم الذعر، وقد تلبدت فوق رؤوسهم الغيوم السوداء الغاضبة. واندلعت من السماء السنة من اللهب الابيض واهتزت اركانها

بقصف الرعود وانهمرت السيول فاغرقت الشجيرات الخفيضة من حولهم وهددت باطفاء النار. وراح الرجل العجوز يحرك الجمر بعصاه فشب اللهب في طرفها الصمغي، وانقشعت من خلالها مجاري المياه المنسابة نحو الجانب المنخفض من السهل.

عندئذ خرج الصياد الشاب ونسيباه من ملجأهم وتتبعوا بحذر مسالك الماء الى ان بلغوا حفرة شبيهة بفوهة البركان، فتدلوا فوق جوانب الحفرة الحادة ووجدوا تصدعا في احد الجوانب تتوارى فيه السيول. وأضاء الرجال مشاعلهم واطلقوا حناجرهم في الغناء لاسترضاء ارواح ذلك المكان المظلم الغريب وولجوا داخل الصدع الضيق وتلمسوا طريقهم خطوة خطوة في نفق شديد الانحدار حتى وصلوا الى حجرة صخرية واسعة تفضي بدورها الى مغارة أخرى اصغر منها حجما حيث وجدوا على بعد مئتين وخمسين مترا من مدخل الحفرة بحيرة جوفية لم يروا في حياتهم اعظم منها، فارتووا من مائها العذب ثم عادوا الى المغارة الاولى بنشوة بدّدت لديهم مشاعر الخوف.

ومد زعيم هؤلاء الرجال يده متلمسا سطح احد الجدران للمحافظة على توازنه، واذ به يكتشف مجموعة من الحجار القيمة. وأحس اول ما أحس بنعومة ملمسها داخل الجدار ولاحظ لمعانها في انعكاسات ضوء مشعله. وحاول ان يقتلع واحدا منها فأحدثت اصابعه خدوشا في صفحة الجدار الجيرية الناعمة راقه مظهرها، واخذ يمرّر أصابعه فوق تلك الخدوش جيئة وذهابا ويجتهد في تعميقها مضيفا اليها خطوطا متعرجة متوازية بثلاثة اصابع اولا ثم بأربعة.

وتقدم أحد نسيبيه وزحزح احد الحجار من مكانه في الجدار حتى سقط على الارض وتناثرت من الصوان رقائق اشد مضاء واعظم صلابة من كل انواع الحجار التي كانت العشيرة تستخدمها حتى ذلك الوقت. وتناول الزعيم بخشوع كبير احدى هاتيك الادوات الرائعة التي جادت بها المغارة من بين كنوزها واخذ يحفر بها خطوطا عميقة وعمودية ليجعل منها معلما تستهدي به الأكف حتى في الظلمة الى ان تبلغ موئل الماء. وهكذا فقد اصبحت الخطوط المتوازية المنحوتة في الصخر، اعتبارا من تلك اللحظة، رمزا لبني قومه ودليلا على وجود الماء. وأصبح الرمز واحدا من التقاليد التي يتبعها سكان البلاد الاصليون.

وما ان خرج الثلاثة من المغارة حتى فوجئوا على سطح الارض بعالم قد تبدلت مظاهره: الشمس تسطع في سماء حليمة تتوهج زرقة، وبرك المياه تتلألأ على الارض بينما قبع النساء والاطفال بصمت يتظللون الشجيرات ويرقبون فوهة حفرة الماء يرتوي منها حيوان كثيف الشعر من فصيلة الكونغورو ويدعى "ديبروتودون" له قواطع مزدوجة وجثة ضخمة وثقيلة بطول مترين لم يسبق لافراد تلك الاسرة ان شاهدوا مثيلا له في حياتهم. وما ان حاول احد الانسباء ان يمتشق رمحه حتى بادره الزعيم بتقطيب حاجبيه وهز رأسه. وظل الآخرون يرقبون الحيوان

العملاق بصمت حتى فرغ من الارتواء والقى نظرة هادئة في اتجاههم ثم انبرى ببطء عبر السهول التي اجتازوها في اليوم السابق.

عودة روح الأم — ودعا كبير الاسرة العجوز الى عقد مجلس خاص قال فيه ان ذلك الحيوان الضخم ما هو الا روح الام التي خلفوها وراءهم على الشجرة، وقد جاءت على هذا الشكل لتتصالح مع ارواح الاسلاف الذين حكموا هذا المكان والسماء التي تعلوه. وقال ايضا انهم سيصبحون اعتبارا من تلك اللحظة "شعب الديبروتودون" فلن يقدموا بعد الآن على قتل حيوان من هذه الفصيلة، يجوب الارض على انفراد.

وجرى الامر على خلاف ذلك بالنسبة الى سائر انواع الكونغورو. فقد قتل الرجال واحدا منها كبير الحجم بينما كان يرتوي من احدى البرك القريبة، وسحبوه نحو النار، وتناول الصياد احدى عصي المشاعل لكي يدير بها جسد الذبيحة فوق النار، فلاحظ ان المادة الصمغية في طرف العصا قد التصقت التصاقا شديدا بقطعة الصوان الحادة التي جاء بها من المغارة، وراح يؤرجح العصا يمينا ويساراً مختبرا مدى توازنها بينما كان عقله مشغولا بالافكار. ثم انتزع بعض العروق من ساقي الكونغورو وربط بها القطعةالصوانية في شكل حلقة، واحكم ما بينها وبين طرف العصا التي علقت بها على هيئة حلقة اخرى فوق ممسك العصا بحيث تشابكت العروق في شكل رقم ثمانية بالافرنجية، فتمكن بذلك من صنع اول ازميل حجري.

واختار الصياد بقعة صغيرة لا تبعد كثيرا عن المخيم وراح يستعمل الاداة الجديدةفي حفر قبر لابنه الميت، فلبث الاداة واخذت تحدث في الارض شقوقا عميقة حادة الجنبات. ودفن الطفل في الحجرة مسجّى على جانبه كأنما هو يغط في النوم. ورأس زعيم الاسرة العجوز مراسم الدفن، وبعد ان حدد اطراف الجثة بحجار المرو البيضاء والصفراء التي التقطها القوم من السهول، اخذ العجوز يطوف حول القبر، وينغم التراتيل، ويقذف التراب بقدميه فوق الصبي الميت.

وقبيل الفجر اخذ الصياد مشعلا واتجه نحو المغارة مرة اخرى حيث اكتشف ان "الديبروتودون" العملاقة قد خلفت وراءها آثار حوافرها في الوحل المحيط بحافة حفرة الماء. ولا شك في انها ستكون دائما موضع ترحيب في هذه الارض المقدسة الجديدة. ولعل انها، اذا ما درت ببقاء آثارها على حافة المياه، سترى في ذلك ما يشجعها على الورود متى شاءت. وراح الصياد يعمل رقاقات الصوان في حفر عشرات الخطوط المتقاطعة على جدار الكهف لهذا الغرض. ثم فكر في انواع الكونغورو وقرر ان لا بد لها، هي ايضا، ان تشعر بالترحيب في هذا المكان، وراح يحفر في الصخر مزيدا من الخطوط التي تمثل آثارها، لكي تهتدي بها الى الماء.

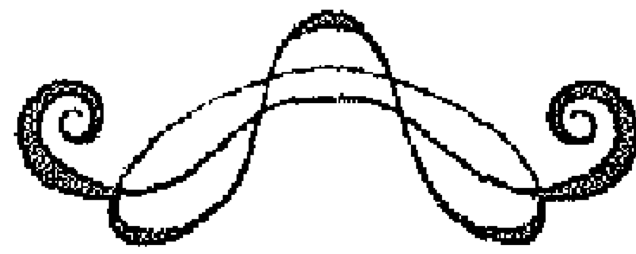
ولكنه، قبل كل شيء، وفوق اي اعتبار آخر، شاء ان يسترضي روح امه، فاختار مكانا بعيدا عن تلكالنقوش واخذ يحفر في الصخر خطوطا منقوسة تكوّن رمزا لاولاده

عندما يشبون فتنبئهم بما جادت عليهم به روح امه النبيلة، فينقلون الفضل بدورهم الى ابنائهم من بعدهم.

الوطن المقدس الجديد – وما ان اتم مهمته في المغارة، حتى امسك بحافة الصخر وراح يرتفع بجسمه الى الفلاة، واذ بقطعة صغيرة من الصخر تنكسر في احدى قبضتيه، ذكرّه شكلُها بقبضة ولده الميت. فاخذ تلك القطعة الصخرية وراح يفركها بالمغرة الحمراء المقدسة التي احضرها العجوز معه من الشمال ثم وضعها برفق كشاهد لقبر ولده. ولا شك في ان الامطار ستزيل الصبغة الحمراء ولكن القبيلة ستحتفظ بهذه الذكرى التي ستذكر أهلها كيف ان ذلك الابن كان اول من توفي من ابناء عشيرته في الموطن القائم في هذا السهل.

ورقد الصياد قرب النار الداخنة الى ان ارخت الظلمة الحالكة سدولها فوق الأرض، فاستسلم للنوم العميق هذه الليلة.

■ لينارد بايكل



سر الحكمة

من لا يعرف ولا يعرف انه لا يعرف: ذاك احمق فتجنبه.
من لا يعرف ويعرف انه لا يعرف: ذاك بسيط فعلمه.
من يعرف ولا يعرف انه يعرف: ذاك غافل فأيقظه.
من يعرف ويعرف انه يعرف: ذاك حكيم فاتبعه.

حكمة عربية

فن السياسة

مرة سئل السير ونستون تشرشل عن المؤهلات التي يظنها ضرورية لسياسي ناشىء، فزم شفتيه بطريقته المعهودة، ودمدم بعد تفكير: "انها القدرة على التنبوء بما سيحدث غداً، او بعد اسبوع او شهر او سنة". وبعد هنيهة اضاف: "ومن ثم القدرة على ان تفسر اسباب عدم تحقق النبوءات".

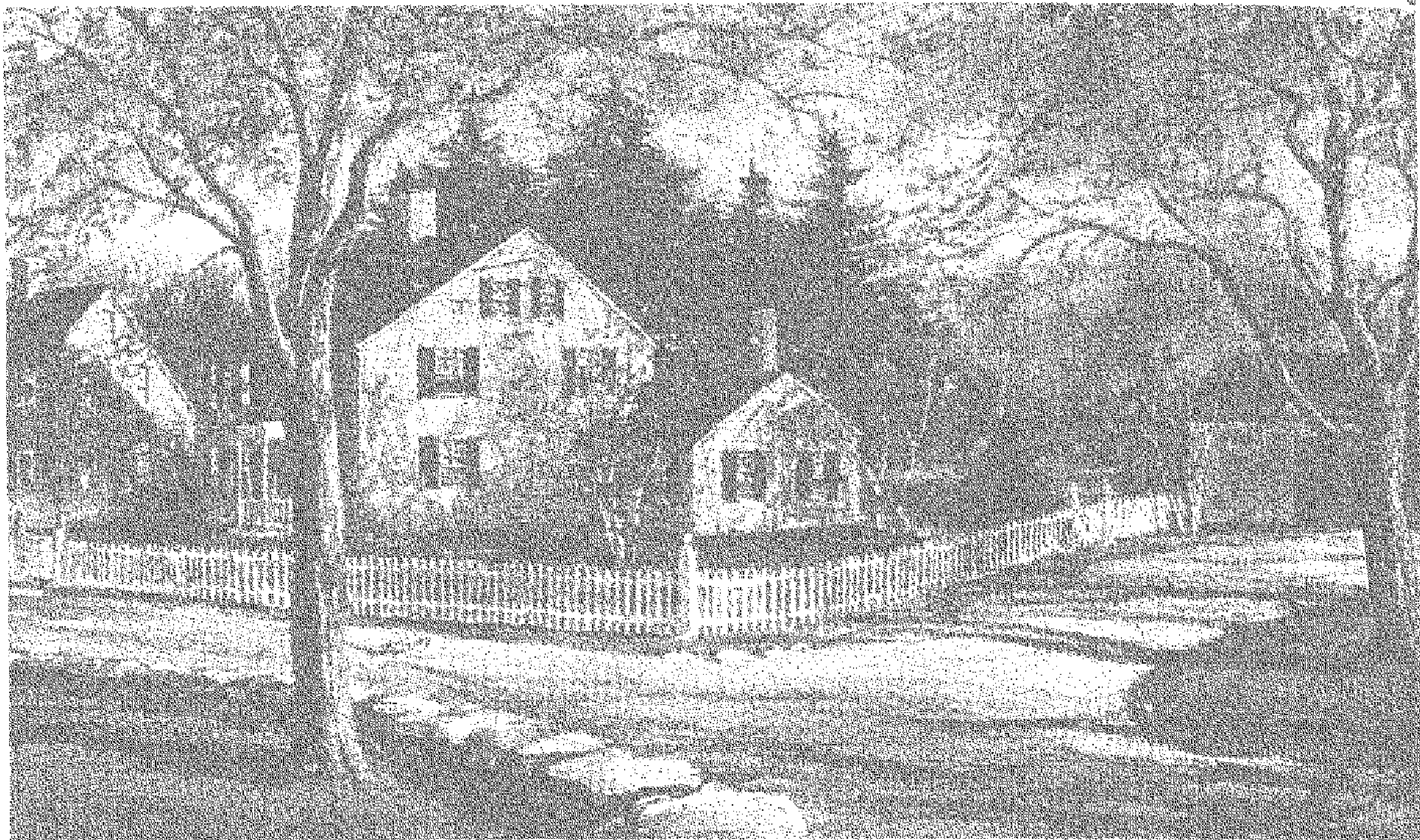
كتاب "فطنة السير ونستون"

عاشق السينما

توجهت امرأة الى شباك التذاكر في السينما في الثامنة مساء، وسألت الموظفة هناك: "هل رأيت صبيا صغيرا يعتمر قبعة زرقاء وكنزة حمراء؟" اجابت الفتاة: "اذا لم تخنّي الذاكرة، فقد جاء صبي بهذه الاوصاف في الثانية بعد الظهر لكنيلم اشاهده يخرج". فأخرجت المرأة رزمة من حقيبتها وهتفت: "انه ولدي. هل تتكرمين باعطائه هذه الرزمة؟ انها عشاؤه".

مجلة "دي زايت"، هامبورغ

ماذا يحدث عندما يتحول فجأة انسان اعتاد سهر الليالي طوال حياته ليصبح "مدمناً" مراقبة بزوغ الفجر؟



مفاتن الفجر

حدث منذ سنوات ان استيقظت ذات صباح، مبكرة ومبتهجة على نحو غير معهود. ان الساعات المنبهة تضبط على الاوقات المبكرة، اما انا فلم أعتد ذلك، بل اعتدت ان اعيش ليلا. ولئن كان من الممكن ان انهض واتحرك منذ ساعة الشروق، الا ان ذلك كان يحصل من غير وعي تام.

لا اذكر انه حدث في يوم ما ان شعرت بالبهجة في تلك الساعة المبكرة الا في ذلك الصباح العجيب اذ استيقظت على احساس ملح بالنشاط والخفة، ففتحت نافذتي على منظر الشروق الذي جعل مني انسانة جديدة.

على الافق سطع ضوء تخلل اوراق الربيع التي تكسو الغابة الصغيرة وفي حديقة صغيرة بين بواكير الزهر

انتشرت بيوت العنكبوت، فامتدت خيوطها الملونة وتناسجت وسطعت الواجهات الشرقية للمنازل المصطفة. وهربت الظلال غرباً فتسلقت الجدار واوتاد السياج ورسمت على النخيل شرائط ارجوانية. وتنادت الطيور فتداخلت الحانها كالنسيج الشفاف من سكون الهواء النقي.

فاستغرقت في التأمل واخذت اصغي متعجبة، وقد انتابني شعور لازمني ذلك الصباح كله بأني اعيش حدثاً غير عادي. مرت ساعات انجزت خلالها اعمالا عدة. وغمرني شعور باليقظة والفرح، ونمت الفة بيني وبين الاشياء التي ابصرتها وتلك التي لم ابصرها من حولي. ولما تجاوزت الشمس سمتها، فعلت الشيء نفسه. وقضيت بعد الظهر على غير هدى، في انتظار ان تستيقظ احاسيسي وتنتعش كما اعتدت دائماً في الماضي كلما طلع القمر.

ولكن بدلا من ذلك، اويت الى فراشي بعد العشاء مباشرة.

لم يساورني شك في ان حياتي انقلبت رأسا على عقب، واني سوف ابقى اتعجب لكل شروق شمس، واستغرق في النوم في الاوقات التي ينام خلالها الاطفال.

لقد بت انسانة تهوى ساعات الشروق، واصبحت ساعتي "مضبوطة" على الصباح، كما كان والدي من قبل. ولا يسعني، كلما استيقظت مبكرة، الا ان اتذكره . واكاد اشعر بأني اسير الى جانبه الساعات الطويلة التي كان يمشيها، بينما كنت ووالدتي غارقتين في سبات عميق.

في اللحظات الدقيقة التي تفصل بين الليل والنهار، كان والدي يقف على نافذته ويتأمل النجوم الاخيرة تتلاشى، ويلمح الهالة الخافتة التي تسبق انبلاج الفجر. وهو كان يرى جمالا في الظلال والاشباح الشاحبةالتي تسبق شروق الشمس، اذ انه اعتاد عليها. وكان يراقب الغيوم،سواء أكانت كثيفة أو خفيفة، واوراق الاشجار التي تتطاير مع الريح وسطح الجليد الاملس او كثافة الضباب. فقد احب تلك الاشياء كلها لاقترانها بالصباح الباكر.

القهوة الساخنة تملأ فنجانه وشرائح اللحم تبقبق في المقلاة ومصباح المطبخ يتوهج فوق المائدة حيث كان يتناول طعام الصباح والكتاب في يده، فيرفع رأسه بين الحين والآخر لينظر الى الشمس الصاعدة. وفي الساعة السابعة كان يوقظ امي ويوقظني.

وكان يقول: "انه ليوم جميل". ويودعنا بقبلات على وجهينا اللذين غضنهما النعاس. ثم يذهب الى عمله مبتهج القلب وقد تناول غذاء الروح، ويمر بالحديقة، فاذا كان الموسم مؤاتياً، قطف زهرة يزين بها عروة سترته.

لقد تزوجت رجلا يعشق الفجر، ظانة اني كنت على علم بذلك. ولكن في الايام الاربعة عشر الاولى من حياتنا الزوجية، كنت استيقظ كل صباح على صوت ادراج تفتح وتغلق بعنف فيما كان زوجي الجديد يفيض مرحاً ويصفر ويغني في الحمام ويناديني: "انهضي. تعالي شاهدي هذا الشروق!"

وفي صباح اليوم الخامس عشر قذفته بوسادة! ثم توصلنا الى اتفاق استمتع بموجبه بالنوم في الفجر،بينما يعتني هو بالحديقة ويعيد تسقيف المدخل ويمارس رياضة العدو الشائعة هذه الايام. وعندما كان يرقد في احلك ساعات الليل، كنت اجلس اخيط واهز صغارنا، واقرأ وأتأمل المدفأة لاراقب السنة اللهب وهي تتلاشى في موقدها ويغلب الرماد على لونها الوردي. ومرت الاعوام ونجحت حياتنا، اذ لم يحاول احدنا ان يغير من طبيعة شريكه.

اما الان، وقد تحولت الى مخلوق يهوى الفجر، فمن انا ؟

اني انسان جديد. فبعد اربعة اعوام من النهوض المبكر، لا تزال الطاقات النبيلة التي تكمن في نفسي تثير في احاسيس غير عادية.

وكل مرة افتح نافذتي اشعر بذرات الشمس على جلدي واحس بالهواء العليل فوق رأسي، فاختار كتاباً (ربما كان ذلك وراثياً) واقرأ قليلا في سكون الفجر الساحر.

ومع شروق الشمس تبدو التلال وقد غلبت ظلال الفجر الارجوانية على واجهتها المظلمة لتكتسي باللون الوردي.

واشاهد قارباً وحيداً يتهادى في المرفأ، مخلفاً وراءه عقداً من اللؤلؤ على صفحة اليم. ثم ينفتح باب في آخر الشارع لتخرج منه عجوز تهدل وتقود كلبها المسن.

ان الاشياء البسيطة المقترنة بالفجر تولد لحظات يفوق عمقها كل وصف وتتجاوز قوتها حد الاحساس. هناك ايام تشعر فيها النفس المستوحدة في الصباح بأنها تفردت بجمال العالم كله. فتجد نفسك في تلك اللحظات وقد غمرك الانشراح.

ولكن من ذا الذي يهمه سماع شيء عن مثل تلك اللحظات في عصر انشغل فيه الناس بالحديث عن الضرائب واعمال العنف؟

حقاً اني احب المرح والكلام ولا غنى لي عنهما، ولكن عليك ان تلحق بي قبل طلوع القمر. فان رفقتي ليست مسلية في الليل.

وهذه هي المشكلة! فالولائم لا تقام والناس لا يجتمعون الا ليلا. وتفوتني المناقشات السياسية التي تدور حول الموائد في آخر الليل، والحكايات الطريفة والاسرار المهموسة... موضوعات لا حد لها وخيال هزلي. اني افتقد منظر القمر وافتقد نفسي التي كانت تتمتع بالسهر ليلا.

ثم يأتي الصباح. ان عالم الخامسة صباحاً منعش وعجيب مثل تفاحة على غصن شجرة.

هل هناك شيء اسفت عليه عندما اسلمت اجفاني لسلطان النوم؟ لقد استمتعت باكثر من اربعين عاماً من الليالي. وقد سعدت اليوم بصباحي هذا.

■ جوان ميلز

تفاؤل

هناك من يتذمر دائما لأن للورد شوكا. اما انا فاشعر بالسعادة لأن فوق الشوك وردا.

الفونس كار



كم يخفف من آلام المريض
أن يرى الى جانبه شخصا يمسك بيده فيتسرب اليها دفء المحبة

بين الموت والحياة

ان كان هناك ما يميزنا، انا وروني وولدينا التوأمين ستيفن وسكوت، عن سائر افراد العائلات الهانئة، فلعله اعتزازنا بولدينا أكثر من معظم الآباء بابنائهم. لقد اوشكنا ان نفقدهما لدى ولادتهما في يناير (كانون الثاني) ١٩٦١ قبل الموعد المنتظر بستة اسابيع. وكانا غاية في الصغر والنحول، مما حمل الطبيب على انذاري بأن حظهما في الحياة لن يتجاوز نسبة ٢٥ في المئة.

بيد ان تلك الايام العصيبة الاولى ولّت، وبلغ الصبيّان السن العاشرة في اغسطس (آب) ١٩٧١ ليصبحا مفعمين حيوية ونشاطا. كنا نعيش آنذاك في فيلمور في ولاية كاليفورنيا، وهي بلدة صغيرة تحتضنها الجبال وتحجب عنها

الضباب والدخان من لوس انجيليس الواقعة الى الجنوب. وحاول ستيفن وسكوت الانضمام الى فريق شباب فيلمور لكرة القدم، واجتازا الاختبار الصحي بنجاح. لكن المسؤولين قرروا ان وزنهما اخف من أن يسمح لهما بالعضوية.

وتمنيت ان يدفعهما هذا الاخفاق الى الاقبال على الطعام بشهية اكبر. لكن امنيتي لم تتحقق، بل لاحظت ان شهية سكوت اخذت بالتدني منذ اواخر سبتمبر (ايلول) بعد اصابته بالتهاب في حنجرته جعل بلع الطعام مؤلما.

اصطحبت سكوت الى عيادة طبيب العائلة. وبعد الفحص قال لي الدكتور مارتن: "اخشى ان تكون مشكلة سكوت جديدة، فقد تبين من الصور بالاشعة ان هناك غددا متورمة وبقعا على الرئتين. وأنا انصح بارساله الى المستشفى لاجراء مزيد من الفحوص".

وعدنا الى غرفة المعاينة حيث كان سكوت ينتظرنا ببشرته التي لوحتها الشمس وابتسامته العريضة المشرقة وعينيه البنيتين الواسعتين المليئتين ثقة واطمئنانا. ايعقل ان ينتقل بنا الحديث فجأة الى ارسال ولدي القوي هذا الى المستشفى؟

لم يتكشف شيء عن فحوص الدم والجلد والاشعة، فاقتضى الامر فحص الشعب الهوائية وزرع انسجة من العقد اللمفاوية في المختبر.

وفي اليوم التالي ابلغنا الدكتور مارتن ان زراعة الانسجة اظهرت اصابة سكوت بمرض هاجكينز السرطاني، واذا تم حصر التورم في المنطقة التي تعلو الحجاب الحاجز فقد تزداد احتمالات شفائه. وتلعثم الطبيب قبل ان يكمل: "اما اذا تطور المرض ليشمل منطقة اسفل الحجاب الحاجز فلن تكون الاحتمالات مشجعة".

المرحلة ٤ ب - قررنا ان ننقل سكوت الى مستشفى الاطفال في لوس انجيليس حيث تتوافر له العناية المثلى. وهناك عاينه الدكتور كينيث وليمس، الاختصاصي في الاورام وفي امراض الدم، وراح يحادثه عن أخيه وعن مدرسته. ثم اخبره بعزمه على اجراء مزيد من اختبارات الدم (الامر الذي جعل سكوت يهمهم متذمرا) اضافة الى التصوير بالاشعة وتخطيط العقد اللمفاوية.

بعد بضعة ايام رأى الدكتور وليمس ان الوقت أصبح مناسبا لاجراء جراحة اختبارية تمكنه من معرفة مدى انتشار الورم. وما ان انتهت الجراحة حتى اصطحبني مع زوجي الى قاعة الاجتماعات تحت الردهة التي يرقد فيها سكوت حيث ابلغنا بهدوء: "لقد صنفنا مرض سكوت في المرحلة ٤ب".

كان ذلك اسوأ ما توقعت سماعه. لكني قلت في قرارة نفسي: "لا تبكي، بل فكري في ما تحتاجين الى ان تعرفيه". وسألت الطبيب: "كم يستطيع المرء (ولم اقوَ على لفظ اسم سكوت) ان يعيش حين يكون في المرحلة ٤ ب من مرض هاجكينز؟"

أجاب الدكتور وليمس: "نحو سنتين".

لم يسعنا، روني وأنا، سوى ان يمسك احدنا بالآخر. فقد كنا غارقين

في حزن عميق لما حل بولدنا سكوت وبنا . وقال روني: "لا اريده ان يعرف الحقيقة، احتفظي بذلك سرا بيننا".

توهمنا ان هذا القرار سيمكننا من السيطرة على الموقف. وحين عدنا الى غرفة سكوت ابلغته وكأني اروي حادثا بسيطا: "انك مصاب بمرض هاجكينز، وسيعقد الاطباء اجتماعا خاصا لتحديد افضل الطرق لمعالجتك وشفائك".

ولم يتفوه سكوت الا بكلمة واحدة: "أوه".

اجمل صيف - قرر الاطباء معالجة سكوت كيميائيا. وانتابنا القلق حول آثار هذا العلاج، فقد قيل لنا ان سكوت سيتقيأ بضع ساعات وربما بضعة ايام بعد كل جلسة، وقد يبدأ شعره بالتساقط ويغدو جسمه اقل مناعة. لكنه لن يضطر الى ملازمة المستشفى، بل سيراجع الدكتور وليمس في قسم الاورام وامراض الدم في مستشفى الاطفال.

بعد مغادرته المستشفى كتب سكوت (وكان يدون كل انطباعاته): "اذكر طريق عودتي الى البيت. لقد رأيت شجر الجوز عاريا لدى اقترابنا من فيلمور عند الاصيل. كان الاصيل جميلا، وكنت قد قضيت اكثر من شهر من دون ان اخرج الى الطبيعة. رأيت الشجر والعشب والطير والشمس ترحب بي. وللمرة الاولى منذ شهر شعرت بسعادة حقيقية".

عاد سكوت الى المدرسة بعد عطلة الميلاد، وساعده ستيفن على تعويض كل ما فاته من دروس. ومع حلول ربيع ١٩٧٢ بدأت صحته تتحسن. وكنت، طوال تلك الفترة، اصلي من أجله. وفي زيارتنا اللاحقة للعيادة، ابتسم الدكتور وليمس وقال: "لدي اخبار طيبة. ان نتائج صور الاشعة احسن من أي وقت مضى". لقد استجاب الله لصلواتي.

وتساءل سكوت: "هل يمكنني التوقف عن العلاج؟" فأجاب الدكتور وليمس: "كلا، سنجري بعض الجلسات الاضافية".

عند ذاك بدأ ما اظنه اجمل صيف في حياتنا. كان لكل يوم رونق وبهجة، وامتلأ البيت بضجيج الصبيين واصدقائهما وهم يتراكضون الى حوض السباحة طوال النهار. وسادنا شعور بأننا تجاوزنا مرحلة التوتر الذي تملكنا ذلك الشتاء الطويل. ولولا الايام التي زرنا فيها عيادة الطبيب، لكدنا ننسى مرض سكوت، فقد ازداد وزنه وبدا اكثر سمرة وعافية.

وذات يوم من ابريل (نيسان) ذهبنا الى العيادة ليفاجئنا الدكتور وليمس بقوله: "لا علاج اليوم يا سكوت. ولا حاجة بعد الان الى تناول الاقراص".

وما ان بلغت العبارة الاخيرة مسمع سكوت حتى اشرق ثغره بابتسامة انارت الغرفة كلها، والتمعت عيناه البنيتان بأصفى غبطة قد يتخيلها المرء. في تلك الليلة اطلق سكوت سهما ناريا احتفظ به منذ ذكرى الاستقلال، ناذرا الا يطلقه الا يوم شفائه.

وسجل سكوت انطباعه: "لقد شفيت، فلا آلام بعد اليوم. وتحررت من قيود المستشفى لأشعر طوال ثمانية اشهر بأني اسعد الناس.

"ولكن قبل اسبوع او اثنين من انتهاء السنة الدراسية، شعرت بألم في عنقي لم يلبث ان تكرر ثلاث مرات او اربعا في اليوم، ثم بدأ يشتد. وابلغني الدكتور وليمس بضرورة معاودة العلاج".

وذات ليلة أصيب سكوت بنوبة قيء طويلة، فاستلقى ارضا في الحمام وقد اعاقه الوهن عن النهوض. وشحب لونه وتصبب عرقا، فغطيته بمنشفة. وجلس ينتظر النوبة التالية. عندئذ طرح علي، متوسلا، السؤال الذي طالما طرحته على نفسي: "لماذا يا اماه؟" ولم يكن ثمة جواب.

في انتظار المعجزة – في ذلك الشتاء الذي أعقب عيد ميلاده الرابع عشر، تغير موقف سكوت ازاء مرضه، واجتاحته موجة جديدة من الكآبة. وقد كتب: "وصلنا الى المستشفى في الساعة الحادية عشرة. فتوجهت الى المختبر حيث سلمت بطاقتي وانتظرت، وأخذت افكر. اني أكره هذا المكان: غرفة مغلقة وحفنة اطفال مرضى وهواء عفن. أنا لا انتمي الى هنا، وحري بي ان أكون في فيلمور، في المدرسة مع رفقائي. علي مغادرة هذا المكان قبل ان يقتلني".

بدأ سكوت الكتابة عن مرضه من تلقائه ومن دون مشورة أحد. ثم اقترح عليه مدرس اللغة الانكليزية ان يكتب عن تجربته في المستشفى موضوعا يعوض به ما فاته من واجبات. وحين استوضح سكوت الدكتور وليمس في شأن بعض الحقائق، طلب منه الطبيب نسخة عن تقريره.

أثار تقرير سكوت اعجاب لجنة من اداريي المستشفى واطبائها ابدت رغبتها في ادراجه في البرنامج التدريبي للاطباء المتمرنين. وغمر الفرح سكوت يوم تسلم رسالة اللجنة التي جاء فيها: "نود ان نشكرك بحرارة لتسجيل انطباعك عن تجربتك في هذا المستشفى. لقد زودتنا مخطوطتك بمعلومات مهمة ربما مكنتنا من مساعدتك ومساعدة المرضى الآخرين وتوفير عناية طبية فعالة".

وكنت اذا دخلت غرفة سكوت خلال استغراقه في الكتابة، افاجأ به يغطي دفتره الاخضر بذراعيه. ولم استطع قراءة كلماته الا بعد مضي اشهر. وكم تأثرت بها، اذ كانت تفوق تقاريره المدرسية صراحة ونضجا، وكأنما المرض اكسبه وفرا من الحنكة والاتزان:

"مارس (آذار) ١٩٧٦. عدت، اذا، الى العلاج. وماذا بعد؟ ربما قضي الامر. ربما دنا اجلي. ولكن لماذا؟ سوف ينتهي الصراع ذات يوم، فاما ان انتصر واما ان أموت. وسأقبل النتيجة ايا كانت. لقد نهكني التعب وأود ان استريح".

في الثالث من ابريل (نيسان) ١٩٧٦، وجدت سكوت يلتهب من أثر الحمى. وارتفعت حرارته الى ٣٩،٤ درجة مئوية، واجتاح الالم جسمه كله.

وعاينه الدكتور وليمس في المستشفى، ثم نظر الي بجدية وقال: "ان خلايا دم سكوت تظهر تغيرا. ونلاحظ فيها بعض خصائص سرطان الدم".

سرطان الدم؟! كان ذلك اكثر مما يستطيع سكوت احتماله، فبدأ ينتحب

بهدوء من دون ان يتفوه احد بكلمة. وبعدما أكدت الاختبارات وصور الاشعة اصابة سكوت بسرطان الدم، قلت للدكتور وليمس: "اظن ان علينا تعلم التعايش مع هذا المرض وتعليل النفس باستنباط عقار جديد".

كيف أحب - نقل سكوت الى قسم العناية الفائقة نظرا الى معاناته صعوبة في التنفس. وبعد يومين دعاني الدكتور وليمس الى الحضور مع روني الى قاعة الاجتماعات، حيث كان مع طبيبين آخرين. وطرق الدكتور وليمس صلب الموضوع مباشرة: "علينا ان نقرر الان اذا كنا سنضع سكوت على جهاز لتنشيط القلب، فقلبه لن يصمد طويلا". وهنا قال روني بحزم: "كلا، لا آلات بعد الآن".

والتفت الى أحد الطبيبين وقلت: "لقد سمعت رأي الدكتور وليمس، فما رأيك انت؟"

فأجاب بهدوء: "لقد اتسع نطاق المرض. ان سكوت مصاب بسرطان الدم، ويبدو ان اعضاءه الرئيسية اصيبت هي الاخرى. أظن ان جهاز تنشيط القلب سيطيل مدة وضعه الحالي من دون ان يحسنه".

اومأت برأسي ودنوت من روني. ثم عدنا الى غرفة سكوت حيث لم نستطع رفع اعيننا عنه. وفاجأنا متسائلا: "اهذا عالمي؟" وقد جاءت كلماته متمهلة موجعة. وسألته في ذهول: "ماذا تقول يا عزيزي؟"

فكرر السؤال وهو يصارع الغيبوبة: "أهذا عالمي؟"

لقد كان على الحد الفاصل بين الموت والحياة. وأجبت: "نعم يا سكوت. هذا عالمك. انك هنا في المستشفى مع امك وابيك، كما ان ستيفن هنا ايضا". ولمس ستيفن كتف أخيه. وتراقص ضوء الحاسبة الالكترونية فوق سرير سكوت ثم خمد. ودخل الاطباء والممرضات حابسين انفاسهم، ثم تراجعوا منسحبين. لم يعد هذا العالم عالم سكوت، فقد ارتحل الان الى عالم آخر يخلو من الألم. لقد مات سكوت!

مرت اسابيع، فرحت اقلّب اوراق سكوت. واذا بي اعثر على قطعة عنوانها: "كيف يمكن ان اظهر الحب؟" يقول فيها:

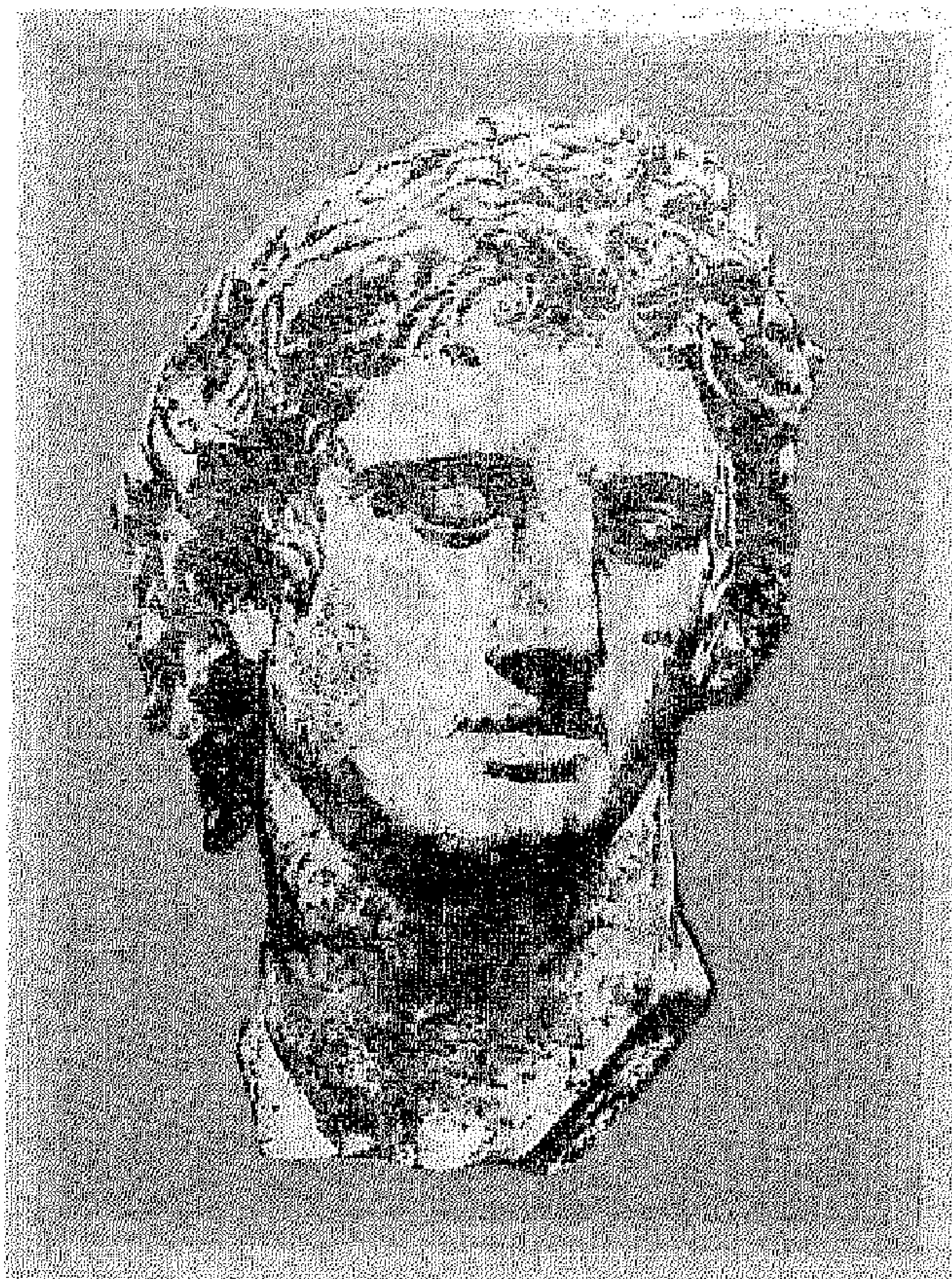
"سأظهر الحب بأن أكون صاحب تبصر وحنان، وأن اقدم العون بأي طريقة استطعت. وربما كان الاحتضان والتقبيل اسلوبا رقيقا. وسأظهره كذلك بأن ابتسم حين تغمر الغبطة الشخص الذي أحب، وأن أكون مصدر اطمئنان وحنان حين تنال الكآبة منه. كم يُفرح الانسان المريض ان يرى الى جانبه شخصا يمسك بيده فيتسرب اليها دفء المحبة".

قرأت ذلك مرارا وأحسست كأن سكوت يبوح لنا بحبه عن طريق اظهار ادراكه مدى محبتنا له.

■ ايلين ابسويتش

السعادة هي كل انواع التعاسة البعيدة عنا

ايف ميراند مجلة "لوهيريسون"، فرنسا



الاسكندر الأعظم

إن ذكرى أبرز الفاتحين في التاريخ لا تزال حية في ذاكرة العالم المتحضر بأكمله

في صباح يوم من أيام شهر مايو (أيار) عام ٣٣٤ قبل الميلاد، عرض ملك شاب قواته على الجانب الأوروبي من مضيق الدردنيل، ثم تقدمهم في الصعود الى القوارب التي تنتظرهم. وعندما اقتربت سفينة قيادته من الساحل الآسيوي للمضيق، أمسك بحربة طويلة وقذف بها الى الشاطىء امامه فانغرست في أرضه. ثم وثب من قاربه ليكون اول الواصلين الى اليابسة.

بهذه البادرة الرمزية انطلق الاسكندر الأكبر ليغزو جانبا كبيرا من العالم المعروف في زمنه. ولعله كان أعظم قائد عسكري في التاريخ حظي بالاعجاب والحسد والدراسة من

هنيبعل ويوليوس قيصر ونابوليون وجورج باتون وجميع طلاب الكليات العسكرية دونما استثناء. أما سعة أفقه وعقله الذي لم يكن يكف عن التساؤل فقد رفعا هامته الى علو تقصر دونه قامة أي فاتح آخر.

غير ان ارتفاع قامته ذاك امر مجازي فحسب، لأن الاسكندر كان قصير القامة الى حد غير عادي لم يتجاوز المتر ونصف المتر. وكان يقال عنه انه وسيم، ذو جبهة بارزة وأنف مستقيم وفك ناتىء. وهو، الى ذلك كله، أصغر الفاتحين العظام سنا، إذ انه أصبح سيد آسيا الصغرى في الثانية والعشرين، وسيد بلاد فارس الجبارة في الخامسة والعشرين.

وكان الاسكندر في الثانية والثلاثين من عمره عندما توفي عام ٣٢٣ قبل الميلاد، بعدما فتح امبراطورية تمتد من يوغوسلافيا الحالية الى الهند، وتضم كل بلغاريا الحالية او معظمها، وكل (أو معظم) فلسطين ومصر وليبيا والعراق وايران وأفغانستان، وأجزاء كبيرة من الاتحاد السوفييتي. وبعد اكثر من قرنين ونصف قرن على وفاته، بكى يوليوس قيصر وهو يقرأ عن كل ما انجزه الاسكندر في عمره القصير، وراح يؤنب نفسه لأنه رجل مخفق.

سر أبيه — كان والد الاسكندر، الملك فيليب المقدوني، من اعظم العباقرة العسكريين والسياسيين في التاريخ. ولعله كان جديرا بأن يسمى فيليب الكبير لو لم يتفوق عليه ابنه الى ذلك الحد البعيد. فقد كان فيليب هو الذي انشأ ذلك الجيش الصغير، المخيف، الرائع، الذي قاده ابنه من بعده. وكان فيليب هو الذي رفع شأن مملكته المقدونية الى الذروة حتى اخضع لسلطانها معظم مدن اليونان التي لم تكن تكف عن التناحر.

وحرص فيليب على ان يختار معلمي ابنه بدقة وعناية. وكان من بينهم واحد معجب بالانضباط الاسبرطي الصارم، فعلم الأمير الصغير فضيلة الصبر والمثابرة والتحمل. ثم جاء ارسطوطاليس العظيم، ففتح امام الفتى آفاقا أخرى واسعة: في علوم الأخلاق والفلسفة والسياسة والنبات والتشريح والتاريخ والأدب، جاعلا من الاسكندر اوسع الفاتحين ثقافة على مدى عصور طويلة. وكان الاسكندر يحتفظ تحت وسادته بخنجر ليحمي نفسه من الاغتيال اولا، ويضع الى جانبه نسخة فريدة من الياذة هوميروس، خطها له ارسطوطاليس بيده وأضاف اليها تعليقاته الخاصة.

وفي العام ٣٣٦ قبل الميلاد قتل الملك فيليب غيلة، فعمت الفتنة والتمرد معظم الشعوب التي كان قد اخضعها. فقد ظن اولئك الأقوام انه لم يعد هناك ما يخشونه من الملك الجديد الغرير. لكن الاسكندر راح يضرب شمالا وشرقا وغربا، ثم جنوبا في ارض اليونان نفسها. ودمر مدينة طيبة الهلينية تدميرا كاملا بلا رحمة (في ما عدا أحفاد الشاعر بندار وبيته، وهي لفتة اسكندرية مميزة). ولم تلبث باقي المدن اليونانية ان فتحت له ابوابها من دون خسائر تذكر في الارواح.

وسرعان ما اخذ الاسكندر بعدئذ يتأهب لحملة يونانية شاملة يغزو بها آسيا، لكي يعاقب الفرس على غزوهم اليونان قبل زمنه بمئة وخمسين عاما. وكانت فارس في ذلك الوقت اغنى

الامبراطوريات، ولا تدانيها في الجبروت أي دولة أخرى في العالم المعروف.

والأرجح ان جيش الاسكندر لم يكن يزيد على ٣٠ ألفاً من المشاة و٥٠٠٠ من الفرسان. ويقال انه عندما بلغت انباء هذه القوة الضئيلة مسامع الملك الفارسي دارا الثالث، اغرق في الضحك.

ووقعت المعركة النهائية مع دارا على ارض العراق الحديث. وكان جيش دارا هائلا. وقالت الروايات ان عدد جنوده بلغ المليون، بحيث بدا جيش الاسكندر اشبه بجزيرة ضئيلة على وشك ان تبتلعها موجة مد عاتية. وانتزع الاسكندر النصر بمناورة تقليدية تعلمها من أبيه، اذ جعل قلب جيشه يجتذب الهجوم الرئيسي للعدو، ثم قاد بنفسه هجمة صاعقة، ولكنها تامة التنظيم والانضباط، على رأس فرسانه حول جناحه الايمن، وانقض على الجناح الأيسر العاري للعدو. واوشك في احدى اللحظات ان يقترب من دارا اقترابا كافيا لأن يضرب الملك الفارسي برمحه. لكن دارا ترك ساحة المعركة واسرع بالفرار، وسقط بعد حين صريع الاغتيال على ايدي رجاله. فلم يطل الامر بجيشه حتى انهار.

وهم يتبدّد — كان الاسكندر غادر بلاد اليونان وفي رأسه عقيدة أكدها ارسطوطاليس بأن الفرس بشر من الدرجة الثانية، ضعاف، لا يصلحون الا ليكونوا عبيداً. ولكن عندما اصطدم بهم، اكتشف انهم اهل نبل ووقار وثقافة وحضارة، وأن بعضاً من التدريب والانضباط كفيل بأن يجعل منهم جنودا شجعاناً. فأقام صداقات مع العديد منهم، واختار ثلاثين ألفاً من أفضل شبابهم لكي يتدربوا على فنون الحرب المقدونية ويتعلموا اللغة اليونانية.

وباستثناء عدد قليل من اصدقاء الاسكندر الحميمين، فان معظم رجاله - بمن فيهم اعلاهم مرتبة وأنبلهم محتداً، وهم اولئك الذين كان يطلق عليهم اسم "الرفقاء" - كرهوا ان يروا مليكهم يتآخى مع اولئك الذين كانوا لا يزالون يعتبرونهم اعداء.

فهم جاؤوا منذ البداية ليقتلوا الفرس وينهبوهم، وكان يبدو ان الاسكندر متفق معهم في ذلك. فعندما بلغوا العاصمة برسيبوليس، اذن لهم ان ينهبوها كيف شاؤوا، ولم يحجب عنهم سوى القصر الملكي الكبير الذي احتفظ به لنفسه.

وكان معظم الجنود المقدونيين، بمن فيهم الاسكندر نفسه، يفرطون في الشراب. وذات ليلة، في محفل شراب ضخم داخل القصر، صاح احد المقدونيين قائلا ان الفرس احرقوا معابد أثينا قبل ١٥٠ عاما، فلماذا لا يحرق المقدونيون الآن هذا القصر الذي فيه يجلسون؟

فانتفض الاسكندر وقاد موكبا ثملا مترنحا اخذ يلقي المشاعل الملتهبة في مختلف انحاء المبنى الرائع البديع. وسرعان ما تصاعدت السنة النار من جميع اركانه، فثاب الاسكندر الى رشده وحاول ان ينظم عملية اطفاء الحريق، لكن السهم كان قد نفذ ولم يعد الامر ممكنا. ومن الغريب ان جريمة العربدة هذه كانت لها ثمرة ايجابية في أيامنا: فعلماء الآثار الذين حضروا الموقع وجدوا ان الركام المحترق قد حفظ النقوش

الحجرية الرائعة في القصر على حالها الأصلية تقريبا ٠

وكان الاسكندر يقاتل الى جانب رجاله في الخطوط الأمامية، ويدخل مثلهم في معارك الالتحام المباشر ٠ وعلى سبيل المثال، هاجم الجيش ذات مرة مدينة هندية محصنة ذات اسوار عالية، منيعة، جعلت المحاربين المقدونيين الجبابرة انفسهم يترددون ٠ فجاء الاسكندر نافد الصبر وأمسك بسلمتسلق عليها السور مع ثلاثة من اصدقائه، ثم وثب بشجاعة خارقة الى الداخل وسط الاعداء الذين احاط محاربوهم الاشداء به وبأصدقائه الثلاثة ٠ ومضى الاسكندر يقاتل بعنف، لكنه اصيب في النهاية بسهم طوله متر اخترق صدره ٠ فسقط على الأرض، وتقدم احد "الرفقاء" فأمسك فوقه درعاً ليحميه ٠

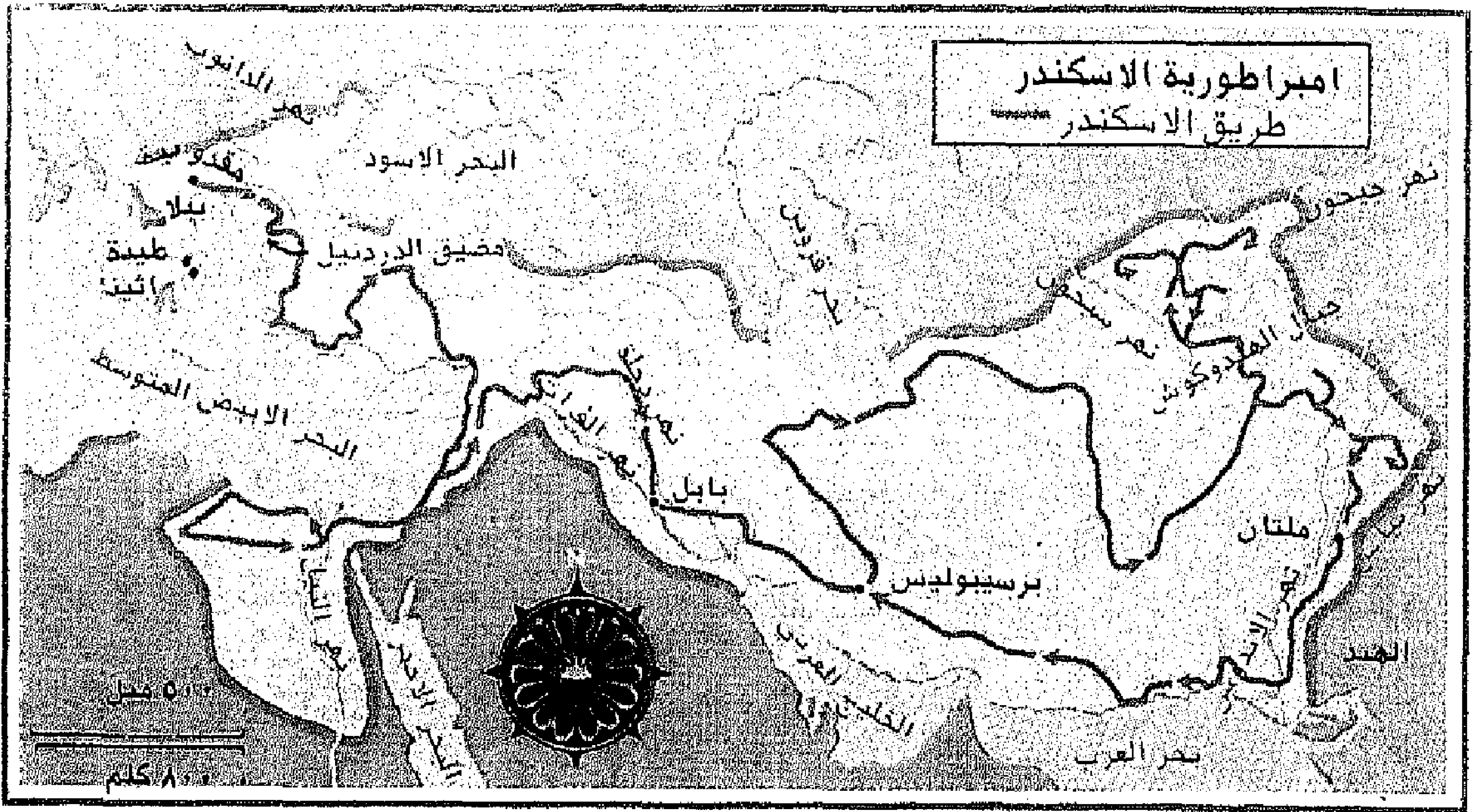
وكان المقدونيون الذين تبعوه مهتاجين قد اقتحموا خطوط دفاع العدو بأعداد كبيرة في تلك اللحظة ٠ وعندما رأوا ملكهم يسقط صريعا كما بدا لهم، مضوا يثأرون له بقتل كل رجل وامرأة وطفل في المدينة ٠ لكن الاسكندر، حين علم ان جنوده يحسبونه ميتا، امر بأن يوضع وهو جريح في قارب مكشوف ٠ ومضى به القارب فوق صفحة النهر امام الجنود المصطفين على الضفتين، وهو يرفع يده اليمنى محيياً اياهم بجهد مضن ٠ ثم طلب جواده واعتلاه وسار به بضع خطوات، ترجل بعدها ليمضي على قدميه خطوات اخرى وسط هتافات الجنود المتصاعدة كهزيم الرعد ٠ ولا عجب انهم تبعوا ذلك الرجل حيثما قادهم ٠٠٠ وأين تراه لم يقدهم؟

كشف المجاهل — وعندما بلغوا موضعاً قصياً في ما يعرف اليوم باسم البنجاب، أعلن المساحون المصاحبون للاسكندر ٠ الذين كانت مهمتهم ان يقيسوا الطريق التي يقطعونها، انهم قطعوا ١٨،١٠٠ كيلومتر في ثماني سنوات ٠ واذا كانت جولات الاسكندر ورحلاته عسكرية، فان هناك احساسا قوياً بأن الاسكندر كان يجتذبه الظمأ الى المغامرة والاستكشاف ٠ وقد قال احد كتاب سيرته القدامى: "كان من دأبه ان يسعى دائما الى ما وراء المعلوم" ٠

وكانت تصحب الاسكندر على الدوام كوكبة من العلماء والفنيين ٠ وقد ارسل الى بلاد اليونان من الاراضي التي فتحها عينات من البذور والنباتات والمعادن والطيور، واكتشف توابل جديدة، وخصوصا القرفة (الدار صيني) ٠ وقد تضاعفت انواع التوابل التي كان اليونانيون يستخدمونها خمس مرات بعد رحلات الاسكندر ٠

وكان ارسطوطاليس قد علّم الناس أن العالم ينتهي وراء سلسلة جبال الهندوكوش مباشرة، حيث يقع النهر الهائل الذي يدور حول الارض كلها، ويسمى المحيط ٠ لكن الاسكندر، عندما بلغ جبال الهندوكوش وجد ان العالم يمتد بعدها من غير نهاية في ممالك غنية متعاقبة ٠ وقاد رجاله بتشوف - وهم يقاتلون في معظم الاحيان - عبر اربعة من انهار البنجاب الخمسة العظيمة ٠

لكنه عندما بلغ النهر الخامس - المسمى "هيفاسيس" - رفض رجاله ان يتبعوه، كذلك فعل قواده ٠ فهم سمعوا ان هناك جيوشا أكبر لا تزال



امامهم، وان كان يحتمل ان يكون العامل الحاسم الذي حطم معنوياتهم هو الأعاصير الموسمية المخيفة. فقد ظلت السماء مليئة بأمطار لا تكف عن الهطول طوال ثلاثة اشهر. وكانت الحرارة الرطبة الثقيلة تؤدي، خلال دقائق معدودة، الى فساد الطعام وصدأ الدروع والاسلحة وكانت الجلود تتعفن في ليلة واحدة، والثعابين السامة تغزو مواقع المعسكر في زمر متلاحقة.

وواجه الاسكندر رجاله في صلابة الجلاميد لينبئهم بأنه سيواصل مسيرته وحيداً اذا اقتضى الأمر، وبأن في امكانهم ان يعودوا الى مقدونيا ليخبروا اهلها انهم تخلوا عن مليكهم وهجروه وسط صفوف العدو. فصمت الجميع وكأن على رؤوسهم الطير.

غير ان الاسكندر اكتشف في النهاية مخرجا لائقا يحفظ ماء وجه الاطراف جميعاً، اذ اعلن ان العرّافين وجدوا ان جميع النذر غير مؤاتية، وانه، بناء على ذلك قرر، ان يعود رضوخا لمشيئة الآلهة. ولكن قبل ان يعود ادراجه، جعل رجاله يبنون ١٢ مذبحا ضخما، كرّس كل واحد منها لأحد آلهة الاغريق الأثني عشر الرئيسية. ومن المحقق ان بقايا هذه المذابح الضخمة لا تزال موجودة في مكان ما من شمال غرب الهند.

آثار ومآثر ـ لقد خلّف الاسكندر لدى عودته آثارا يفوق عددها كثيرا عدد تلك المذابح المفقودة. ولعله لم يكن يتصور، في أبعد احلامه مغالاة في الخيال، ان قروناً طويلة متعاقبة بعده سوف تشهد المسرحيات الاغريقية الكلاسيكية تمثل امام رجال القبائل الرحل وسط فارس، وان مشاهد من الاساطير الاغريقية ستنحت وتنقش على الحجر في اماكن بعيدة مثل الهند، وان السجاجيد والطنافس والقصور في الشرق ستحمل آثار

التصاميم الاغريقية - ذلك كله بفضل حملاته المذهلة. ولا عجب ان اسم الاسكندر - وهو التحريف الأسيوي لاسمه الحقيقي "الكسندروس" - لا يزال شهيرا ذائعاً في آسيا حتى اليوم.

ويزعم علماء الآثار انهم يستطيعون ان يتابعوا مسيرة الاسكندر خطوة خطوة تقريبا، مستعينين بما بقي من الأعمدة والمسارح والمعابد الاغريقية. وقد أسس هذا الفاتح الفذ عددا من المدن يفوق كثيرا ما اسسه اي فاتح آخر، وأطلق على الكثير منها اسم "الاسكندرية"، نسبة الى نفسه. واصبحت احداها - وهي تلك التي انشئت في مصر - منارة للثقافة الاغريقية، ثم القلب النابض والعقل القائد والروح المهيمنة على الفترة التي يطلق عليها اسم "الهلنستية"، عندما اصبحت الثقافة الاغريقية هي الثقافة المشتركة في منطقة الشرق الأوسط كلها.

غير ان هذا كله كان في عالم الغيب البعيد عندما قبل الاسكندر عام ٣٢٦ قبل الميلاد ان يستسلم لعناد جنوده ويستدير غرباً. وقد عاد الى بلاده ليجد في انتظاره انباء سيئة كانت نتيجة لغيابه الطويل. ذلك ان العديد من الحكام والقادة الذين تركهم في مواقع السلطة تحولواالى طغاة فاسدين شرسين، فاضطر الى اعدامهم.

وأخيرا استتب السلام، وبدأ الاسكندر يضع خططا جريئة لمغامرات مقبلة.فأمر ببناء الف سفينة في بابل وبارسال قوات كبيرة جديدة اليها.

غير ان اشتراكه في حفلة شراب كبيرة ربيع ٣٢٣ قبل الميلاد، انتهى بذهابه الى فراشه وهو يعاني الحمى. وقد تحدثت الروايات في ما بعد عن اصابته بسم دس له. لكن الارجح انه اصيب بالملاريا التي زادت من وطأتها تعقيدات اصابت كبده بسبب افراطه في الشراب. وعندما الغي موعد انطلاق الجيش الذي كان قد تحدد، سرى النبأ بين جنده باقتراب النهاية. ثم سمح لهم بالمرور في صف متتابع الى جوار المضجع الذي تمدد فوقه مليكهم المحتضر، وقالوا في ما بعد انه كان يحييهم بحركة من عينيه. وكان الاعتقاد السائد منذ زمن ان الاسكندر اكثر من انسان، كما كانت مدن يونانية كثيرة بدأت تقدسه كإله. اما الآن، في لحظة الحقيقة، فقد انحنى فوقه احد القادة وسأله: "من تريد ان يكون خليفة لك؟".

وهنا بدا على شفتي الملك انه يبذل جهدا ليبتسم، ثم همس: "الأفضل".

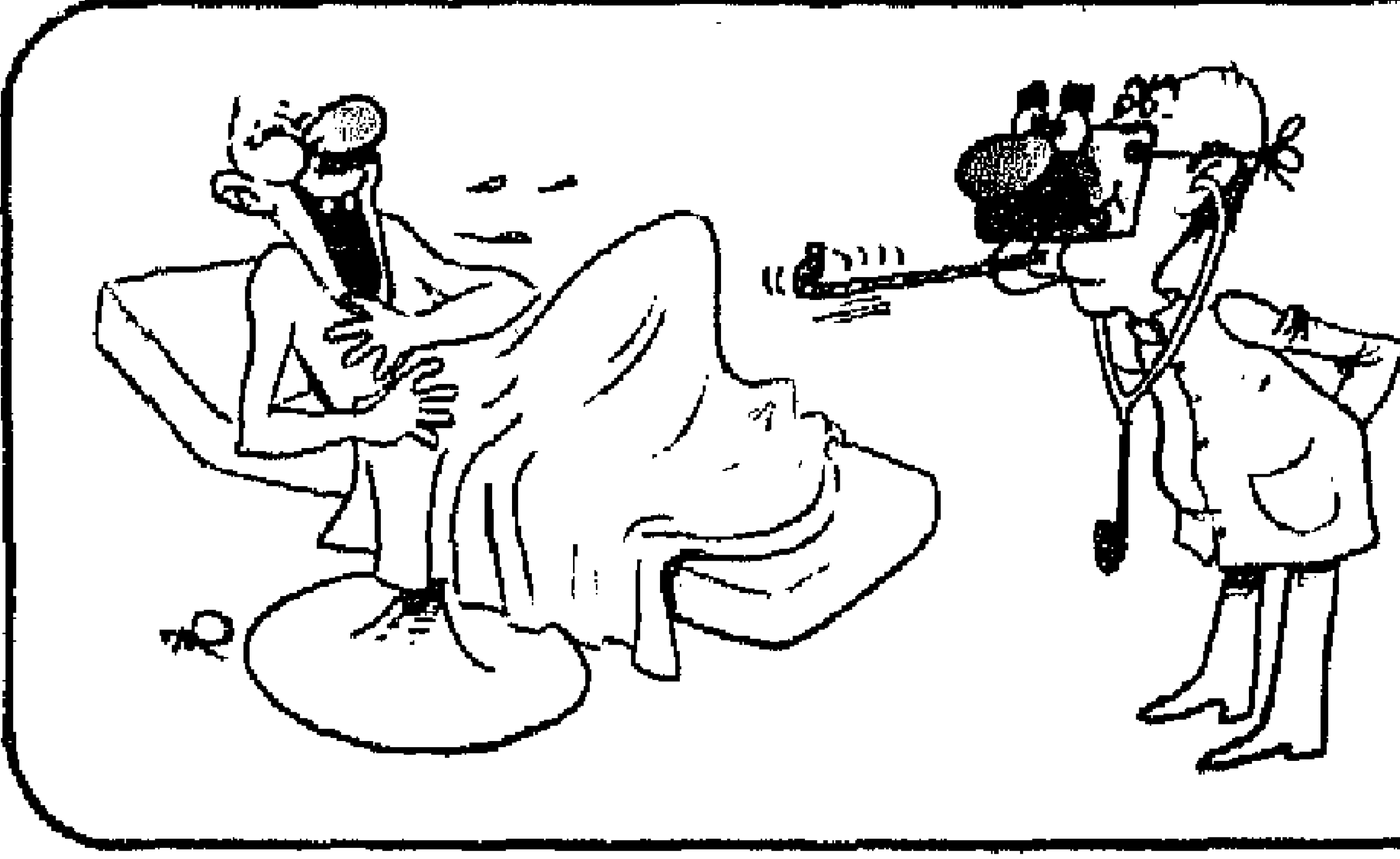
الا ان افضل خليفة له لم يستطع ان يحافظ على الامبراطورية الاسطورية التي اقامها اعظم الفاتحين. فقد فتح الاسكندر في تاريخ العالم عهداً جديدا لم يعد يمكن ان يبقى فيه شيء كما كان في الماضي.

■ غوردون غاسكل

لا يمكن ان يكون هناك كذب اكثر مما نسمع قبل الانتخابات وخلال الحروب وبعد الصيد.

بسمارك

الضحك خير دواء



مفارقة

قررت ادارة المقبرة رفع اسعار المدافن، معللة ذلك بارتفاع تكاليف المعيشة

ج.ب.

سبب وجيه

سأل المدير سكرتيرته الشابة الجذابة: "هل لديك ارتباطات خاصة خلال عطلة نهاية الاسبوع؟"

فأجابت الفتاة في خجل: "لا".

– حسناً، اذاً ارجو الا تتأخرى عن موعد العمل صباح الاثنين.

ج.د.د.

الغاية والوسيلة

طلب الطفل ذو الاربع سنوات من ابيه ان يشتري له دراجة، فقال الاب: "اذا اشتريت لك دراجة، فلن يكون في امكاننا شراء جهاز تلفزيون". وهنا اجاب الصغير: "لا بأس، اذ عند ذاك سأذهب بدراجتي الى منزل جدتي لمشاهدة التلفزيون".

ش.و.ب، تايوان

انكليزي حقيقي

يروى عن الصناعي المعروف هنري تشرشل ابن اخ السير ونستون تشرشل والذي ورث الكثير من الصفات العملية عن عمه، انه كان يجري مكالمة تلفونية في اثناء الحرب العالمية الاخيرة من كشك الصحف في فندق "ريتز" في باريس، واذا بقنبلة تنفجر على مقربة من هناك، عصفت بالكشك وزعزعت رفوفه، وحبست هنري تشرشل في داخله. فتملك القلق رفاقه وسارعوا الى الاطمئنان الى سلامته ومساعدته على الخروج من هذه الورطة. وسألوه عما اذا اصيب باي اذى، فاجاب بكل هدوء: "لا، وانما كنت احاول ضغط الزر الثاني لكي استخرج قطعة النقد التي وضعتها للمكالمة".

"ايفننغ ستاندارد"

حلاق آخر زمان

بينما كنت انتظر دوري عند الحلاق رأيت رجلا ينهض من كرسيه متوجهاً الى الخارج وعلى ذقنه أثر جرح خفيف، ثم يقف متردداً ويعود ليمنح "البقشيش" حلاقاً آخر واقفاً بجانب الأول ويقول له "هذا لأنك لم تحلق ذقني اليوم".

ث.و.

بالشكر تدوم النعم

كان الرجل يتناول عشاءه فغص وشعر بالاختناق، فالتفت الى زوجته وقال "سأموت الآن يا عزيزتي، ولدي شيء اخير لا بد ان اصارحك به، لقد خنتك"، فانحنت الزوجة نحوه في حنان وقالت متأثرة "أعرف ذلك، يا حبيبي، ولهذا اشكرك على ما تفعله الآن من اجلي".

أ.ف.

غداء يليق بالمقام

اشترى رجل أرنباً ودعا جاره الى مشاركته في تناوله وقبل ان يحين موعد الغداء طرق الباب، فسأل: "من؟" فأجاب الطارق: "أنا جار جارك"، فقال: "أهلا وسهلا" • وبعد لحظة طرق الباب ثانية فقال الطارق: "انا جار جار جارك" • وتكررت العملية حتى امتلأ البيت بالجيران، فلما حان وقت الغداء احضر صاحب البيت طشتاً مملوءاً بالماء الساخن، وقال: "تفضلوا" • فسألوه: "ما هذا؟" فقال "هذه مرقة، مرقة الأرنب!" •

ابرهيم الجارودي السعودية عن "سين جيم"
الدكتور عبد السلام العجيلي

من نصدق؟

كتبت الأم الى ابنها تهنئه بخطوبته فقالت في خطابها: "يا ولدي العزيز، أنا وأبوك نشعر بمنتهى الفرح والسعادة بهذا النبأ ونحن ننتظر يوم زفافك بفارغ الصبر • ان الزوجة الصالحة هي نعمة من نعم الله على الرجل • بارك الله فيك وفي عروسك" • وقرأ الأبن الرسالة ووجد في نهايتها ملاحظة كتبت بخط آخر: "لقد ذهبت امك للبحث عن طابع بريد لا تقدم على هذه الحماقة أيها الغبي وعش أعزب" •

سوداني يونس – المغرب
من "الف نكتة"

اول ابريل

اثناء دراستي للحصول على شهادة في علم النبات، وصلت ذات صباح الى المختبر وبدأت كالعادة انفذ التعليمات المطبوعة على ورقة لانجاز تجاربي • وزنت اولا الكمية المطلوبة من اوراق نبتة جافة بنية اللون ذات اسم لاتيني غير مألوف، ثم نقعتها بدقة في ماء مغلي وتركتها فيه ثلاث دقائق وبعد ذلك جاءت مرحلة التصفية حيث فصلت المادة النباتية عن السائل واضفت اليها السكر، حسب التعليمات • وبعد عبارة "اضف اما عصير الليمون الحامض او الحليب" قلبت الصفحة لأجد العبارة الآتية "والآن اشرب السائل" •

وادركت فجأة ان اليوم هو الأول من ابريل (نيسان) وأني لم احضر في تجربتي المعقدة سوى كأس من الشاي!

ب•و•

شمس لعوب

في اوج الثورة الثقافية التي شنها الحرس الاحمر ضد العناصر المسماة "بورجوازية" و"رجعية" في الصين، سأل المعلم طلابه ان يضربوا له مثلا على عنصر "رجعي" • فأجاب احد الطلاب: "الشمس" • فسأل المعلم:

"ولماذا الشمس؟"

– لانها تأتي من الشرق، ثم لا تلبث ان تتجه نحو الغرب •

مجلة "العالم اليوم"، هونغ كونغ

عمل اضافي

بالاضافة الى كتابة المقالات عمل اريك هوفر مفرغاً للسفن في المناء، وقد كتب مرة الآتي:

"مضت علي قرابة السنوات الثماني منذ تقاعدت من عملي في الميناء لكني لا ازال افرغ السفن واحملها في احلامي، بل اني استيقظ احيانا في الصباح وانا اشعر بالألم ينتاب جسدي من جراء عملي الأضافي ليلا • ومن حق المرء ان ينظر الى الراتب التقاعدي كأجر عن العمل الذي نستمر في ادائه في احلامنا بعد ان نتقاعد" •

اريك هوفر "قبل الاجازة"

البخت المبخوت

قارىء البخت: ستظل فقيرا وتاعسا حتى الثلاثين •

الزبون: وبعد ذلك؟

قارىء البخت: وبعدذلك ستعتاد على هذه المعيشة •

د•ت•و•ب•م

عَودٌ الى الديزل؟

طالما استهان السائقون بذلك المحرك القوي. لكنه، كطائر الفينيق، انبعث فجأة من رماده

ربما استغرب السائقون ان تكون سيارت الركاب المزودة بمحرك ديزل اكثر السيارات رواجاً على طرق اوروبا الغربية. فقد ظل الناس ردحاً من الزمن يعيبون على هذا المحرك ضجيجه المفرط وبطء حركته وقبح رائحته، فأنفوا اقتناءه وانزلوه منزلة تضاهي منزلة سيارات الشحن. اما اليوم فقد بدأ اصحاب السيارات يعدلون عن هذا الموقف، بل هم يفكرون جدياً في التحول الى مناصرين لهذا المحرك.

اثارت فضولي هذه الشهرة غير المتوقعة التي يحظى بها ذلك المحرك القديم، فأجريت بعض الجولات الاختبارية في عدد من احدث السيارات المزودة به في شتى البلدان الاوروبية، وتحدثت مع اصحابها ومع مهندسي محركات السيارات وخبراء الطاقة. وقد رأيت ان اعرض في ما يأتي ما استخلصته:

قبل كل شيء،تجدر الملاحظة ان شركات انتاج السيارات فيكل مكان تتزاحم على احتلال مركز مرموق في سوق الديزل الرائجة. فمنذ العام ١٩٧٣، تزايدت مبيعات سيارات الديزل سنوياً بنسبة ١٥ في المئة في ايطاليا واكثر من ٦٠ في المئة في فرنسا، وقفزت الى ١٠٥(في المئة في بريطانيا. وتمثل سيارات الديزل

الآن ٤٧ في المئة من مبيعات سيارات الركوب من طراز مرسيدس - بنز، بعدما كانت هذه النسبة لا تتعدى ٣٥ في المئة عام ١٩٧٣.

اما منتجو السيارات الذين لم يكترثوا لمحركات الديزل من قبل فقد شرعوا في تغيير وجهة نظرهم. وانتجت شركة سيتروين الفرنسية عام ١٩٧٥ سيارة سي اكس - دي، وهي اول طراز لها من سيارات الديزل. وبعد أشهر قليلة، دخلت شركة فولكسفاغن الالمانية حلبة السباق لتنتج سيارة غولف. وفي اسبانيا تعمل شركة كرايزلر على صنع سيارة سيدان ذات محرك ديزل. اما في ايطاليا .فتعتزم شركة الفا - روميو التي اشتهرت بسياراتها القوية والسريعة ابدال سيارة "جوليا" ذات محرك الديزل القديم بطراز جديد مزود بمحرك ديزل حديث. ويقول احد المسؤولين في شركة الفا - روميو: "صحيح ان هذا التغيير لايتناسب مع صورتنا في السوق، لكننا رجال اعمال، وهناك اناس عديدون يريدون سيارات ديزل".

نصير البيئة - ما هي الدوافع الى هذا الاقبال؟

هناك، اولا، عامل الاقتصاد. فقد شغلت ازمة الطاقة عقول الناس جميعاً ووجهت اهتمامهم الى ضرورة التوفير في استهلاك الوقود، ولا شك في ان محركات الديزل تتيح اجتياز مسافات تفوق قدرة محركات البنزين بكمية الوقود نفسها. يضاف الى ذلك ان نسبة التكرير في الديزل اخف منها في البنزين، ومن ثم فهو اقل كلفة. وتقل رسوم التسجيل والتأمين على سيارات الديزل في بعض البلدان - مثل فرنسا وايطاليا - عن الرسوم المفروضة على سيارات البنزين.

اما العامل الثاني في الاقبال الجديد على محرك الديزل فهو الحرص المتزايد على حماية البيئة من التلوث. ومما يبعث على الدهشة ان محرك الديزل الذي اشتهر بدخانه الكثيف ورائحته الكريهة، يطلق في الواقع كميات من الهيدروكربونات واول اوكسيد الكربون تقل عما يطلقه محرك البنزين.

وهناك حافز آخر على هذا الاقبال يتلخص في التغيير العام في اسلوب قيادة السيارات. فقد عمدت معظم الدول الاوروبية الى فرض قيود على سرعة السير في الطرق الكبرى توفيراً للوقود. وبالتالي فان محرك الديزل، على رغم كونه اقل سرعة من محركات البنزين، يبقى ملائماً بعدما زالت الرغبة في الاسراع.

وقد عبر اصحاب سيارات الديزل الذين تحدثت اليهم عن حماستهم لهذه المحركات. وقال لي الصحافي كلاوس شوستر ٥٢ سنة من مدينة شتوتغارت في المانيا الغربية: "كانت امنيتي ان اقتني سيارة مريحة ومتينة واقتصادية". وعلى هذا الاساس اشترى سيارة ديزل عام ١٩٧٦، وهو يجتاز بها نحو ٢٤ الف كيلومتر كل عام. واضاف: "ان هذا المحرك المتميز ببطء دوراته يتمتع بقوة سحب جبارة. وسواء أقطرت به بيتاً متنقلا او اثقلته باكياس الاسمنت - كما فعلت انا - فقلما تشعر بالفرق في قوة سحبه".

ويقول الانكليزي اوزوالد ثورن من

بلدة هيميل هيمستيدقرب لندن (ولد عام١٩٢٢) انهيستخدمسيارته الديزل بكثير من التوقف والانطلاق خلال عمله مع السلطات المحلية المسؤولة عن الطرق الكبرى· وهو يستهلك ستة ليترات من الوقود في كل مئة كيلومتر يقطعها، في مقابل تسعة ليترات كانت تستهلكها سيارته السابقة ذات محرك البنزين· ويعلق على ذلك بقوله:"كنت اظن محركات الديزل لا تناسب الا الشاحنات، لكني لا ارضى الآن عنها بديلا "·

وفي ايطاليا، يصف رجل الاعمال بيار لويجي تاليوني سيارته الديزل بأنها "مرضية الى ابعد حد"· وهو يقطع بها سنوياً نحو ٤٥ الف كيلو متر في بلد يقل ثمن وقود الديزل فيه عن ثمن البنزين الممتاز بنسبة ٦٦ في المئة· ولذا، فان ارتياحه الى سيارته الديزل يعود، في معظمه، الى عامل الاقتصاد في كلفة الوقود· غير ان تاليوني يشعر ايضاً بأنه اصبح مواطناً افضل، ويقول:"يسعدني ان ادرك ان سيارتي لا تتقيأ كميات كبيرة من المواد السامة التي تلوث الجو"·

اقتصاد واطمئنان – تكمن عظمة محرك الديزل في طريقة الاحتراق: يسحب الهواء الى داخل الاسطوانات لتضغطه المكابس الى معدل يبلغ ٩٥ كيلو غراماً على السنتيمتر المربع، اي ما يقارب ثلاثة اضعاف معدل الضغط في محرك البنزين·ويؤدي هذا الضغط الى تسخين الهواء الى نحو ٦٠٠ درجة مئوية، فيحترق الوقود تلقائياً بمجرد حقنه في الاسطوانة· وتزيد الطاقة الحرارية التي ينتجها وقود الديزل ١١ في المئة انتاج البنزين· وهي، اضافة الى الضغط الكبير، وراء قطع مسافات تزيد بنسبة ٣٠ في المئة على ما تجتازه سيارة البنزين·

ونظراً الى ان محرك الديزل لا يشتمل على نظام اشعال قد يستدعي الضبط او التمرين، فان ذلك يضيف الى ميزاته الاولى التوفير في مجال الصيانة· وتقضي ضرورة الصمود امام الضغط الهائل بان تكون الاجزاء الرئيسية في محرك الديزل- مثل الاسطوانات والعمود المرفقي (عمود الكرنك) والمكابس البستونات – على درجة عالية من المتانة تزيد من قدرة المحرك على التحمل· وليس من الامور النادرة ان يقطع الانسان بسيارة الديزل مسافة ٣٠٠ الف كيلومتر اذا بقي هيكلها متماسكاً·

عندما تقود سيارة ديزل، فانك تلاحظ الفرق بينها وبين سيارة البنزين بمجرد ادارة مفتاح التشغيل· ذلكان لا شأنهنا لجهاز الانطلاق· فشموع الاشعال (وهي اجهزة كهربائية صغيرة داخل الاسطوانات لتسهيل الانطلاق وتعرف بـ "البوجي" تبدأ في تسخين الاسطوانات ويستغرق ذلك عادة نحو ٣٠ثانية (او اكثر قليلا في الطقس الشديد البرودة)، وهي فترة تتيح لك ان تعتدل في جلستك وتثبت حزام الامان· بعد ذلك تدير المفتاح حركة اخرى فيزأر جهاز الانطلاق ويبدأ المحرك في الدوران، وبذلك تصبح على اهبة التحرك بسيارتك من دون حاجة الى صمام للهواء ولا خطر من اغراق المحرك بالوقود ولا تهديد بالارتجاج او التوقف كما يحدث في محركات البنزين·

واستطيع التأكيد انه خلال جولاتي الاختبارية وسط ازدحام السير في المدينة، اثار تقديري ما يتمتع به محرك الديزل من قوة سحب هائلة في السير البطيء - الامر الذي يقلل الحاجة الى تغيير اوضاع مقبض السرعة بحيث يمكن الاسراع انطلاقاً من ١٥ كيلومتراً في الساعة في وضع السرعة الثالثة. وهذا العمل كفيل بجعل محرك البنزين يرتعد ثم يتوقف تماماً. ويوفر الضغط الاعلى في محرك الديزل قدرة اكبر على الكبح (الفرملة) عند التباطوء. وقد لاحظت في اثناء التوقف عند اشارات المرور ان الضجيج الصادر عن المحرك يفوق ضجيج محرك البنزين. لكن هذا الفرق تضاءل عندما عدت الى سرعة ٥٠ كيلومتراً في الساعة.

اما على الطريق المفتوحة، فقد اتضح لي ان محرك الديزل يبعث على الثقة والاطمئنان، ذلك انه اذا كان في امكان سيارة البنزين ان تنتقل خلال ١٤ ثانية من الصفر الى سرعة ١٠٠ كيلومتر في الساعة، فان سيارة الديزل تحتاج الى ٢٤ ثانية لاتمام هذه العملية. كما ان السرعة القصوى في معظم السيارات التي اختبرتها كانت تقل بنسبة عشرة في المئة عنها في سيارات البنزين. غير ان القيود المفروضة على السرعة في الطرق الرئيسية جعلت هذا الفرق قليل الاهمية.

اما تجاوز السيارات فهو امر آخر، لان سيارة الديزل التي كنت اقودها جعلتني اخطط لمناورات التجاوز قبل الاقدام عليه بوقت كاف، كي اتجنب السيارات الآتية في الاتجاه المعاكس. اما في الطريق المتصاعدة فقد كنت امتنع عن الاسراع.

لكن هناك ثمناً لا مفر من دفعه للتمتع بمزايا الديزل، هو ارتفاع اسعار السيارات المزودة به. ذلك ان اجزاء المحرك المتميزة بالصلابة والمتانة باهظة التكاليف وتحتاج الى جهاز اشعال اكبر والى بطارية اقوى. وعلى ذلك، فان ثمن شراء سيارة الديزل يزيد على ثمن سيارة البنزين المناظرة لها بنسبة تراوح بين ١٥في المئة و ٣٠ في المئة. لكن ثمن بيع هذه السيارة مستعملة يزيد ايضاً على ثمن نظيرتها ذات محرك البنزين بالنسبة نفسها.

ايهما اجدى؟ - على رغم ان البحوث الرامية الى تطوير محركات الديزل نشطة وتشمل اكثر من مجال الا ان اقرب تحسين ينتظر ان يطرأ يتناول اسلوب الشحن الزائد. وهو اسلوب تقني قديم ومعروف يستهدف زيادة قدرة المحرك عن طريق وصله بمروحة تدفع مقداراً اكبر من الهواء داخل الاسطوانات، فتزداد بذلك كمية الوقود التي يمكن احراقها.

وقد عرضت شركة مرسيدس طرازاً يعتمد هذا الاسلوب في السوق الاميركية خلال صيف ١٩٧٨. وينتظر ان تحذو شركة فولكس - فاغن حذوها بعدما درست ادارة الطاقة في الولايات المتحدة اخيراً سيارة ديزل من طراز غولف (فولكسفاغن) ذات شحن زائد ، يمكنها ان تقطع باربعة ليترات من الوقود مسافة مذهلة تبلغ ١٠٠ كيلومتر. وتفيد حسابات المهندسين ان اسلوب الشحن هذا من شأنه زيادة ١٠ في المئة على المسافة

التي تقطعها السيارة بكمية معينة من الوقود او ٤٠ في المئة على قدرة محركها٠

وعلى رغم الاعتقاد المتزايد ان ساعة تكنولوجيا الديزل قد دقت بالفعل، الا ان امر استخدامه لا يزال مثاراً للجدل في اوروبا الغربية٠ ويظن عدد من مهندسي البترول ان ارتفاع الطلب على وقود الديزل سيتيح لشركات النفط تحسين نوعيته، اذ ان وقود الديزل يستخدم الرواسب الثقيلة في النفط الخام بعد ان تزال منه المواد الخفيفة اللازمة لصنع البنزين٠

وتفيد تقديرات السوق المشتركة ان دولها الاعضاء تستطيع توفير نحو ستة ملايين طن من النفط سنوياً اذا تزايد فيها انتشار الديزل٠ لكن هناك خبراء آخرين يخالفون هذا الرأي٠ مثال ذلك ان الوكالة الفرنسية للتوفير في الطاقة ترى ان الاجدى تحسين اداء محرك البنزين بدلا من صرف مبالغ اكبر على تطوير محركات الديزل٠

ومما يزيد حدة هذا الارباك ان فرنسا ودولا اخرى تسعى الى تشجيع المستهلكين على استخدام سيارات الديزل، وذلك بوضع تسعيرة لوقود الديزل تقل كثيراً عن اسعار البنزين الممتاز٠ ولكن ربما تنبهت الحكومات الى الغاء هذه الميزة الضريبية، لان زيادة الاقبال على استخدام وقود الديزل الرخيص تؤدي في النهاية الى نقص كبير في ايرادات الضريبة على البنزين٠ وقد فرضت الحكومة الايطالية في فبراير (شباط) ١٩٧٨ ضريبة خاصة على سيارات الديزل، فانحسرت بذلك جاذبيتها الاقتصادية٠ اما فرنسا فقد نفت ما جاء في التقارير المنشورة عن اعتزامها فرض ضريبة مماثلة٠

فائدة قصوى ـ والآن، هل يحسن ان تشتري سيارة ديزل؟ ان الاجابة عن هذا السؤال تتوقف على ثلاثة عوامل هي: اين تسكن؟ الى اي مدى تستخدم سيارتك؟ كيف تقود سيارتك؟

اذا كنت مقيماً في بلد يعظم فيه الفرق بين سعر وقود الديزل وسعر البنزين، فلا شك في ان الديزل يحقق لك فائدة اقتصادية واضحة٠ فاذا راوح هذا الفرق بين ٢٥ في المئة و ٣٠ في المئة، فقد تصل نسبة التوفير الى ٥٠ في المئة في الكيلومتر الواحد، مما يتيح لك تعويض الفرق في الثمن الذي تتحمله لدى شرائك سيارة الديزل٠

وتتوقف سرعة تحقيق ذلك على مدى استخدامك سيارتك٠ وتراوح المسافة الكلية التي تقطعها السيارة سنوياً في اوروبا الغربية بين ١٢ الف كيلومتر و ١٦ الفاً، وهي المسافة التي تعتبرها شركة فولكسفاغن لازمة لتعويض الفرق في السعر لسيارة غولف في المانيا الغربية٠ الا انه اذا ادخلنا في الحساب ميزات الديزل الاخرى، مثل الارتفاع النسبي لسعر اعادة البيع والهبوط النسبي لتكاليف الصيانة، فاننا نرى هذا التعويض يتحقق بسرعة اكبر مما تشير اليه الارقام البسيطة للمسافات المقطوعة٠ وعلى رغم ذلك لا بد لك من ان تجتاز سنوياً مسافات طويلة كي تتوصل الى اقصى استفادة من شراء سيارة ديزل٠

يتوقف اختبارك للديزل ايضاً على طريقة قيادتك للسيارة. ونظراً الى ان اكبر توفير في الوقود يحققه محرك الديزل في مجالات السرعة المنخفضة، وهو يتناقص مع تزايد السرعة على الطرق الرئيسية بين المدن، فان من الافضل للذين يستخدمون سياراتهم في المدن اقتناء سيارات ديزل. ويماثلهم في ذلك سكان الضواحي الذين يستخدمون سيارة العائلة لقطع مسافات قصيرة لشراء لوازم البيت واصطحاب الاطفال الى المدرسة وبلوغ محطات المواصلات العامة وغير ذلك.

بعد حساب كل هذه المعادلات، يظل قرار اختيار سيارة الديزل قراراً شخصياً بحتاً. فالديزل يتطلب اسلوباً متمهلا ناضجاً في القيادة. اما اذا كان مطلبك قيادة سريعة، فان سيارة الديزل لن تحقق لك ذلك - في الوقت الحاضر على الاقل - وان يكن اداؤها الاقتصادي لا يزال يجتذب اعداداً متزايدة من الشارين.

■ جوزف هاريس



الفن والتجارة

اراد فنان معاصر ان يبيع احدى لوحاته، فعرضها على تاجر لوحات اخذ ينظر اليها بسخرية، ثم وافق على دفع جنيه واحد ثمنا لها. فهب الفنان ساخطا وقال: "لكن قماش اللوحة وحده كلفني اكثر من ذلك". وهنا جاء جواب التاجر: "اعرف ذلك. لكنه لم يكن ملطخا بهذه الاصباغ حين اشتريته".

ج.ك.

سر السعادة

سأل صحافي الجنرال فرنكو عن سر السعادة، فابتسم الجنرال واجاب: "لا احد يعرف ذلك. لكنني اعرف طريقتين مضمونتين تحجبان السعادة، اولاهما الرغبة في ان تكون بمثل سعادة جيرانك، والثانية ان تسعى، وانت شيخ، الى السعادة التي كنت تنشدها وانت شاب".

مجلة "المشاكس"، فرنسا

عظمة الصراحة

تلقى ماريشال الاركان اللورد مونتغومري، قائد جيوش الحلفاء في شمال افريقيا في الحرب العالمية الثانية، الرسالة الآتية من صبي عمره تسع سنوات:

"سيدي العزيز: كنت اظنك ميتا، لكن ابي يقول انك لا تزال حيا وستموت عما قريب. لذا ارجو ان ترسل الي صورتك الموقعة سريعا".

ولم يكن من مونتي (وهو الاسم الشعبي للماريشال) الا ان ارسل ما طلب الصبي فورا، وهو فرح لاسلوبه المباشر، متنبئا بأن هذا الفتى سيكون ذا شأن في المستقبل.

صحيفة "صنداي تلغراف"، انكلترا

أسرار لغة من غير كلام

ليس من لغة مشتركة تجمع شعوب العالم، لكن في تراثها جميعاً اشارات قد تكون أصول التفاهم البشري

لو ألقي ثلاثة اشخاص على ساحل جزيرة مهجورة نائية، وكان احدهم نروجياً والثاني كوريا والثالث من شعب الماساي الرعاة، فلن يعدموا امكانية التفاهم على رغم تباين لغاتهم. وسيكون في استطاعتهم الافصاح عن مشاعرهم ونيّاتهم من دون كلام. ذلك لان البشرية جمعاء تتشارك في ذخيرة واسعة من الاشارات البصرية المألوفة. وعلى رغم اننا نجهل منشأ هذه الاشارات، فان الباحثين في اصول السلوك البشري تمكنوا من تقصي جذور عدد من الحركات التي نسلم الآن بمعانيها. وهي في معظمها موغلة في القدم.

حني الرأس ـ يكاد حني الرأس عمودياً، تعبيراً عن الموافقة، يعم ارجاء العالم. وقد تبين منذ اللقاء الاول بين الجنس الابيض والقبائل النائية من سكان اوستراليا وارخبيل تييرا ديل فويغو الاصليين ان افراد تلك القبائل يعبرون عن الموافقة بحني الرأس. بل سُجل هذا السلوك ايضاً لدى اشخاص ولدوا عمياً وصُماً، مما يوحي بأنه تصرف فطري ينتقل وراثياً عبر الاجيال. والواقع ان حني الرأس هو في الاساس بداية لحني الجسم كله دلالة على الخضوع والتسليم.

هزّ الرأس ـ تكاد هذه الحركة ايضاً تكون عالمية النطاق في التعبير عن السلبية او النفي. ويُظن انها، على غرار عدد كبير من الاشارات، من مخلفات حياتنا الشخصية الماضية. اي انها تعود الى ايام طفولتنا الأولى حين كنا نرضع ثدي امنا او حلمة زجاجة الحليب، حيث يعبر الطفل غير الجائع عن رفضه الرضاعة بادارة رأسه جانباً بحدة. من هنا بدأت، كما يظن، اشارة النفي عند الكبار واتسع نطاقها، حتى ان الآباء يلجأون احياناً، لدى تحذير اطفالهم من مغبة الاقدام على عمل ما، الى هز السبابة يمنة ويسرة بحركة شبيهة بهز الرأس نفياً.

تصليب الاصابع ـ حين يقول لك

الغربيون: "اجعل اصبعيك مصلَّبين"، فانهم من وجهة تاريخية يطالبون بعمل من اعمال العبادة المسيحية. ذلك لان رسم اشارة الصليب بتحريك الذراع الى اسفل ثم الى جانبي الجسم تقليد قديم من تقاليد الكنيسة يقصد به حماية النفس. وفي الازمنة المسيحية الاولى كان تصليب الاصبع الوسطى فوق السبابة خفية رمزاً سرياً لهذه الاشارة سرعان ما دخل نطاق الحركات التي يأتي بها الناس، بمن فيهم غير المسيحيين تمنياً للحظ السعيد.

تحريك الاصابع فوق الانف – ان اصل هذه الحركة غير معروف، على رغم انها من اكثر اشارات الازدراء والاحتقار شيوعاً. ويظن انها تمثل عرف الديك المقاتل الذي ينتصب على نحو عدائي عند المنازلة. (ومن الجدير بالذكر ان الاشارات التي ترمز الى الحيوانات مفضلة لدى الناس حين يريدون توجيه الاهانة. (مثل على ذلك تحريك اليدين فوق الاذنين، كما هو شائع لدى الاطفال، محاكاة لحركة اذني الحمار). لكن اشارة "عرف الديك" فسرت ايضاً على انها تحية مشوهة او انها ترمز الى شخصيات ذوات أنوف طويلة، او انها تقليد ساخر لاطلاق القذائف من المنجنيق.

رفع اليدين مشبكتين فوق الرأس – هذه حركة تقليدية تبناها الملاكمون والمصارعون المنتصرون. وهي تظهر جيشان المشاعر عند النصر، ويعبر بها الانسان عن ارتفاع منزلته بزيادة طول قامته. ولهذا ترى الاطفال يقفزون عالياً بانفعال ويعبر الكبار عن الشيء ذاته

وقد تعظم هذه الاشارة برفع البطل فوق اكتاف مؤيديه او فوق سيارة في مقدمة موكب حافل. والحقيقة ان الابطال الرياضيين وكبار السياسيين الذين يجوبون شوارع المدن في سيارات مكشوفة انما يحيْون تقاليد رومانية قديمة حيث كان القائد المنتصر يدخل روما على رأس جيشه في عربة مكللة بالغار تجرها اربعة خيول، وقد صبغ وجهه بالزنجفر القرمزي اشارة الى دم الضحايا، بينما يرفع احد العبيد تاجاً من ذهب فوق رأسه.

التحية العسكرية – تعود هذه التحية في الاصل الى الايام الغابرة عندما كان نزع القبعة عن الرأس جزءاً من الانحناء الذي تكاد القبعة فيه تلامس الارض. وقد اختصرت هذه الحركة التي تعبر عن الخضوع الى مجرد رفع اليد بسرعة واناقة حتى تلامس الصدغ. وهذه هي التحية العسكرية التي ما زالت ايضاً تحية ودية مألوفة بين الناس، حيث يرفع الرجال ايديهم لتلامس أصابعهم طرف القبعة او الصدغ.

رفع الابهام او خفضه – كانت حياة المصارع الروماني المهزوم رهينة في يد خصمه المنتصر الذي كان يعمد اما الى قتله فوراً واما الى العفو عنه. وكان للنظارة عندئذ تأثير قوي على قرار الموت او الحياة تبعاً لوضع اباهمهم. فاذا ما دفعوه الى اسفل، وهي حركة تمثل الطعن بالسيف، فذلك تعبير عن رغبتهم في موت المهزوم. ويسود الآن اعتقاد خاطىء إن اشارة العفو كانت رفع الابهام. أما العبارة الاصلية التي وردت في

النصوص الرومانية القديمة فهي "الاباهم المضغوطة"، اي ان النظارة كانوا يرفعون قبضاتهم في الهواء واضعين اباهمهم تحت بقية اصابع اليد، دلالة على رغبتهم في عدم طعن المهزوم.

اما الان، فقد اصبح رفع الابهام يعني الموافقة او الاستحسان او التشجيع، تماماً كاشارة النصر بفتح الفجوة بين السبابة والوسطى مثل رقم ٧، التي اشتهرت بفضل سير ونستون تشرشل. وقد عمم البريطانيون هاتين الحركتين خلال الحرب العالمية الثانية ويفهم ايطاليون كثيرون رفع الابهام على انه رمز "الموافقة الانكليزية". وهكذا نرى كيف ان هذه الاشارة الشعبية التي بدأت ترجمة سيئة للنص الروماني القديم بُعِثت هذه الايام في بلد آخر.

نقر الصدغ ـ يفهم افراد كثيرون هذه الاشارة على انها تعبير عن البلاهة والحماقة. وقد يعمد المرء، زيادة في الايضاح، الى لوي السبابة فوق الصدغ دلالة على وجود ارتخاء في الدماغ، او الى تحريكها دائرياً قرب الصدغ اشارة الى ان الدماغ يلف ويدور. لكن امثال هذه الاشارات تحير احياناً في مغازيها. ففي المملكة العربية السعودية مثلا يعبر الناس عن البلاهة بلمس الجفن الاسفل بطرف السبابة، او بنقر مرفق الساعد المرفوع باليد الاخرى، او بتحريك احدى اليدين عمودياً وبسرعة امام عينين نصف مغمضتين.

التلويح باليدين ـ لا يقوى الناس على اللقاء او الوداع من دون حركة ما. ويظهر ان الانسان بقي منذ آلاف السنين في حاجة الى "مظاهر التحية". فمنذ ترسيخ اصول توزيع العمل بين الافراد، ابتدع الانسان البدائي طقوساً معقدة للتحية. ولما اقتضى هذا التوزيع خروج الرجال الى الصيد في اوقات معينة وعودتهم بالقنيص لاحقاً، ولما كان لنجاح الصيد او خيبته شأن عظيم في حياة القبيلة، فقد نشأت بين افرادها طقوس خاصة بالوداع والاستقبال. وكانت مظاهر اللقاء، ولا تزال، تتمثل بالاتصال الجسدي كالعناق والتربيت والتقبيل والضحك بل والبكاء. وتسبق لحظة اللقاء بالطبع رؤية الاحباء عن بعد وتمييزهم ويرافق ذلك عادة، في جميع انحاء العالم، نوع من حركات الذراعين، وما التلويح بالكف عمودياً الا وسيلة للتعبير عن التربيت المتوقع والعناق المقبل.

والمصافحة ايضاً احد مظاهر التحية. وقد ارست الحضارات المختلفة قواعد تقليدية للاتصال الجسدي عند اللقاء. ويصر البعض على تلامس الرؤوس، كما في احتكاك الانوف وتقبيل الوجنات.

لكن هذه الاتصالات على تنوعها ليست سوى ضرب من ضروب العناق الذي هو اساس الاتصال الجسدي، اعتدناه رُضعاً واطفالا وشباباً، ونعود اليه كلما سمحت الظروف والعادات لنعبر عن تعلقنا الواحد بالآخر.

■ **ديزموند موريس**

عالم مختص بعلم الحيوان، واسع الانتاج، له ما يزيد على عشرة كتب. من اشهرها: "القرد العاري" و"حديقة الحيوان البشرية".

القارّة الهرِمة

اوروبا قلقة على مستقبلها، اذ يخشى ان يؤدي هبوط معدل المواليد سريعا الى تكاثر عدد متوسطي العمر وكبار السن بالنسبة الى الشباب، ويرى العديد من الخبراء نتائج بعيدة الاثر لهذه الظاهرة

في العام ١٩٦٨، قررت دار "بايار" الفرنسية للنشر - وهي طليعة ناشري مجلات الشباب - اصدار مجلة شهرية للمتقاعدين. فهزىء الاصدقاء متندرين على روبير باغيه مدير التحرير، اذ كانت اوروبا آنذاك تلتهب بتظاهرات الشباب وتحدياتهم للقيم "العتيقة"، وكان الخبراء يتنبأون جهرا بأن الحياة لن تعود ابدا الى سابق عهدها بعدما كتب النجاح للشباب في توطيد سلطانهم وفرض ارادتهم.

اما الان فلم يعد هناك من يهزأ بباغيه او يتندر على مشروعه، لان توزيع مجلته قفز من ٦٠ ألف نسخة الى ٦٥٠ الفا، كما انها تحصل على كل ما تستطيع نشره من اعلانات. والواقع ان باغيه دعم بالبرهان صحة تنبؤه ببروز اتجاه جديد يتزايد معه عدد المسنين ويؤدي بالتالي الى تعديل التكوين السكاني في اوروبا على نحو مطرد. ومثال ذلك ان الافراد الذين يبلغون الخامسة والستين وما فوق في ايطاليا، كانت نسبتهم ٨ في المئة من مجموع السكان عام ١٩٥١، فارتفعت الى ١٣ في المئة عام ١٩٧٨.

وفي المانيا الغربية، نجد ان مواطنا واحدا من كل ستة مواطنين

يزيد عمره الان على ٦٥ سنة، اما أسوج فتتوقع عام ١٩٨٥ ان تكون نسبة سكانها الذين تراوح اعمارهم بين ٨٥ سنة و٩٤ سنة ٥،١٪ في المئة من مجموع السكان. في اختصار، ان التحسن الظاهر في صحة كبار السن وزيادة اعمارهم من ناحية، وتناقص عدد المواليد منذ اواسط الستينات من ناحية اخرى، ظاهرتان تتجهان بالقارة الاوروبية الى يوم (ينتظر ان تبلغه في حدود العام ٢٠٠٠) يتوقع المتنبئون بشؤون السكان ان يتفوق عدد متوسطي العمر وكبار السن على عدد الشباب.

ان الخبراء في شؤون السكان لم يُدهشوا عندما انتهى "انفجار المواليد" الذي اعقب الحرب العالمية الثانية، لكن الذي اذهلهم هو شدة التراجع في معدل المواليد بعد ذلك. فتعويض الافراد الذين يموتون يقتضي ان يكون متوسط المواليد اكثر قليلا من طفلين بالنسبة الى كل امرأة اوروبية.

والواقع ان عدداً كبيراً من بلدان اوروبا يقصر عن بلوغ هذا المعدل المتواضع. واذا استمر معدل المواليد الحالي في المانيا الغربية، مثلا، فانه سيؤدي الى عدد من المواليد لا يزيد على ٤،١٪ لكل امرأة، يقابله معدل لا يزيد على ٨،١٪ للمرأة الاسوجية و٩،١٪ للمرأة من سكان روسيا الاوروبية.

وعندما استطلعت منظمة الامم المتحدة اخيرا رأي واحد من اكبر الخبراء العالميين في شؤون السكان، هو الفرنسي جان بورجوا - بيشاء تنبأ باطراد تدني معدلات الخصوبة وقال: "لقد بلغت حال المعدلات، حتى في البلدان التي تتميز بالخصوبة النسبية مثل فرنسا وهولندا وايطاليا، انها تدنت فعلا الى ما دون مستوى الابدال. والمتوقع في حدود العام ٢٠٠٠ ان تواجه اوروبا هبوطا في عدد سكانها".

انتحار قومي - ولئن يكن القادة الاوروبيون لا يزالون يهتمون، في المقام الاول، بايجاد العمل لافراد الموجة الاخيرة من "انفجار المواليد"، الا انهم ينظرون بعين القلق الشديد الى ما ينذر به تدني عدد المواليد ويقول غاستون ثورن، رئيس وزراء اللوكسمبور، التي تتمتع بمعدل مواليد لا يزيد على ١،١ ويعتبر من ادنى المعدلات الاوروبية: "اننا نرتكب جريمة انتحار قومي". اما الخبير السكاني الاسوجي ايرلاند هوفستين فيحذر قائلا: "اذا عجزت اسوج عن رفع نسبة المواليد، فاننا سنفقد ٢٥ في المئة من مجموع سكاننا في كل جيل. وقد ينتهي وجودنا خلال مئة عام".

ويقول الدكتور كارل شفارتز، رئيس مكتب الاحصاءات الفيديرالي في فيسبادن في المانيا الغربية: "انك ترى المسنين في كل مكان، وتحس بهم في حافظة نقودك، بسبب ما تدفعه من ضرائب".

وفي فيينا يواجه وزير المال هانس اندروشن مشكلة ايجاد الاعتمادات اللازمة للتكاليف المتزايدة لمعاشات التقاعد. وقد ورد في تقرير صادر عن "مجلس اوروبا" انذار بأنه اذا استمرت زيادة نسبة المسنين الى سائر السكان العاملين، فلن يلبث العبء المالي الواقع على عاتق

السكان الاصغر سنا ان يبلغ درجة لا تطاق.

ونرى الان في البلدان الاوروبية مجموعات من كبار الخبراء في شؤون السكان، يعملون على تزويد القادة الوطنيين بالمشورة اللازمة للخروج من هذه المتاهة السكانية العسيرة. وانطلاقا من افتراض استمرار الاتجاهات الحالية، يتوقع هؤلاء الخبراء ما يأتي:

١. الفترة من الان حتى العام ١٩٩٠:

استمرار المنافسة الحادة على الاعمال والوظائف الى ان يتم استيعاب سائر افراد الموجة الاخيرة من "انفجار المواليد" قرب نهاية الفترة. وقد يضطر الكثيرون من شباب اليوم الذين تلقوا تعليما رفيع المستوى الى قبول "خفض واقعي" في قيمة مؤهلاتهم الدراسية والمهنية بأن يقبلوا اعمالا دون مستوى قدراتهم، فيسدون بذلك الطريق على طلاب العمل الذين يأتون بعدهم من خريجي معاهد التعليم. وستكون الترقيات ابطأ. وتيسيرا للعمالة، ستتزايد الضغوط من أجل خفض سن التقاعد. ويقول جون كوزينز، مدير قسم القوى العاملة في المكتب البريطاني للتنمية الاقتصادية القومية: "ستكون هناك ضغوط شديدة لخفض عدد ساعات العمل الى ٣٥ ساعة في الاسبوع".

٢. بعد العام ١٩٩٠:

نظرا الى تدني عدد الاطفال الذين سيبلغون سن الرشد، يتوقع خبراء شؤون السكان ان يهبط معدل انتشار الامراض التناسلية وحوادث السيارات والجرائم وهذه المشكلات كلها ترتبط غالبا بفترة الشباب. وستتوافر الاعمال والوظائف بسهولة أكبر. وبحلول العام ٢٠١٠، عندما يصل افراد الموجة الاولى من "انفجار الاطفال" الى سن التقاعد او يقتربون منها، ستدخل المؤسسات الصناعية مرحلة تنافس عنيف للحصول على النادر المعروض من العمال والموظفين في مستوى المبتدئين، وستزداد فرص العمل غير المتفرغ المتاحة للنساء والطلبة والافراد الاكبر سنا.

ويسلم خبراء السكان باحتمال تغير كل هذه التوقعات اذا ما طرأت زيادة جديدة على نسبة المواليد، ويعترفون بأنهم، في الحقيقة، يجهلون الاسباب التي تؤدي الى انفجار المواليد او الى تدهور معدلاتهم. غير ان الدكتور شفارتز يلاحظ ان حدوث انفجار مواليد جديد في المانيا الغربية يستلزم من ٧٠ في المئة من جميع النساء اللائي في سن الحمل ان تنجب كل منهن، في المتوسط، بين طفلين وثلاثة اطفال، كما يستلزم ان تنجب كل واحدة من ١٠ في المئة منهن اربعة اطفال او اكثر. ويعلق الدكتور شفارتز على ذلك كله بقوله: "لا يمكنني ان اتصور حدوث ذلك في اطار النسق الحالي للحياة".

منع الحمل والتعقيم — لكن ما هو سر موقف الاوروبيين السلبي من الاسر الكبيرة؟ الواقع ان هذا الموقف ينشأ، في جانب منه، عن الهجرة المتواصلة من المزارع الريفية حيث تتوافر الامكنة الواسعة للاطفال، الى المدن المزدحمة التي تفتقر الى المساحات اللازمة. لكن هناك عوامل أخرى تزيد الموقف تعقيدا.

ومن هذا القبيل ما يقوله الدكتور ديفيد افرسلي، الاستاذ في المعهد البريطاني للدراسات السياسية: "لقد ساعدت حبوب منع الحمل على طبع القرارات بطابع ايجابي بالنسبة الى الانجاب. فقد كان تجنب الحمل من قبل مرهونا بجهد متعمد يقوم على استخدام احدى الوسائل الواقية من الحمل. اما الان، فعندما تقرر المرأة وقف اقراص منع الحمل، فذاك لانها تريد الانجاب. وبما ان الامر قد يقتضي بعض الوقت قبل ان تمحي تماما آثار حبوب منع الحمل وتستعيد المرأة قدرتها على الاخصاب، فهذا يفسح لها المجال للعدول عن قرارها اذا هي رغبت في ذلك. وحتى اذا حدث الحمل قبل ان تعدل عن قرارها، ففي استطاعتها دائما ان تنهي الحمل باختيارها".

هذا يشير الى ان عمليات الاجهاض اصبحت امرا ميسورا في معظم بلدان اوروبا. اما عمليات التعقيم، التي كان يندر اجراؤها قبل بضع عشرات من السنين، فقد ارتفع عددها في هولندا، مثلا، من ١٦ ألفا عام ١٩٧٢ الى ٨٤ ألفا عام ١٩٧٦. وفي بريطانيا نجد ان واحدة من كل خمس زوجات تراوح اعمارهن بين ٣٠ و٣٩ سنة قد اجريت لهن او لازواجهن عمليات تعقيم. وتقول احدى المجلات البريطانية ان عملية التعقيم هي "أجمل ما يستطيع الرجل ان يفعله من أجل المرأة".

لكن الاهم من ذلك كله هو الزيادة الكبيرة في عدد النساء الملتحقات بالعمل. ففي فرنسا شهدت القوى العاملة بين ١٩٦٨ و١٩٧٥ زيادة ١،٣ مليون من الافراد، معظمهم من النساء، ما عدا ٣٧ ألفا من الذكور. وتبلغ نسبة العاملات في بريطانيا نصف النساء المتزوجات تقريبا. اما في اسوج، فالنساء يمثلن ٤٣ في المئة من القوى العاملة فضلا عن انهن يشغلن خمسة مناصب وزارية من العشرين منصبا التي يشتمل عليها مجلس الوزراء. ويقول ايكي بالير شتيدت، الاختصاصي في علم الاجتماع في المانيا الغربية: "حتى وان كانت الزوجة لا تنشد الانخراط في مهنة معينة، فهي كثيرا ما تضطر الى العمل تمكينا للاسرة من مواجهة تكاليف الحياة".

تعديل اسلوب الحياة - والملاحظ الان ان معظم الذين يقدمون على الزواج يعتمدون في بدء حياتهم الزوجية مصدرين للدخل - من الزوج والزوجة - مما يمكنهم من التمتع بعيش رغد يصعب عليهم التخلي عنه في ما بعد. وتقول زوجة دانمركية: "لا بد لنا من اجراء المعادلة بين ولادة طفل لنا واحتمال العزوف عن قضاء اجازتنا في جزيرة مايوركا الاسبانية". وعن ولادة الطفل الثاني، يقول محاسب من منطقة الروهر في المانيا الغربية: "سنضطر عندئذ الى زيادة مصروفنا بمبلغ ٢٠٠ مارك شهريا كي نحصل على مسكن اوسع. وربما اقتضى الامر ان نتخلى عن سيارتنا الثانية". ويقول أحد الاقتصاديين الفرنسيين: "ان ولادة الطفل الثالث تلزم الاسرة بخفض مستوى معيشتها لسنوات طويلة".

السؤال الذي يثار بعد ذلك هو: "هل هناك ما تستطيع الحكومات فعله

لاضعاف هذا الاتجاه الى خفض معدل المواليد؟"

يقول الخبراء في الشؤون السكانية في هذا الصدد ان العلاوات التي تضاف الى دخل الاسرة في كثير من بلدان اوروبا مكافأة لانجاب الاطفال لا تساعد كثيرا على تحسين الوضع. ويقول جيرار كالو من المعهد القومي الفرنسي للدراسات السكانية: "ان هذه العلاوات تخفف بعض الضغط على موازنة الاسرة. ولكن يجب ان تزاد مبالغها كثيرا قبل ان تغدو حافزا حقيقيا. وهذا امر يتجاوز الامكانات المالية لاي حكومة". وربما كانت اصلح المحاولات الحكومية تلك التي تتيح للنساء الاحتفاظ بوظائفهن، مع انجاب الاطفال في الوقت نفسه. وقد اتضح من استفتاء للرأي العام في فرنسا ان هناك تأييدا قويا لفكرة انشاء مراكز للرعاية النهارية وتطبيق تأمين الامومة بمنح الام العاملة اجازة قانونية من عملها حتى يبلغ طفلها العامين على الاقل. وتمنح اسوج الزوج او الزوجة اجازة مدتها سبعة اشهر مدفوعة الاجر حتى ٩٠ في المئة، من أجل التفرغ للعناية بالمولود الجديد.

اغلاق المدارس - من ناحية أخرى نجد ان رعاية العدد المتزايد من المسنين تقتضي مقدارا متزايدا من الدعم الحكومي للمسنين ومقدارا اقل من المال المصروف على الاطفال. ففي المانيا الغربية، تفيد التنبؤات الاحصائية بأن عدد الاطفال الذين سيلتحقون بالمدارس الابتدائية عام ١٩٨٥، سيبلغ مليونين ونصف مليون طفل في مقابل اربعة ملايين طفل عام ١٩٧٥. وبناء على ذلك، لن تدعو الحاجة حينذاك الى عدد كبير من المدرسين. وقد اغلقت بريطانيا فعلا ما يقرب من عشرين من معاهد تدريب المعلمين.

ويحتمل ان تدعو الضرورة الى زيادة الضرائب لمواجهة تكاليف الرعاية الصحية وصرف المعاشات للمواطنين المسنين. وتكاد جميع مباني المستشفيات الجديدة في اسوج تكون مخصصة للرعاية الطبية الطويلة الاجل للمسنين، كما ان واحدا من كل ١٣ موظفا اسوجيا يعمل الان في مجال الرعاية الصحية التي يكرس الجانب الكبير منها للمسنين. وتبلغ تكاليف الرعاية الطبية لهؤلاء ما يقرب من ضعفي التكاليف المقررة للمواطنين الذين تقل اعمارهم عن ٦٥ سنة. والفوائد التي تقدمها اسوج الى المسنين تعتبر من العوامل التي تمتص الضرائب الاسوجية بسببها اكثر من نصف الناتج القومي الاجمالي.

ولدى النظر الى الجانب المشرق من الصورة، يرى الخبراء في الشؤون الاقتصادية ان زيادة القدرة الشرائية لدى المسنين تمد الاقتصاد القومي بشحنة ايجابية. ولم يقتصر الامر على تحسن معاشات التقاعد في السنوات الاخيرة، بل ان الكثيرين من المسنين يدخلون عادة مرحلة التقاعد وقد ادخروا قبل ذلك مبالغ وافرة. ومن المعلوم ان الافراد الذين تزيد اعمارهم على الستين عاما يسيطرون على ثلاثة اخماس الملكية العقارية في فرنسا، وعلى اكثر من نصف الاسهم والسندات في رؤوس اموال

شركاتها . ويمثل المتقاعدون مجموعة تتوافر لديها امكانات التسويق لعدد كبير من السلع، ابتداء من الاوقاب الضوئية التي تركب على ارتفاع الخصر للتخفيف من الانحناء) الى مضارب كرة المضرب الكبيرة الحجم للتخفيف من الجري). وهم كذلك زبائن ممتازون لدور المتقاعدين وللاغذية الخاصة ورحلات الاستجمام وكراسي الاستلقاء المريحة وسواها .

كذلك يسعد الباحثين في شؤون السوق ان تتجه هذه النسبة الكبيرة من سكان اوروبا الى مرحلة منتصف العمر المتميزة بزيادة الصرف على الحاجات المناسبة، كما يسعدهم وضع الازواج الذين يعتمدون دخلين بدلا من دخل واحد مع عدد اقل من الاطفال، اذ يجدون في تصرفهم مقدارا من المال يفوق ما كان متوافرا لازواج الامس ذوي الاطفال العديدين. واذا صدقت تنبؤات خبراء الشؤون السكانية حول ازدياد اوقات الفراغ، فقد تنجم عن ذلك زيادة كبيرة في مبيعات معدات المخيمات والكتب وسيارات الاستجمام والزوارق والدور المخصصة للاجازات ومعدات صيد الاسماك والالعاب وغير ذلك.

ويرى الخبراء، في نهاية الامر، ان تضخم السكان ليس بالضرورة معبرا الى الرخاء الاقتصادي. كما عرفت ذلك كثرة من البلدان الآسيوية والافريقية. فالمهم في الامر ليس "كمية" السكان بل "نوعيتهم"، اي مستوى التعليم والتدريب لديهم وقابلية التحرك والمرونة. ومن حسن حظ اوروبا ان تكون لديها وفرة من هذه الميزات ازاء اوضاعها السكانية.

■ دونالد ودوروثي ستروينزل



معادلة رياضية

سألت السيدة طبيب الاسنان: "كيف تتقاضى ثلاثين دولارا ولم يستغرق خلع سني غير ثلاث دقائق؟"

فأجاب الطبيب: "سيدتي، يمكنني ان اخفض الأجرة الى ثلاثة دولارات بشرط ان يستغرق خلع سنك ثلاثين دقيقة".

"الأدب الحديث"، تايوان

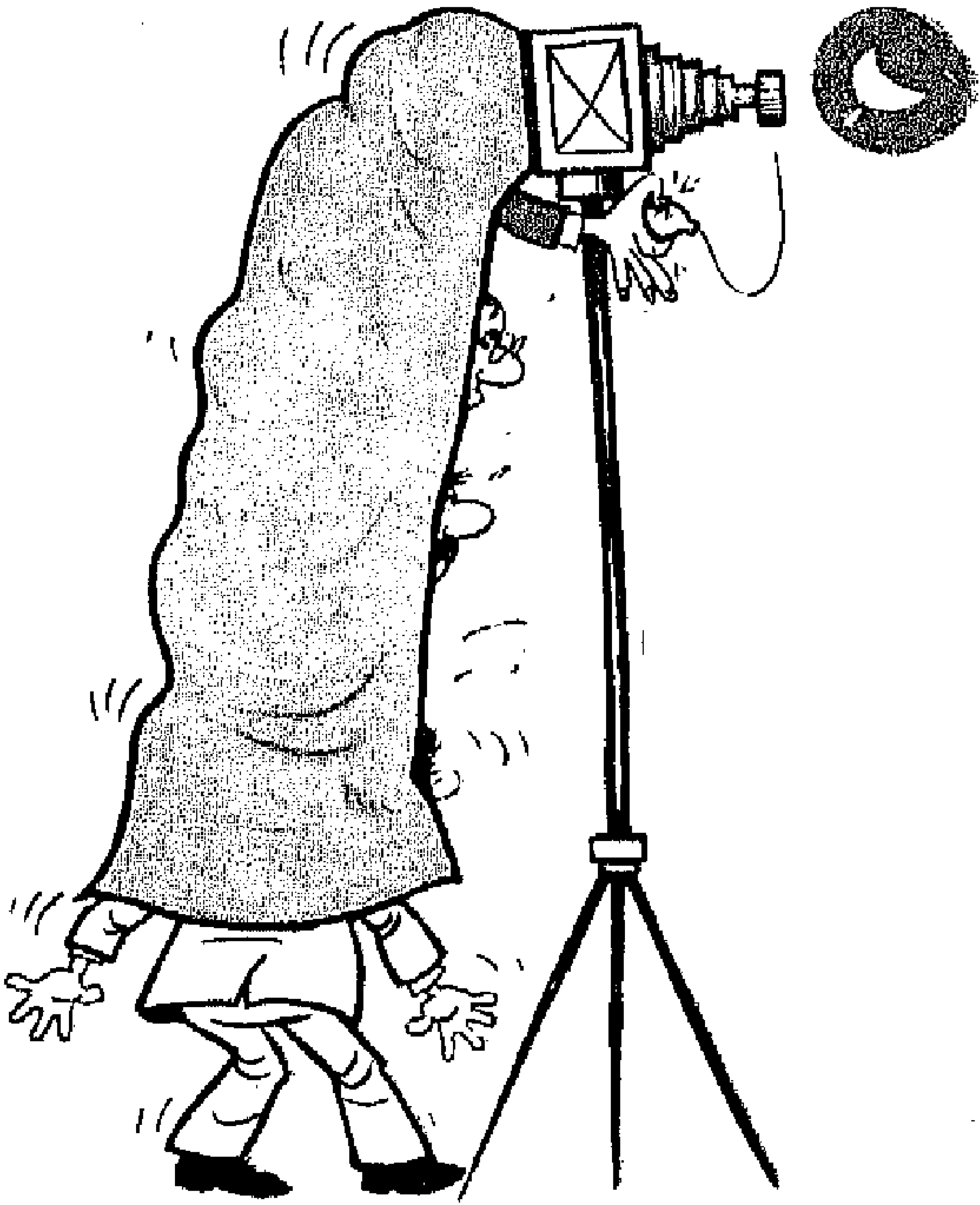
بين القاضي والشحاذ

اشتهر السير ريدموند باري، القاضي اللامع في مقاطعة فيكتوريا الاوسترالية، بدماثة الخلق والكياسة.

وذات يوم كان يسير برفقة صديق في احد شوارع مدينة ملبورن حين مر رجل رث الملابس، كث اللحية، ورفع قبعته الوسخة البالية محييا القاضي. وما كان من السير ريدموند الا ان رفع قبعته الطويلة الانيقة ورد التحية باحسن منها. فدهش الصديق لهذا اللطف الزائد وابدى استغرابه للقاضي. فاجاب هذا: "سيدي، اترضى بان اكون اقل ذوقا من شحاذ؟".

و.ف.و.

صور من الحياة



مسألة وزن

اتقاعد ام لا اتقاعد؟ تلك هي المسألة التي شغلتني بعد سنوات التدريس الطويلة المجزية، حتى ساعدتني احدى زميلاتي في اتخاذ القرار عندما وجهت الي النصيحة الآتية: "اسمعي يا صديقتي، خير لك ان تتقاعدي الآن وتقومي بالاسفار الرائعة التي كنت تخططين لها قبل ان يتجاوز وزن حقيبة ادويتك وزن حقائب السفر".

ر.ك.

فطنة السكرتيرة

قرر احد كبار الموظفين في مؤسستنا اختبار سرعة بديهة سكرتيرته، فحشر الجملة الآتية في احدى الرسائل: "اذا كانت لديكم اي استفسارات، فلا ترددوا في الاتصال بي خلال اسبوع او اسبوعين اذا لم نوقف نشاطنا".

وكان البرهان على ذكاء السكرتيرة هذه الحاشية التي اضافتها الى الرسالة: "اذا كانت لديكم وظائف خالية، فأرجو ان تتصلوا فوراً".

س.ي.ف.

وصفة طبيب

لم تكن قد مضت الا ايام قليلة على ولادة طفلنا الاول حين صحت زوجتي ذات ليلة في الثالثة صباحا لتهيئة الغذاء له. وكانت لديها وصفتان: سائل يمزج بكمية مماثلة من الماء وآخر يعطى مباشرة. ولما كان النعاس مسيطرا عليها فقد وضعت الغذاء المركز في رضاعة الطفل من دون مزجه بقطرة ماء واحدة. ولم تدرك خطأها الا بعد ان شرب الطفل نحو تسعين سنتيمترا مكعبا.

وهنا سارعت مذعورة الى الاتصال بطبيب الاطفال الذي حافظ على مرحه، على رغم اننا ايقظناه من نومه قبل الفجر، واجاب ببرود: "لا بأس، اعطيه تسعين سنتميترا مكعبا من الماء وحركيه جيداً".

ر.هـ.ن.

لغة الطيور

تستهويني وجارتي مراقبة الطيور. وذات صباح ربيعي جميل كنا نحتسي القهوة في الفناء المحاذي لدارها، فأخذت تظهر لي خبرتها في التعرف على الطيور من اصواتها: "اتسمعين هذا الطنين الحاد؟ انه الطائر الذبابي. وذلك الصفير الاجش؟ انه زرياب صفير. والمواء الناعم؟ انه من حسون احمر الجناح".

وفي تلك اللحظة بدد صمت النهار صراخ طفلها الذي استيقظ من قيلولته. فمضت جارتي تعلق من دون اي تغيير في لهجتها: "وهذا بكاء ذي الشعر الناعم والعينين الزرقاوين".

ج.ب.غ.

شهرة

اعلن الرئيس السابق لمجلس ادارة شركة التلفون والبرق الامريكية جون ديبوتس في خطاب القاه امام مجلس الاعلان بمناسبة تسلم الاخير جائزة الخدمات العامة للعام ١٩٧٨، انه مدين بسمعته شخصيا لقوة الدعاية الاعلامية ٠
فبعدما القى ١٥٠ خطابا خلال السنتين الاوليين لتسلمه منصب رئاسة مجلس الادارة، وبذل اقصى جهوده لاقناع الامريكيين بان من يدير شركة التلفون هم الناس لا الآلات، اوضح استطلاع اجرته مؤسسة مختصة ان ٢ في المئة فقط من الرأي العام يعرفون جون ديبوتس كمدير تنفيذي، فيما ظن ٦ في المئة انه موظف حكومي و٣ في المئة انه قائد عمالي وواحد في المئة انه ملاح فضائي ٠
ولم تتحسن شهرته حتى اصبح يظهر كناطق باسم "مؤسسة بل للاتصالات" في البرامج الرياضية وفي اعلانات المجلات، اذ غدا واحدا من اشهر ثلاثة مديرين تجاريين ٠
ولسوء الحظ، يعلق ديبوتس: "من بين من ميزوني كمدير تجاري، هناك واحد فقط من بين ثلاثة ظن ان لي علاقة بميدان الاتصالات ٠ وظن نصف الآخرين اني ادير شبكة لانتاج المثلجات، فيما ظن الباقون اني مربي دجاج" ٠

أ٠ر٠

حلم تحقق

انتهى اليوم الأول من السنة الدراسية، وكان علي إيصال الأطفال إلى بيوتهم في الحافلة التي اقودها ٠ ومع اني اكملت الجولة، فقد بقي طفل في الحافلة، ظننت انه اخطأ معرفة المحطة التي يتوقف عندها ٠ وهكذا عدت اقود السيارة على مهل وأسأله خلال جولتي في الضاحية ان يدلني على بيت مألوف لديه او شخص يعرفه ٠
وجلس الصبي في مقعده راضياً وهو يهز رأسه بالنفي كلما سألته اذا تعرف على شخص او مكان ٠ وبعدما جبت المنطقة مرتين من دون جدوى، عدت إلى المدرسة للتحري عن عنوانه ٠
وما ان وصلنا حتى نزل الصبي ليغادر الحافلة ٠ فناديته: "انتظر، لا بد من الذهاب الى المدرسة لنعرف أين تسكن" ٠ فأجاب مشيراً الى الجهة الأخرى من الشارع: "اني اسكن هنا ٠ لكني رغبت طويلا في ركوب حافلة المدرسة" ٠

ف٠ب٠

اهداف كبرى

يتيح لي قطع مسافات طويلة يوميا الى مركز عملي وقتا مناسبا لمناقشة مواضيع شديدة التنوع مع رفقاء السفر ٠ وذات يوم كنت اتبادل الحديث مع صديق حول اهمية تحديد الاهداف بالنسبة الى المرء والعمل على تحقيقها ٠ فقال: "لدي عشرة اهداف كبرى: احاول الوصول الى عملي صباحا خمسة ايام في الاسبوع ٠٠٠ واحاول العودة الى منزلي خمس ليال في الاسبوع!" ٠

س٠ب٠هـ٠

ابق معنا!

تعد قاعدة "ثول" الجوية في غرينلاند من المواقع التي يتجنبها افراد القوة الجوية الامريكية، اذ عليهم ان يقضوا ستة اشهر في نهار مستمر، تعقبها ستة اشهر في الظلام، كما ان الجزيرة تتميز بمناخ شتائي مرعب ٠ والاسوأ من ذلك كله عدم وجود عائلات في القاعدة ٠ لكن فترة الخدمة هناك لا تزيد على السنة لحسن الحظ ٠
ومن التقاليد اليومية لكثير من المتمركزين هناك مراقبة وصول طائرة "اللبن" التي تجلب المؤن والبريد، فضلا عن الرجال الذين سيحلون محل العائدين ٠ وذات يوم هبط جندي شاب من الطائرة، واذا به يهتف مرحا: "لم اتوقع مثل هذا الترحيب الحار" ٠ فتوقف الرقيب المسؤول عن تفريغ الطائرة فترة تكفي لكي يحدق في عيني الشاب ويقول: "لم يأتوا الى هنا ليرحبوا بك يا بني، بل جاؤوا للتأكد من انك لن تعود على الطائرة نفسها" ٠

و٠ي٠

الى المسافرين بالطائرات والقطارات والقاعدين طويلاً وراء مكاتبهم

تمارين رياضية تنشط القلب وتقوي العضلات

قام الخبير الاسوجي في اللياقة البدنية فولكي موسفلدت برحلة جوية من نيويورك الى استوكهولم استغرقت ثماني ساعات وتسببت له بالم في ظهره وتورم في رجليه أضافة الى اصابته بنوع من الدوار. فخطر له انه، والملايين من امثاله الذين يقطعون المسافات الطويلة بالطائرة كل عام، يعرضون انفسهم للتهلكة بسبب الفترات الطويلة التي يقضونها وهم قاعدون، فأبتكر مجموعة من التمارين، تبنتها شركة الخطوط الجوية الاسكندينافية، ثم اشتهرت في ما بعد في انحاء العالم. وتفيد هذه التمارين الاشخاص الذين يقضون ساعات طويلة قعوداً في الطائرات والمكاتب وقاعات المحاضرات وقطارات السكك الحديد والمنازل بل وفي اي مكان.

واطلق موسفلدت على هذه التمارين اسم "التمارين المقعدية"، وابرز ميزاتها انها تبعث على تنشيط الدورة الدموية وتقوية العضلات وتكييف حال القلب، فتخفف احتمال مرض المفاصل وتعزز طاقة الانسان عن طريق الحد من آثار الشيخوخة. كما تساعد في تجنب ارتفاع ضغط الدم.

التمارين التمهيدية

ابدأ بتمرين او اكثر من هذه السلسلة المفيدة لجريان الدم ومرونة العضلات وتفادي تمزقها في اثناء التمرين:

● اجلس وضع اطراف قدميك على الارض واحتفظ بعقبيهما مرتفعين مع تثبيت الاصابع جيداً في اتجاه مقعدك. مد ساقك اليسرى الى اقصى حد فيما انت تدفع بعقب قدمك الى الامام، وتسحب في الوقت نفسه اصابعها في اتجاهك مقدار المستطاع. عد الى الوضع الاصلي.



استرخ. كرر الحركة نفسها بالساق اليمنى. اعد ذلك بالساقين معاً. قم بهذا التمرين اربع مرات.

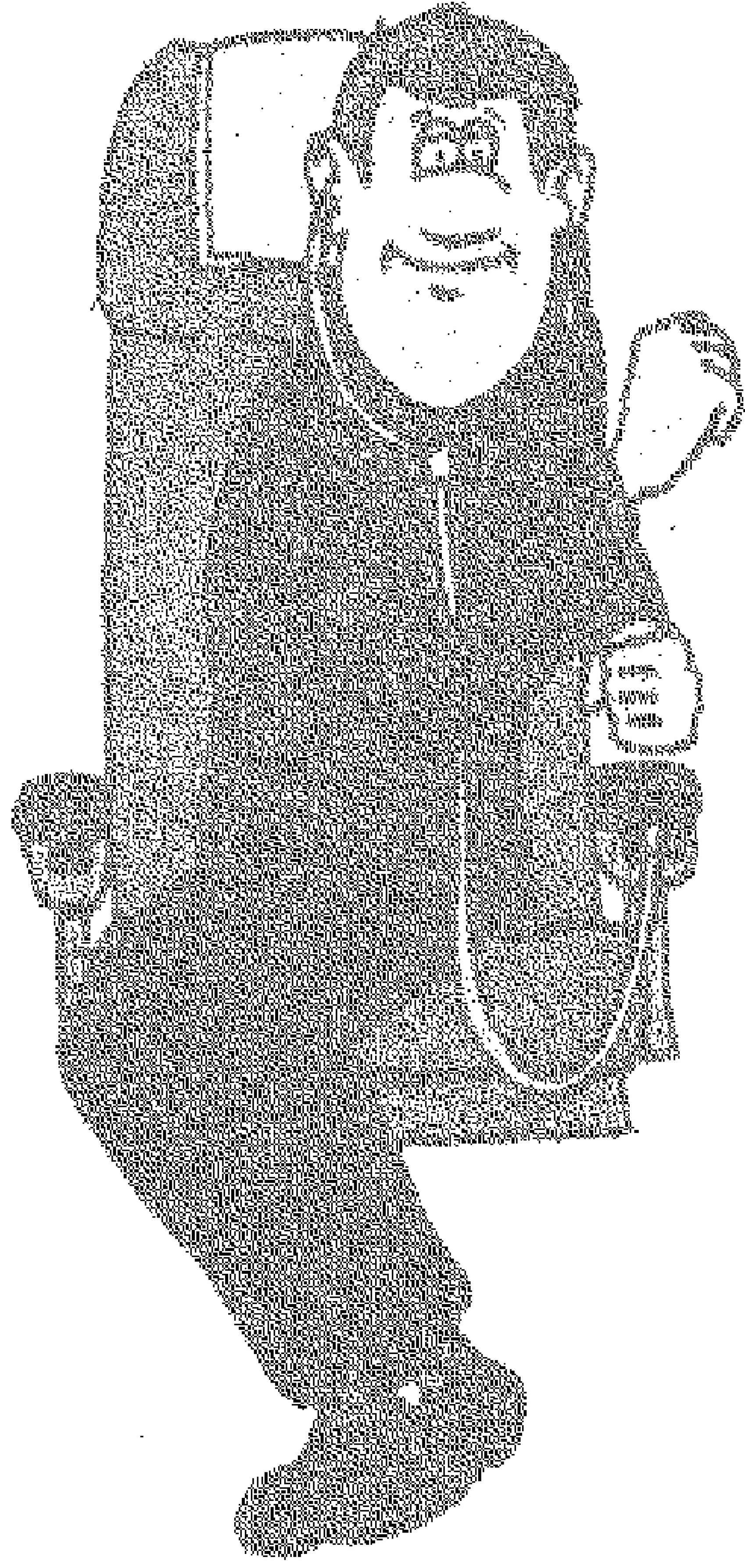
● اجلس وقدماك متوازيتان في اتجاه الامام. ارفع الساق اليسرى في اتجاه صدرك واقبض بكلتا يديك على الجزء الاسفل من الساق، وشدّ. عد الى الوضع الاصلي. كرر هذه الحركة بالساق اليمنى ثم ارفع الركبتين واقبض بكلتا يديك حول الجزء الأسفل من الساقين، وشدّ. عد الى الوضع الاصلي. انهض بجسمك حتى يكاد ردفاك ينفصلان عن المقعد وانت تقوم على اطراف قدميك. عد الى الوضع الاصلي. استرخ. كرر التمرين بكامله خمس مرات.

● تمايل في مقعدك مع رفع عقبي قدميك بالتناوب الى اعلى درجة ممكنة، وفي الوقت نفسه ارفع ذراعيك في وضع منحن، وتأرجح بايقاع منتظم الى الامام والى الخلف، كأنك تمشي، واستمر على هذا المنوال فترة تراوح بين دقيقة واحدة وثلاث دقائق.

تسريع الدورة الدموية

عليك ان تقوم بأحد هذين التمرينين او بكليهما لتسريع الدورة الدموية وتغذية العضلات:

● اثن ساعدك الايمن الى اعلى وارفع ركبتك اليسرى في اتجاه مرفقك الايمن. عد الى الوضع الاصلي. ثم قم بالحركة ذاتها مستخدماً الركبة اليمنى والمرفق الايسر. كرر هذا التمرين كاملا ١٥ مرة. مارس حركة التزلج المتعرج وانت في مقعدك. اجلس بحيث يكون عقبا قدميك الى أقصى اليمين وتكون كلتا يديك الى الجانب نفسه. ارفع عقبي قدميك وارجحهما الى اليسار بينما تؤرجح ذراعيك في الاتجاه ذاته. كرر هذه الحركة.



تمارين للعضلات

□ الظهر والمعدة:

من شأن هذه التمارين ان تقوي العضلات التي تسند الظهر والعمود الفقري في الوضع المنتصب وهي تساعد على تنمية عادات الجلوس السليمة وتحول دون متاعب الجزء الاسفل من الظهر.

● ارجع معدتك تماماً الى



الداخل و استمر في التنفس طبيعياً. انحدر بجسمك الى الامام وانت ترفع اصابع قدميك عالياً بينما يبقى

عقباهما على الارض، ضع اصابع رجليك على الارض مرة ثانية وارخ عضلات معدتك ثم انهض بجسمك مرة أخرى. كرر هذا التمرين ثلاثين مرة.

● اجلس في حال استرخاء. اجذب عضلات معدتك الى الداخل مقدار استطاعتك وابقها مشدودة على هذا الوجه لمدة سبع ثوان ثم استرخ لفترة سبع ثوان اخرى. كرر هذا التمرين ثماني مرات.

● اجلس في حال استرخاء مع اسدال الكتفين. انصب ظهرك مستنداً الى تركيز عضلات الجزء الاسفل من الظهر ثم شدها. استمر في هذا الوضع لفترة ٧ ثوان اخرى. كرر هذا التمرين ثماني مرات.

☐ **الكتفان والذراعان:**

تهدف هذه التمارين الى تليين المفاصل وتحول دون التيبس والالم في اعلى الظهر.

● اجلس مسترخي الكتفين. حرك الكتف اليمنى الى الامام ثم الكتف اليسرى وانت تشدهما في أثناء هذه الحركة. عد الى الوضع الاصلي. استرخ. ضم يديك الى بعضهما بعضاً وحرّك ذراعيك الى الأمام منحنياً الى الأعلى ثم الى الخلف، فوق الرأس، مع الشد قليلا حينما تتجه الكفان الى أعلى. كرر هذا التمرين ثماني مرات.



● ادر كتفيك برفق وبايقاع منتظم على شكل مستديرات كبيرة، الى الامام ثم الى الخلف، من ١٠ مرات الى ١٥ مرة في كل اتجاه.

☐ **القدمان والساقان والكاحلان:**

تساعد هذه التمارين على تليين مفاصل الكاحلين وتحول دون تورم الساقين والقدمين ودون تيبس عضلات الساق.

● ارفع عقبي قدميك عن الارض مع توجيه اصابعهما الى اعلى، ثم ادر قدميك على شكل مستديرات كبيرة. كرر هذه الحركة ١٥ مرة في كل اتجاه.

● اجلس ملقياً مرفقيك على ركبتيك ومنحنيا الى الامام بحيث تضغط بكل وزنك على ركبتيك. ارفع عقبي قدميك مقدار استطاعتك. انزل العقبين ارضا وارفع اصابع قدميك. كرر هذه الحركة ثلاثين مرة.

☐ **اليدان والمعصمان:**

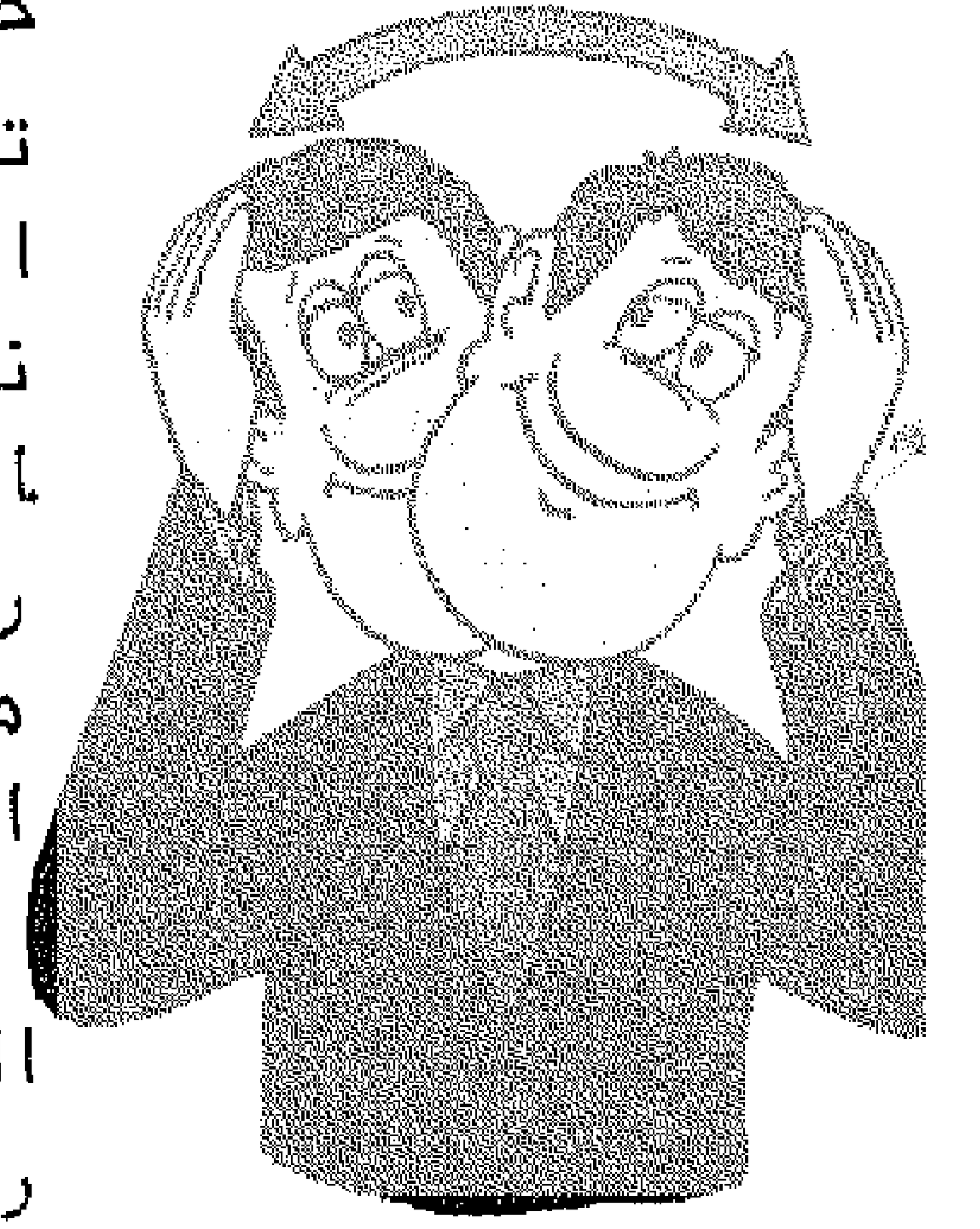
يساعد هذا التمرين على تليين المفاصل الاكثر تعرضاً للالتهاب، كما يساعد على تجنب ورم الاصابع.

● اقبض يديك بحيث تكون الكفان الى اسفل. حرّك يديك على شكل مستدير كامل، ثم افرد اصابعك. اعد اليدين الى الوضع الاصلي. كرر هذا التمرين ١٥ مرة.

☐ **العنق:**

حافظ على مرونة الجزء الاعلى من العمود الفقري وخفف التوتر الذي يسبب الصداع، بفضل التمرينات الاتية:

● احن رأسك الى الامام بحيث تستند ذقنك الى حنجرتك، مع الاحتفاظ بنفسك على هذا الوضع.



حرك رأسك تدريجاً الى الخلف. ادر رأسك نحو أقصى اليمين. احن رأسك ثلاث مرات. كرر هذا التمرين.

● ضع يدك اليمنى على رأسك. فوق الاذن اليمنى. احن رأسك نحو اليمين بينما تضغط بيدك برفق. عد الى الوضع الاصلي. كرر هذه الحركة باليد اليسرى فوق الاذن اليسرى. كرر هذا التمرين ثماني مرات لا أكثر.

من اجل الاسترخاء

كلما شعرت بالتوتر او القلق، حاول ان تقوم بالتمرين الآتي: اجلس في وضع منتصب باكثر ما يكون من الاسترخاء. تنفس بانتظام وبرفق تنفسا عميقا تستخدم فيه الحجاب الحاجز. ويقتضي ذلك ان تملأ المعدة بالهواء عند التنفس (حركة ايجابية). ازفر ببطء (حركة سلبية) حتى تفرغ رئتاك. دع جسمك يستغرق في وضع الاسترخاء التام. كرر هذا التمرين خمس مرات.

■ **فولكي موسلفت**
وماري سوزان ميلر



اللامساواة

المعاملة المتساوية لاناس في اوضاع غير متساوية هي اللامساواة.

آرثر سيلدوف

جواب فيلسوف

سألت صبيا عمره اربع سنوات: "ماذا ستكون حين تكبر يا آلان؟" فنظر الي بازدراء واجاب: "اكبر حجما".

هـ.ب.ك.

تفسير الاطفال

راقبت الطفلة بشغف طائرة تطلق شريطا من البخار في سماء صافية. فقالت لأمها بانفعال: "انظري يا امي، انهم يخربشون السماء".

ل.م.ل.

اسباب الارق

في غرف احد الفنادق الكبرى التي يؤمها في الغالب رجال الأعمال العالميون، علقت الملاحظة الآتية:

"اذا لم تتمكنوا من النوم فلا تبدأوا بالقاء اللوم على السرير، بل حاسبوا ضمائركم اولا".

"صحيفة الأحد"، فرنسا

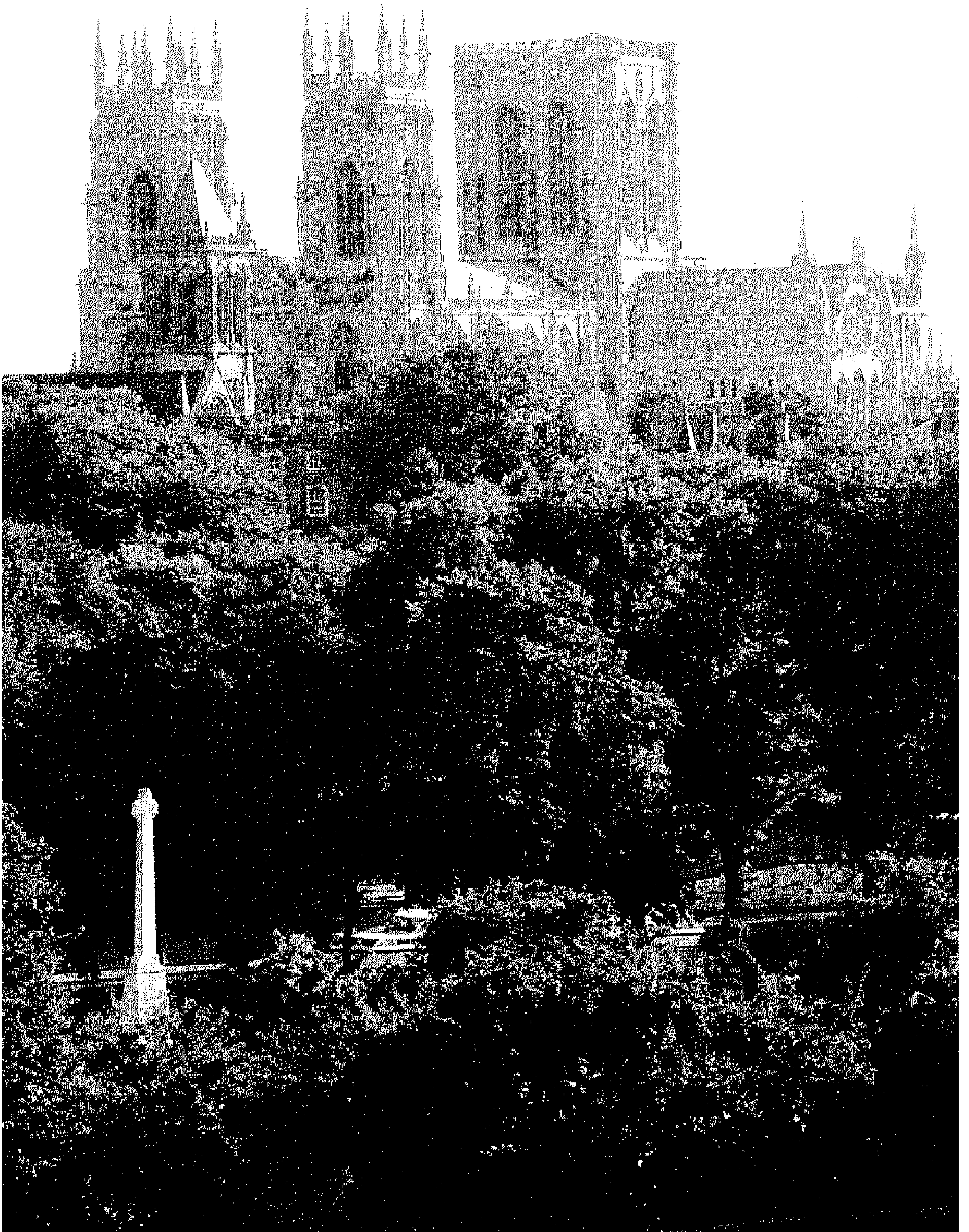
يُورك: قطعة برّاقة مِن سَجّادة التاريخ

.اسوارها القديمة تروي حكاية الفي عام من تاريخ انكلترا

اذا ارتقيت بضع عشرات من الدرجات البالية لتصعد الى اعلى السور المحيط بمدينة يورك على امتداد اربعة كيلومترات ونصف كيلومتر، ومشيت فوقه بموازاة قمم الاشجار، كنت كمن يراقب من علوّ رواية تاريخ انكلترا.

ان مدينة يورك، الواقعة في منتصف المسافة بين لندن وادنبرة، تقدم صورة اوضح مما تفعل اي مدينة عن ماضي انكلترا المجيد. ففي حقب مختلفة جاب شوارعها رجال صاغوا تاريخ البلاد، رجال من امثال هادريان والفايكينغ اريك ذي الفأس الدموية، ملك النروج المخلوع، وغليوم الفاتح وغي فوكس واوليفر كرومويل وسواهم من ملوك وقطاع طرق وقديسين وخطأة ورجال دين واباطرة مال.

شهدت مدينة يورك عبر القرون نسج سجادة التاريخ البراقة: جحافل الرومان تطارد السلتيين عام ٧١ للميلاد وتحوّل مستوطنتهم عاصمة لشمال بريطانيا، وفاة امبراطورين رومانيين وارتقاء الامبراطور قسطنطين الاكبر العرش، اعتناق الملك ادوين، ملك نورثمبريا، النصرانية وتعمده في كنيسة خشبية متواضعة يوم الفصح عام ٦٢٧، الفايكينغ الغزاة في مراكبهم الطويلة، يصعدون نهر اوز عام ٨٦٧ وينهبون المدينة ليجعلوها في ما بعد مركزاً تجارياً مزدهراً، ملحمة تأديب



المواطنين الثائرين على الاحتلال النورماندي عام ١٠٦٩. وشهدت المدينة كذلك حفلات قران ملكية وتفشي الطاعون وانتفاضات دينية وحروباً اهلية وثروات جمعت واخرى بددت.

ان في امكان المرء ان يفهم لماذا يشعر سكان يورك، البالغ عددهم ٥٠ ألاف، بالاعتزاز بمدينتهم التي كانت المدينة البريطانية الوحيدة في قائمة امريكية صدرت حديثاً عن اروع عشر مدن في العالم. وتتوافر لدى زوارها الذين يقصدون الى مركز الاعلام السياحي في ساحة المعرض فرصة الاشتراك في جولة مجانية مدة ساعتين مع دليل. اما بالنسبة الي: فقد وصلت الى يورك ومعي مرشدتي الشخصية: انها زوجتي جون التي طالما تاقت الى ان تريني مسقط رأسها.

قالت زوجتي: "سوف نستهل جولتنا بحانة الناسك،بل ببوابة الناسك، فكلمة "حانة" هنا تعني بوابة في سور يورك". اما كلمة "بوابة" فهي تعني شارعاً، وهذا الاشكال يحير كل زوار المدينة باستثناء الاسكندينافيين منهم الذين يشعرون كأنهم بين اهلهم، ذلك لان اجدادهم الفايكينغ الغزاة جاؤوا بهذا التفسير الاسوجي الى تلك الانحاء، وتركوا،



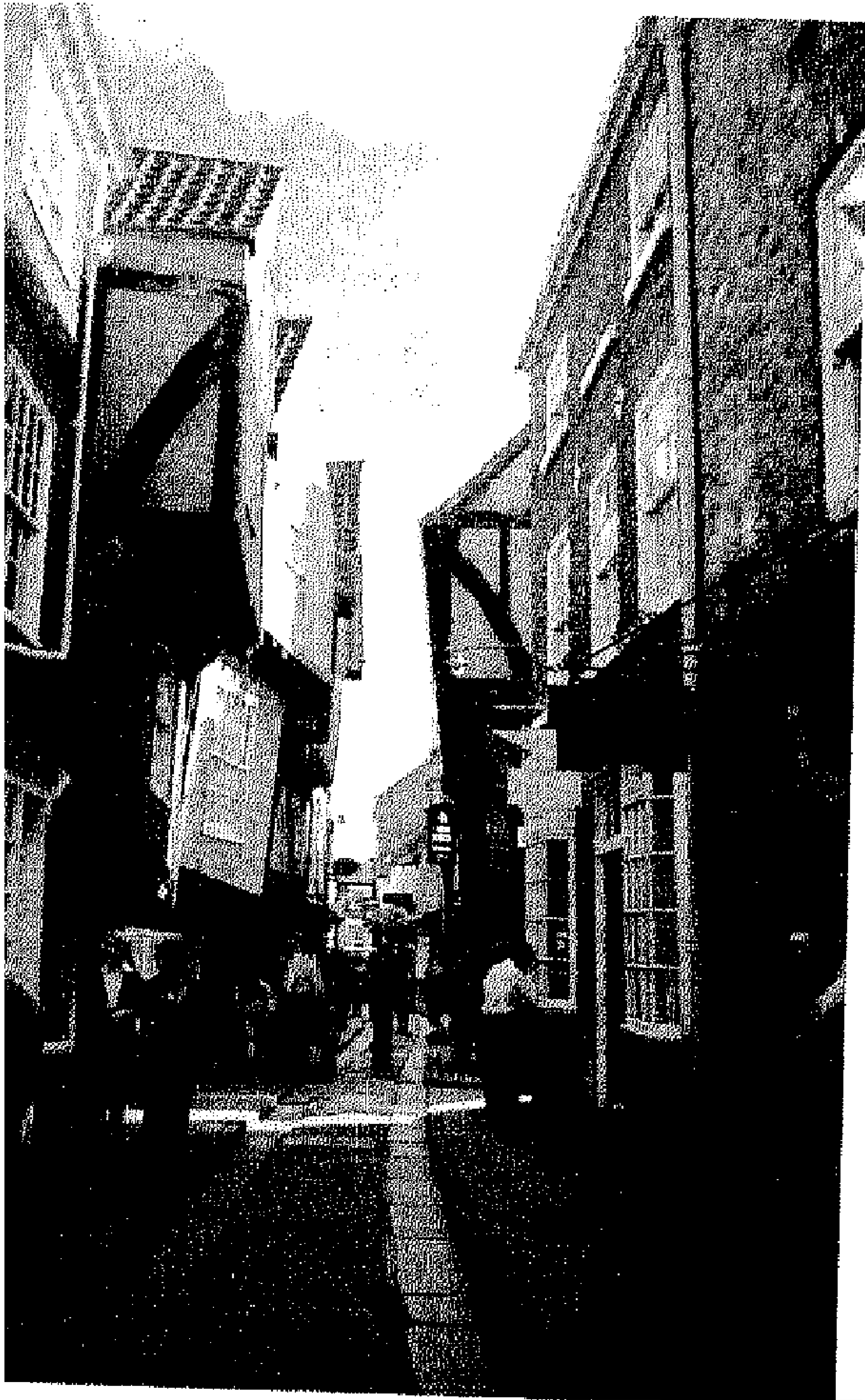
اضافة الى جانب وافر من لغتهم، مخلفات مدهشة اذهلت علماء الآثار الذين ينقبون عنها بحماسة وشغف. وبين تلك المخلفات احذية جلدية وجواهر وحلى وصحاف صيغت على المخرطة.

دبيلوماسية غامضة - تبدو بوابة الناسك كأنها منظر على مسرح. لكنها لا تزال حصينة كما كانت لدى بنائها قبل ستة قرون ونصف قرن: قلعة مكتفية ذات باب منزلق منيع لصد الغزاة. وكان الرجال الشجعان يتربصون في ابراجها بالعدو الذي ما ان يقترب حتى يواجهه سيل من الصخور التي يدحرجها المدافعون من الابراج. وقد طبق هذا الاسلوب الدفاعي للمرة الاخيرة عام ١٦٤٤ في الحرب الاهلية، عندما حاصر المدينة نحو ٤٠ الفاً من البيوريتانيين "ذوي الرؤوس المستديرة" حتى استسلمت في النهاية.

تسلقنا السور العريض الذي يعود عهده الى القرن الثالث عشر ومشينا في اتجاه الكنيسة، وهي اكبر كاتدرائية قوطية الطراز في انكلترا وتطل على المدينة، وقد بدأ تشييدها عام ١٢٢٠ واكتمل بعد مرور ٢٥٠ عاماً. وهي تعد اعظم الآثار العريقة في بريطانيا. وما زالت مكاناً حياً للعبادة ومقراً روحياً للكنيسة الانكليكانية في المقاطعة الشمالية.

وقد نازع رؤساء اساقفتها في العصور الوسطى رؤساء اساقفة مدينة كانتربري على الزعامة. وظلت المنافسة قائمة الى ان اصدر الكرسي البابوي في القرن الرابع عشر قراراً نص على ان تكون يورك مقراً لرئيس اساقفة انكلترا وانتكون كانتربري مقراً لرئيس اساقفة انكلترا "كلها". ولا يزال هذا التعريف الديبلوماسي الغامض يرضي الطرفين، اذ ان رئيسي اساقفة المدينتين يتشاركان في رئاسة الكنيسة الانكليكانية، على رغم ان رئيس اساقفة كانتربري يتمتع بصلاحيات اوسع.

تركنا السور عند بوابة بوتام



الى اليمين: عربة هانسوم التي صممها أحد ابناء المدينة ويدعى جوزف هانسوم.

الى اليسار: مدينة القرون الوسطى يلخصها شارع المسلخ الذي كان في ما مضى سوقا للقصابين. ويتجسد العهد الفيكتوري في متحف القلعة.

لندخل الكاتدرائية التي تمتلىء بين فترات العبادة بصفوف من الطلاب واعداد غفيرة من الزائرين، من دون ان تبدو مزدحمة لفرط اتساعها. ويضفي زجاج نوافذها فيضاً من الالوان. (تعادل احدى تلك النوافذ في مساحتها مساحة ملعب كرة مضرب ويعتبر زجاجها اكبر قطعة زجاج ملون تعود الى العصور الوسطى). ولا تقتصر ابرشية يوركشير هذه على جمال مسرحي، بل يكتنفها ايضاً جو من المرح والبهجة غير المتوقعين.

تبدو الكاتدرائية قوية البنيان الى حد يصعب معه تصور انها اوشكت على الانهيار قبل بضع سنوات. وقد اكتشف المهندسون الذين افزعهم حدوث حركات مرعبة ان البرج الاوسط الذي يرتفع ٧١ متراً ويزن ٢٠ الف طن قائم على اسس من الحجار المتفككة. وقد اصدر امر باجراء اصلاح فوري، وكلفت العملية ما يزيد على اربعة ملايين دولار، واشتملت على حفر ثقوب في حجار البناء بلغ مجموع طولها كيلومترين، ادخلت فيها قضبان من الفولاذ الذي لا يصدأ بلغ طولها الاجمالي عشرة كيلومترات ونصف كيلومتر.

وبعد نبش ٣٠ الف طن من التراب من تحت الكاتدرائية، قرر المسؤولون، بروح المبادرة التي اشتهرت بها يوركشير، جمع المال اللازم لاعمال الترميم التي قد تطرأ في المستقبل، وذلك بتحويل الحفرة تحت ارض الكاتدرائية متحفاً دعوه "اندركروفت". وبكل سرور سددت وزوجتي رسم الدخول، ومقداره ٣٥ بنساً للشخص الواحد، كي نشاهد تلك المسامير اللولبية الضخمة التي تثبت اجزاء البنيان والتي قد تدوم مدة ٥٠٠ عام اخرى. وقد امتزجت الهندسة الفولاذية العصرية بتلك الاشغال اليدوية الرائعة التي كشفت الحفريات عنها. فهناك بقايا من كنائس سكسونية ونورماندية ومن مقر القيادة العسكرية الرومانية، وقد اقيمت الكاتدرائية على انقاضها.

اعاجيب يورك — ويأتي شارع شامبلز (اي شارع المسلخ) في الدرجة الثانية سياحياً بعد الكاتدرائية، ويرجع عهده الى القرون الوسطى، وهو من اجمل ما حفظ في اوروبا من شوارع ذلك العصر. ويرى الزائر فيه بيوتاً معلقة فوق الجانبين تكاد تلتقي، حتى ان سكانها يستطيعون المصافحة من النوافذ. وقد ازدانت بصورها صفحات عدد كبير من كتب القصص. وكان الشارع يعرف سابقاً بسوق القصابين، ولا تزال الرفوف وحدائد تعليق اللحوم كما كانت في تلك الايام.

يعمل معظم حوانيت هذا الشارع في خدمة السياح. غير ان المبنى ذا الرقم ٣٥ هو مكان للعبادة كرس لزوجة احد قصابي شارع شامبلز التي عذبت بالكبس حتى الموت عام ١٥٨٦ (لايوائها رهباناً يسوعيين. وقد طوبتها الكنيسة الكاثوليكية قديسة عام ١٩٧٠)، اي بعد مرور ٤٠٠ سنة على وفاتها، لتصبح "مارغريت قديسة يورك".

ان معظم الكنائس الثماني عشرة التي تعود الى العصور الوسطى جديرة بالزيارة، على رغم ان بعضاً منها لا

يستعمل الآن للعبادة. فكنيسة القديسة ماري في شارع القلعة، مثلا، اصبحت مركزاً لعرض التراث، حيث تشاهد قصة تاريخ المدينة بافلام ونماذج مصغرة. وتضمكنيسة الثالوث الاقدس في شارع غودرام التي تبدو، لقدمها، على وشك الانهيار مقاعد صندوقية غير منتظمة، حيث يمكن عائلات المصلين الاخلاد الى غفوة من دون ان يلاحظهم احد اذا انتابهم السأم في اثناء عظة طويلة. ولا تزال كنيسة جميع القديسين تضيء فانوساً في البرج لهداية المسافرين عبر المستنقعات التي كانت تغمر يوماً المناطق الواقعة وراء السور.

وينتهي بنا زقاق فيش لانديغ الى نهر اوز الذيكان سبب ثروة يورك. فقد ازدهرت "شركة التجار المغامرين" ازدهاراً هائلا عن طريق تصدير اصواف يوركشير. ولا تزال الشركة تملك قاعة انيقة تعود الى القرن الرابع عشر، مزينة بالرايات. ومع ان بواخر قليلة تزور يورك حالياً، فلا يزال سكانها يجدون في التصدير طريقاً الى الربح. وتطورت حوانيت القرن التاسع عشر الصغيرة التي باع فيها جوزف تيري وجوزف راونتري الكاكاو والحلوى المنزلية الصنع، واتسعت لتصبح صناعات كبرى لانتاج الحلويات. وهناك ورش عرباتالقطار التي وضع اسسها جورج هدسن، بائع الكتان الذي اصبح مليونيراً في الاربعينات من القرن الماضي، بعدما اخذ على نفسه عهداً بأن يجعل خطوط السكة الحديد كلها تصل الى يورك. وقد بر بالعهد. وبانشاء الجامعة الجديدة، استعادت المدينة مجدها التليد، اذ كانت مركزاً يجتذب طالبي العلم من كل انحاء الامبراطورية الرومانية.

وزوار اليوم يتكلمون لغات متعددة ايضاً، لكنهم اكثر عدداً. ففي ١٩٧٨ استضافت يورك نحو مليون سائح. ويجد كثير من الوافدين فتنة في اشباح يورك. ومن دون وعد قاطع، يرشدك مركز الاعلام السياحي الى اماكن يقال ان اعاجيب حدثت فيها، مثل خان "الديك والقنينة" حيث يشاع ان احد ادواق باكنغهام في القرن السابع عشر يظهر معتمراً قبعة عالية وسط هالة من نور اخضر. ويجول مكتبة متحف يوركشير رجل نبيل مثقف يتمتم: "يجب ان اعثر عليه، لا بد من ان اعثر عليه"، ثم يختفي. واذا حالفك الحظ فقد تشاهد في اقبية الخازن فيالق من الرومان بدروعهم، يسيرون على افخاذهم بدلا من اقدامهم. وهذه ظاهرة حيرت الجميع، الى ان اكتشف علماء الآثار ان الطريق التي سلكها الجند كانت على عمق ٦٠ سنتيمتراً تحت ارض القبو.

خيال خصب — تخطينا اسوار المدينة لنشاهد اشباح يورك الملموسة: قاطرات بخارية في المتحف القومي للسكة الحديد تنبعث منها رائحة الزيت الدافىء، عربة القطار التي صنعت عام ١٩٠٠ لدوق ساذرلاند الذي كان له حق تسيير قطاره الخاص على جميع خطوط السكة الحديد في المنطقة الواقعة شمال انفرنيس، عربة الملكة فيكتوريا التي تميزت بدقة الصنع وفرشت بالحرير، المحرّك البخاري مالارد الذي حقق

عام ١٩٣٨ الرقم القياسي للسرعة بين المحركات البخارية وهو ٢٠٣ كيلومترات في الساعة، ولا يزال يحتفظ به.

واكتشفنا مزيداً من آثار الماضي في احد اكثر المتاحف الشعبية سحراً في العالم، افتتحه في مستهل القرن الحالي طبيب ريفي شاب اسمه جون كيرك، بعدما اعجبته ادوات منزلية من عصور سالفة استمر مرضاه في استعمالها في اكواخ نائية في منطقة المستنقعات، فبدأ يجمعها. وكان يرضى احيانا بجبر ذراع مكسورة في مقابل مكبس قديم للجبن او مهد خشبي او صحفة سحرية ملونة تعلق على النافذة لتبعد شر العين الحاسدة. وما ان حل العام ١٩٣٥ حتى ضاقت ارجاء منزله، ولم يبق فيها متسع لمزيد من تلك الكنوز والتحف. ودعاه آباء مدينة يورك الى تحويل مبنى سجن مهجور متحفاً للقلعة. ولا يزال المتحف يضم زنزانة ابقيت على حالها، وهي الزنزانة التي امضى فيها المجرم ديك توربن ساعاته الاخيرة قبل اعدامه شنقاً عام ١٧٣٩ لسرقته الخيول.

ومن اجل جولة سريعة عبر حقب التاريخ، هناك اربع غرف اثثت بانماط فيكتورية وجورجية وجاكوبية، وخمس صالات عرض امتلأت بما يثير مشاعر الحنين الى الماضي. وهناك ما يدل على خصب خيال الدكتور كيرك: شوارع مرصوفة بحجار الوادي لاسواق فيكتورية اعيد انشاؤها بدقة مع الواجهات ومناضد البيع، وقد جمعت من المباني والمتاجر المهدمة. وازدحمت النوافذ المقوسة الغريبة بقطع اصيلة مثل تعهدات غير مستوفاة من دكان الرهون الذي كان يملكه ابنيزر البركر، وأجهزة بصرية من نحاس ومن خشب الماهوغاني (الموغونو) في حانوت توماس كوك، وادوات من الخزف الصيني الفاخر "كروان ديربي" في مخزن جوشوا تيرنر. وفي امكانك ايداع بطاقاتك السياحية صندوق البريد المصنوع ايام العهد الفيكتوري والموجود في باحة المتحف، او اشباع نظرك برؤية الفئران السكرية وسكر الشعير وحلوى النعناع معروضة في نافذة حانوت جوزف تيري.

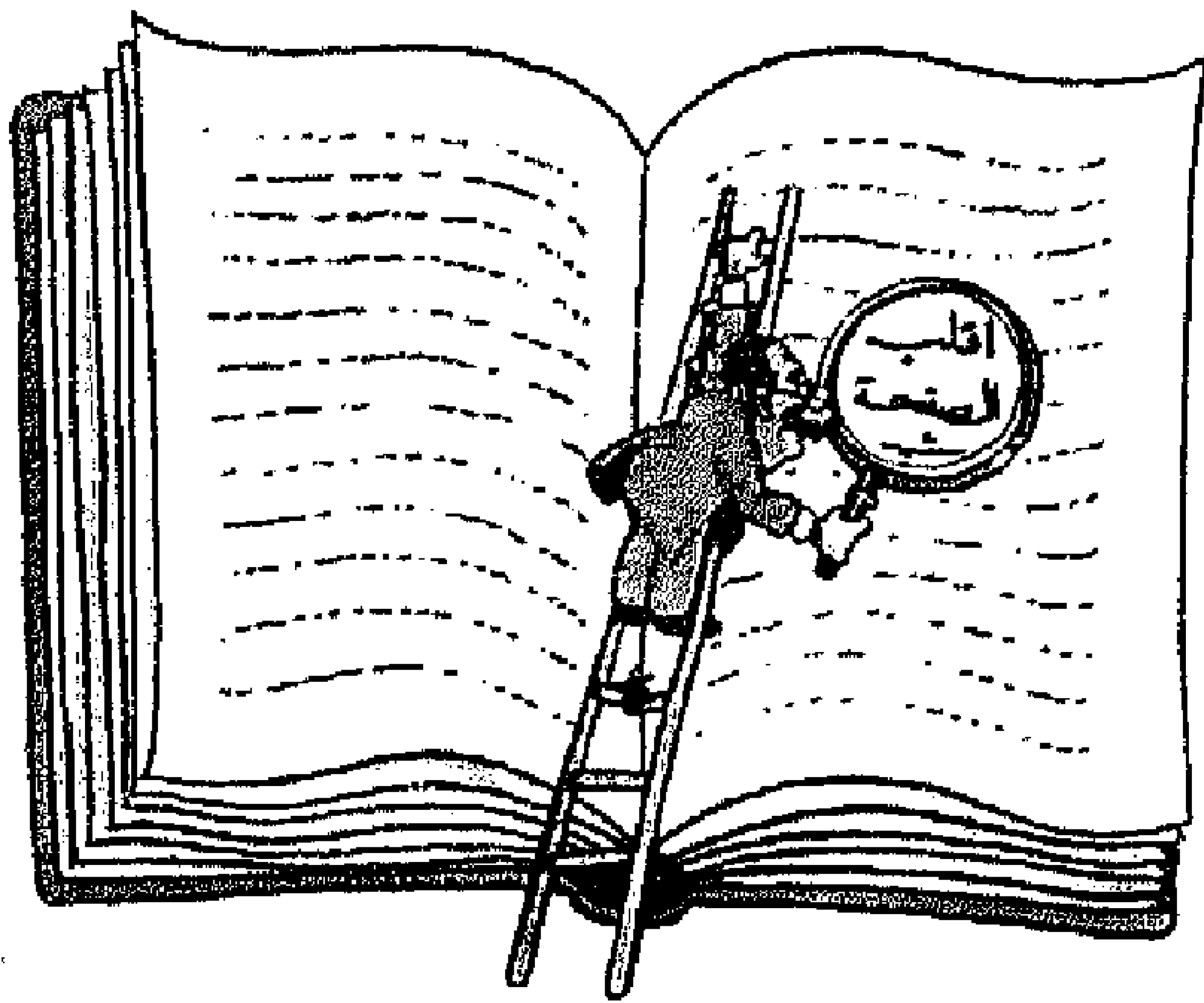
بعد الجولة عدت وزوجتي الى العالم الواقعي خارج المدينة وقد اعترتنا الحيرة، فلم نعد واثقين مما اذا كنا نعيش في الحاضر او في الماضي. لقد سافرنا في الزمن وشاهدنا الفي عام من تاريخ جزيرتنا. وكما قال الملك جورج السادس: "ان تاريخ يورك هو تاريخ انكلترا". وقد لا يتوافر لدينا سبيل اجمل من هذا لمعرفة ذلك التاريخ.

■ جفري لوسي

حراس مسالمون

فيما كان زوجي يغادر البيت الى عمله كحارس خارج قصر باكنغهام الملكي، طمأنني الى ان المسدس الذي يحمله غير محشو. فسألته: "ولكن ماذا تفعلون اذا رأيتم شخصا يتصرف في شكل يثير الشك؟" فأجاب بثقة: "مثلما يفعل اي شخص: نستدعي شرطيا".

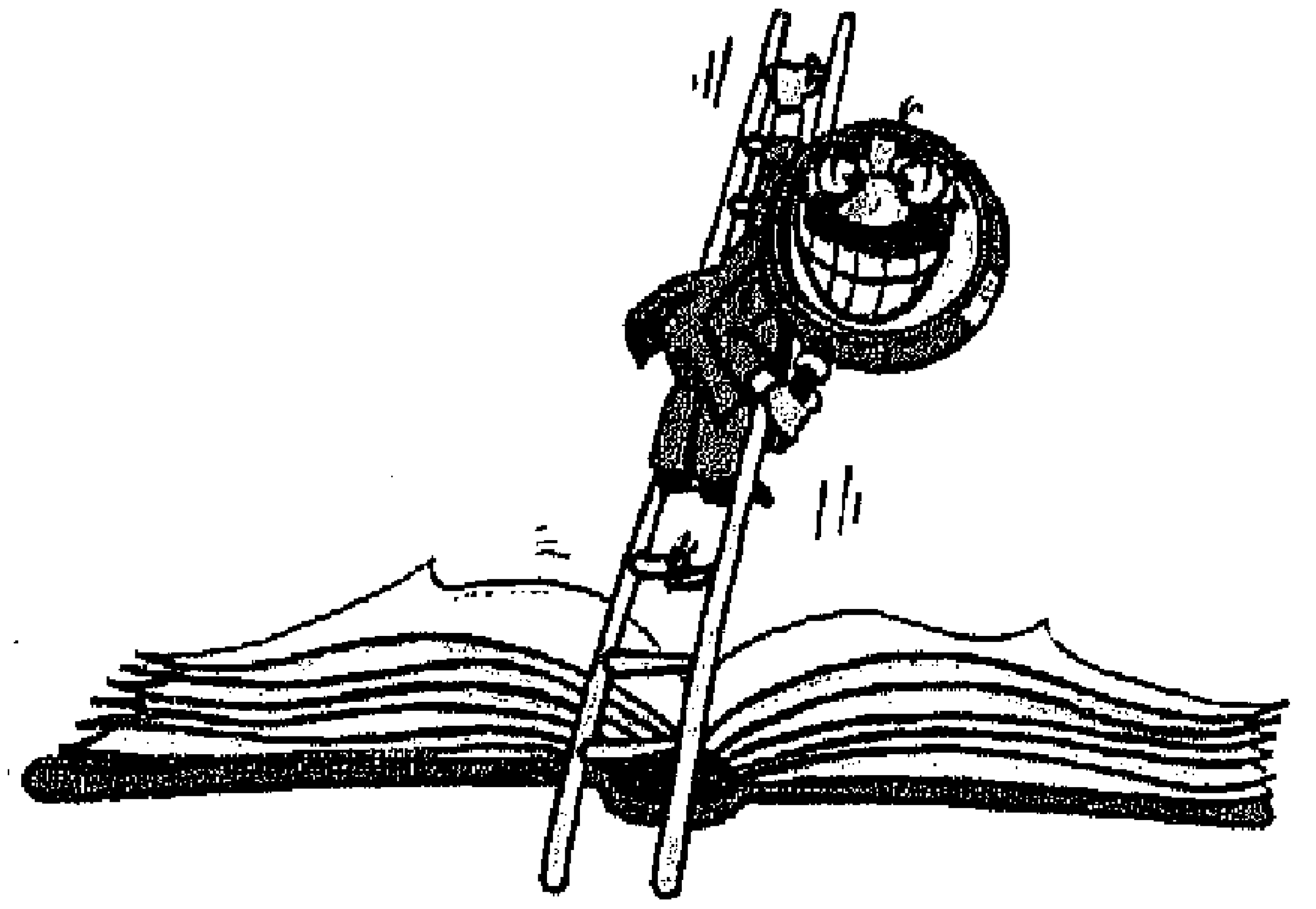
أ.م.ب.



دائرة المعارف

كلمات الدائرة في هذا العدد وصف لاصوات بشرية. وقد وضعت أمام كل كلمة أربع صفات للصوت أو للانفعالات التي ترافقه أو تكون دافعاً له، واحد منها فقط صحيح. والمطلوب من القارىء أن يختار المرادف أو المعنى الذي يعتبره صحيحا، ثم يقلب الصفحة ليحصل على الاجوبة ويقيس مستواه.

١ . صُداح: صوت شديد - صوت ضعيف - بحّة - بكاء.
٢ . نَشيج: دعاء - غضب - وجع - خوف.
٣ . جِرس: صوت خفيّ - غناء - صدى - رنين.
٤ . جَلْجَلَة: نَفَس عميق - صوت شديد - صوت الاذُن - غموض.
٥ . نَبْس: صوت النفَس - كلام واضح - كلام قليل - هذر.
٦ . طَنين: صوت الاذن - بكاء - طرب - صدى.
٧ . صِياح: غناء - تأفّف - وجع - صراخ.
٨ . نَأمَة: صوت متّصل - صوت ضعيف - ضجّة - غضب.
٩ . عِياط: كلام كثير - صوت النائم - ندب - صراخ.
١٠ . هُتاف: محادثة - وشوشة - صراخ - طرب.
١١ . لَغْط: ضجيج - فرح - حزن - خوف.
١٢ . نَحيب: بكاء - طرب - خوف - استغاثة.
١٣ . لَجَب: صوت السكْر - صوت الحرب - غضَب - هذيان.
١٤ . زَحير: ضجّة - سعال - صوت النائم - نَفَس مع أنين.
١٥ . قَرقَرَة: كلام غامض - كلام كثير - صوت الامعاء - استغاثة.
١٦ . صَخَب: صوت الحرب - صوت الأرجُل - اختلاط الأصوات - نَدب.
١٧ . هَجْس: صوت خفيّ - نداء - خوف - ألم.
١٨ . هَيْنَمَة: موسيقى - حزن - كلام كثير - صوت خفيّ.
١٩ . جَلَبة: أنين - ضجيج - بحّة - خوف.
٢٠ . ضَوضاء: اختلاط الأصوات - ندب - صدى - غضب.
٢١ . نَقْر: نداء - همس - صوت المشي - صوت الأصابع.
٢٢ . أنيت: صدى - أنين - صوت الأنف - صوت الأذن.
٢٣ . بَلْبَلَة: صوت الامعاء - اختلاط الأصوات - هذيان - نوح.
٢٤ . غُنّة: غموض - صراخ - ترخيم - صوت العطشان.
٢٥ . وَحْوَحَة: بحّة - صراخ - همس - ألم.
٢٦ . نَخير: صوت النائم - صوت الأضراس - صوت الأنف - سعال.
٢٧ . عَويل: ضجيج - نوح - تأفّف - صوت المعركة.
٢٨ . دَنْدَنَة: غناء - استغاثة - صلاة - كلام خفيّ.
٢٩ . تأوُّه: صراخ - عتاب - طرب - توجُّع.
٣٠ . هَمْهَمَة: اضطراب - تهديد - موسيقى - كلام خفيّ.

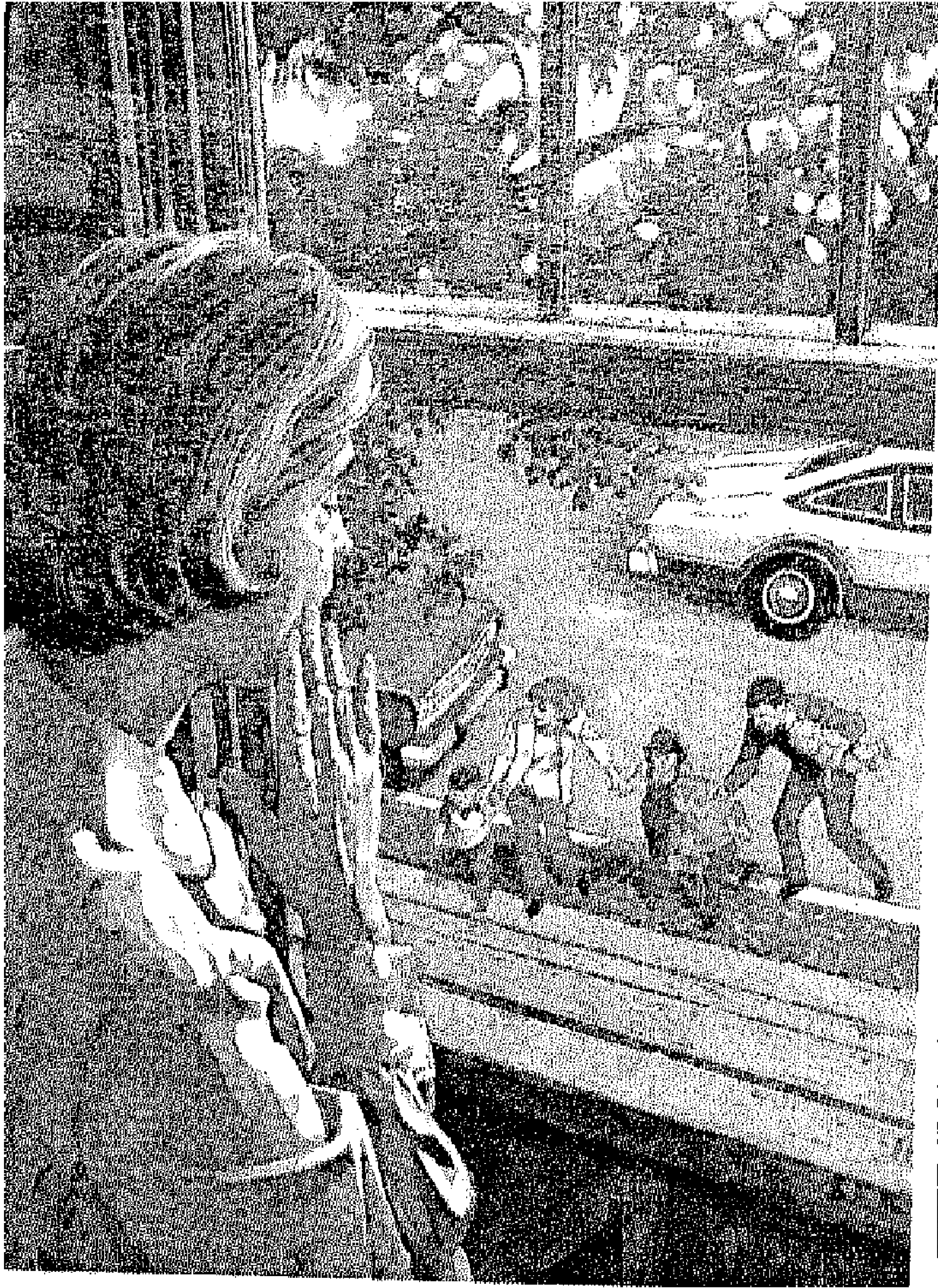


الأجوبة الصحيحة

١٠ صُداح: صوت شديد. صدَحَ الرجلُ أو الطائر: رفع صوته بغناء.
٢٠ نشيج: الصوت معه توجّع. نشَجَ: غصَّ حلْقُه بالبكاء من غير انتحاب.
٣٠ جرس: صوت خفيّ. ويصلح لكلّ ذي صوت.
٤٠ جَلْجَلة: صوت شديد. ايضا: صوت الرعد.
٥٠ نبْس: أقلّ ما يكون من كلام. "لم ينبس ببنت شفَة": لم يتفوّه بكلمة.
٦٠ طنين: صوت الأذُن.
٧٠ صياح: (بتثليث الصاد): صراخ. صوت بأقصى الطاقة.
٨٠ نأمة: صوت خفيّ أو ضعيف. نأمَ نأماً ونئيماً: أنّ.
٩٠ عياط: صراخ. عيَّطَ تعييطاً: صاحَ.
١٠٠ هُتاف: صراخ. صوت قويّ عالٍ.
١١٠ لغْط: ضجيج. أصوات مبهَمَة لا تفهَم.
١٢٠ نحيب: أشدّ البكاء.
١٣٠ لجَب: صوت الحرب في الغبار. عسكرٌ لجِبٌ: ذو لجَب.
١٤٠ زحير: نفَسٌ مع أنين. زحَرَ يزحَر زحيراً وزُحاراً: أخرج صوته أو نفَسه بأنين.
١٥٠ قرقَرَة: صوت الأمعاء. أيضاً: صوت الحَمام.
١٦٠ صخَبٌ: اختلاط الأصوات وقوّتها. صخِبَ فلانٌ: صاح وضجّ. صخِبَ البحرُ: تلاطمت أمواجه.
١٧٠ هجْس: صوت خفيّ، يُسْمَع ولا يُفهَم. هجَسَ الشيءُ في الصدر: خطَرَ في البال.
١٨٠ هيْنَمَة: صوت خفيّ.
١٩٠ جلَبَة: ضجيج، صراخ، اختلاط الصوت.
٢٠٠ ضوضاء: اختلاط الأصوات. الجلبة وأصوات الناس في الحرب وغيرها. أيضاً: الضّوضى.
٢١٠ نقْر: صوت خفيف يحْدثه ضرب الابهام على الاصبع الوسطى.
٢٢٠ أنيت: أشدّ الأنين. أنَتَ يأنِتُ.
٢٣٠ بلْبَلَة: اختلاط الأصوات. تبلبلت الألسُن: اختلطت فلا تُفْهَم.
٢٤٠ خُنّة: صوت فيه ترخيم. الأخَنّ: الذي يخرج كلامه من خياشيمه.
٢٥٠ وحْوَحَة: صوت معه بحَح.
٢٦٠ نخير: صوت من الأنف.
٢٧٠ عويل: نوْح، رفع الصوت بالبكاء. صياح.
٢٨٠ دنْدَنَة: كلام خفيّ لا يُفهَم. دنْدَنَ ودَنَّنَ: نغَّم من غير أن يُفهَم منه كلام.
٢٩٠ تأوّه: توجّع وشكاية.
٣٠٠ همْهَمَة: كلام خفيّ لا يُسمَع ولا يُفهَم. صوت يخرجه تردّد الزفير في الصدر من الهمّ والحزن.

المستوى

٢٥ – ٣٠: ممتاز
١٩ – ٢٤: جيد
١٣ – ١٨: مقبول



الثمار الطيّبة

رحلة عبر الذكريات القديمة
تنتهي الى اكتشافات
جديدة مدهشة

كنت لا أزال في مستهل عهدي كجدة لم تألف بعد طعم الاحفاد وكان ذلك لسنوات طويلة مضت. الا اني لم انس ذكريات ذلك الاصيل المستطيل المفعم بالحنين ورقة الشعور.

اقتعدت يومذاك السجادة المطوية داخل "العلية"، واسندت ظهري الى جدار المدخنة وانا افكر في ضخامة المهمة التي القيتها على عاتقي. وكان الحمالون قد قاربوا انهاء عملهم، واضحت ارجاء دارنا المتعرجة خالية الا من رجع الاصداء.

ولم يبق من الاثاث سوى بضع اكوام في العلية. ولقد مضى اكثر من ثلاثين سنة - سنو زواجي الاحدى والعشرون، ثم السنون العشر الاخرى التي قضيتها مع الاولاد في المنزل بعد وفاة زوجي نورمان - على دخول هذه الاشياء الى الدار وصعودها درجات السلم.

اما الان، بعدما ترعرع الاولاد وانطلق كل في سبيله، فقد اتسع بي المكان وحدي وارتأينا ان نبيعه. وكان علي ان انتهي من التوضيب والتكديس قبل ان يعود الحمالون في الغد لنقل حملهم الاخير.

كنت وحدي تحت الافريز، واخذت اعترف في قرارة نفسي بأن المبرر الذي ادعيته لهذه الزيارة الاخيرة للعلية لم يكن الا خديعة للنفس. اما السبب الحقيقي، الذي كنت اعرفه تمام المعرفة، فهو الاختلاء بنفسي

لالقاء نظرة اخيرة موجعة على بعض تلك الاشياء التي تذكرني بالاوقات الماضية حيث كنا، انا وهي، موضع قصد الاخرين اكثر من اليوم. وكنت آمل ايضا في ان اهتدي من بينها الى غرض او غرضين يجدر الاحتفاظ بهما او اعطاؤهما للاولاد او الاحفاد.

السجادة القديمة – بدأت، قبل كل شيء، بمد السجادة المطوية التي كنت جالسة عليها، وخنقتني الغصة عندما فطنت الى انها اول سجادة اشتريناها معا، انا ونورمان. وعاودتني ذكرى تلك السنين العاطفية المحمومة في مستهل حياتنا الزوجية التي سلخناها معا في العراك من أجل البقاء. ولكم بذلت من الجهود للعناية بهذه السجادة القديمة الزائفة لكي احفظ لها مظهرها اللائق بمقدار المستطاع ريثما يتسنى لنا ابدالها بأخرى افضل منها. وها هي الان مليئة بالرقوش التي خلفها طيش الاولاد وآثار الاطفال الذين لم يحكم دائما ربط حفاظاتهم المطاطية، او التي تركها دهان الاحذية المستعصي على سوائل التنظيف وقد تناثرت معالمه عندما رُشقت به يوما في لحظة غضب. وبعد ذلك كله، فمن ذا الذي يرغب الان في اقتنائك ايتها السجادة؟

ثم هناك رأس الوعل ذو القرنين المشعبين، يحدق الي بنظراته الشزراء من احدى الزوايا. ويعود عهده على هذا الجدار الى الفترة نفسها، يوم جاء به زوجي المولع بالصيد وعلقه فوق رف الموقد في حجرة الجلوس، ظنا منه ان الامر يطيب لي بمقدار ما يلذ له. ولقد كرهت رؤيته في ذلك الموضع، لكنني – وتعاودني الان موجة من الارتياح النفسي – لم ابح له بحقيقة مشاعري. فقد اعتبرت ولا شك، ان هذه المحاباة واجب من واجبات الحياة الزوجية. فصبرت، وتحملت الامتعاض عن طيبة خاطر طوال خمس سنوات. ونقلنا رأس الوعل بعد ذلك الى غرفة نورمان الصغير حيث اصبح موضع اعجاب رفقائه، فأثر في ذلك الى حد استطبت معه النظر الى عيني الوعل المقززتين لمدة عشر سنين اخرى.

ذكريات تملأ النفس... غير ان رأس الوعل لم يطل به الزمن حتى امسى باليا، مما اهاب بنورمان الصغير نفسه ان ينتزعه من تلقائه عن الجدار ويخفيه عن الانظار. وبعد ذلك لم يعد احد يبالي برأس الوعل.

بيت الدمية الكبيرة – ثم وقع بصري على بيت من صنع اليد تقيم فيه دمية كبيرة قديمة. ففكرت لحظة في انه قد يكون هدية تروق احدى حفيداتي. ولكن سرعان ما تخليت عن فكرتي هذه، اذ بدا لي انه غير متقن الصنع ولا يصلح لان يكون بيتا لدمية بلاستيكية حديثة خلابة. والحقيقة ان هذا البيت لم يسترع انتباهي الا لانه كان آخر هدية صنعناها بايدينا انا ونورمان لكي يجيء بها بابا نويل أو سانتا كلوز (موزع الهدايا الميلادية) ويضعها ليلا تحت شجرة الميلاد. ولم يكن لهذا البيت اي قيمة الا بالنسبة الي انا. لكنني لا أجد له مكانا في شقتي الصغيرة التي سأسكنها بمفردي عما قريب.

وذلك اللباس الصغير الذي يرتديه الهنود الحمر والذي استخرجته من

قعر الصندوق المحدودب وكنت قد صنعته لابنتي ميريلي لترتديه في اثناء تمثيلية الصف الابتدائي الاول - ذلك اللباس لا ينطوي هو ايضا على اي قيمة ما عدا استثارة خفقان قلبي. ترى هل كان هذا الشيء التافه يستحق كل هذا التعب والعناء لمجرد ان تلبسه فتاة صغيرة وتلقي اربع كلمات ترحيبية هي: "اهلا بك يا تكومسيه؟" اما جوابي فهو نعم، حين اذكر الان اعتزاز الصغيرة حينذاك ومباهاتها باداء دورها. وانني لأكيدة من انه لو تتطلب الامر اعادة الصنع مرة أخرى، لفعلت. فلقد كنا آنذاك، انا ونورمان، المرجع الوحيد الذي لا يستغنى عنه. كما تشهد على ذلك الودائع الموجودة في العلية. فكيف لي ان اتخلى عنها وانبذها جميعا؟

مضت ساعتان، ثم ثلاث، ولم اهتد الى شيء يستحق ان اتمسك به. فمن ذا الذي يود الحصول على هذه الدراجة الصغيرة التي تآكلها الصدأ وأعوج مقودها وتراخت عجلتاها؟ او من يرغب في هذا الحصان الخشبي الذي خلا من ناصيته وذيله؟ او هذا الصندوق المليء بالدمى المندبة والمهشمة؟ وهنا غمرني التحسر على نفسي بعدما عمدت الى استثارته طوال ذلك الاصيل، فتساءلت عما عسى ان تكون فائدتي بعد الان. وتهاطلت مني الدموع بعدما احتبستها في صدري طوال تلك الساعات. فقد نالت الايام مني ما نالته من بقية الاشياء في هذه العلية. وأصبحت مثلها رثة بالية، وانطوت اهنأ فترات عمري.

وأخيرا حاولت ان اتمالك نفسي. ودنوت من النافذة واستنشقت الهواء البارد المنشط بانفاس مديدة. ولا أدري كم بقيت على تلك الحال، اتلمس السكون في ارجاء الدار الخالية واتحسس شعور الغرابة والاسى في صدري بعدما اختفت من دارنا جلبة الاولاد المنصرفين الى اللعب بينما هي باقية صاخبة في دور الآخرين في جوارنا. وأحمر الشفق في اشجار السنديان، معلنا اقتراب الظلام.

وبعد ذلك تواردت علي سلسلة من الوقائع الخاطفة غيرت مجرى افكاري. واذا بسيارة تتوقف امام المنزل خرج منها رجل شاب وامرأة واربعة اطفال. وكنت غارقة في التفكير حتى انني لم ادرك على التو ان الرجل كان ابني نورمان مصحوبا بولديه وان المرأة كانت ابنتي البكر ميريلي يصحبها ايضا ولداها.

واقتربت في اللحظة نفسها سيارة اخرى مندفعة بسرعة كبيرة، فكدت اصرخ على غير عادتي "انتبهوا للأولاد". غير اني كبحت نزوتي وتحققت من انه ليس هناك ما يدعو الى اصدار الاوامر واطلاق الصياح. فقد غمر نورمان بذراعه القوية احد الولدين وازاح الآخر برقة الى حافة الرصيف، بينما احتضنت ميريلي ولديها باحتراس وامان.

غير ان هناك دافعاً آخر منعني من الصياح والانذار. فقد تغلب علي الشعور بالتجرد واللامبالاة، في غمرة الظلام المتلاشي على العلية، ازاء المشهد الجاري امام المنزل، كما لو كنت انظر الى الامور الارضية من

سطح كوكب آخر. ولعل هذا الشعور بالتجرد والانفصال هو الذي اتاح لي فعلا ان استوضح الامور واستجلي الواقع. فالرجل القادم ليس هو ابني نورمان الذي عرفته صغيرا ضئيلا من قبل، فأصبح طويل القامة، عريض المنكبين، يتسم بالعنفوان والاعتماد على النفس. وأدهشني تطوره خلال سنيه الثماني والعشرين، كما اذهلني ان أرى ميريلي اماً على هذا المقدار من الكفاية والاقتدار وان أجد ابنتي الصغرى جيري التي تزوجت اخيرا كفيلة بتنظيم شؤون حياتها دونما حاجة الى مشورتي ونصائحي.

وفطنت حينذاك الى حقيقة امري، وادركت ان انقطاعي عن المبالاة بالمشهد العائلي الجاري امامي ليس الا اقتناعا مني بأن الاولاد والاحفاد اصبحوا قادرين على تدبر امورهم بمعزل عني.

... ورحت أبكي فرحاً - وفجأة انهمرت الدموع من محجري، ولكن لسبب يختلف عن المرة الاولى. فها أنا ابكي الان فرحا، بعدما اتضحت لي حقيقة جديدة مدهشة مليئة بالمواساة، وهي الشعور البهيج بأننا، على رغم فوات الزمن، لا نزال موضع تقدير الآخرين، لاننا عرفنا - او قدر لنا - ان نتعهد الماضي لكي نجتني منه أطيب ثمار الارتياح والاعتزاز. وتبين لي في تلك اللحظة وذلك المكان ان الوقت قد حان لي لان اتنحى عن المحور، بعدما نلت الحظوة بالتنازل عن دوري المبرز للآخرين.

ولم البث ان سمعت صفير نورمان المألوف ينطلق نحوي من أسفل السلم. فحاولت ان اتمالك نفسي قبل ان يطل رأسه من الباب، فقال: "هل اصبح كل شيء جاهزا يا والدتي؟" ثم ادار المفتاح الكهربائي وأشعل النور. وقرأت علامة الاستغراب على وجهه عندما سألني لماذا لم اضع شيئا جانبا، واضاف: "هل تنوين التخلي عن هذه الاشياء كلها؟" وسمعت صدى جوابي يقول: "اظن ان أمر التقدير في شأنها يعود اليكم، انت وميريلي وجيري". وأحسست اذ ذاك، للمرة الاولى، بالغبطة التي تهز المتقاعد المحظوظ لدى انسحابه من دنيا العمل.

فرد نورمان: "اما وجدت شيئا يستحق البقاء؟"

فاجبته: "طبعا، وجدت". واننا لا نزال نحتفظ بذلك حتى اليوم: عطية العلية التي لا تقدر بثمن، لانها افضل ما اقتنيناه انا والعائلة. فقد قضيت اصيل اليوم اعد لها، وتعد لي، المناخ الملائم للتحرر والانزواء، حيث يزدهر التقدير وتنتعش المحبة وتتنامى.

■ ايتل سالتر غايل

خيال فنان

رسم الفنان هنري ماتيس صور اصدقائه على سقف غرفة نومه، مفسرا ذلك بالآتي: "بهذه الطريقة يخف شعوري بالوحدة خلال النوم".

مجلة "وجهة نظر - صور من العالم"، فرنسا

قسيمة اشتراك

اشترك في المجلة التي يقرأها أكثر من ١٠٠ مليون في ١٥ لغة

املأ هذه القسيمة وارسلها مرفقة بالقيمة المطلوبة الى "المختار" فتصلك المجلة فوراً. (الرجاء كتابة الأسم والعنوان بالعربية والاجنبية).

الأسم	NAME ....
العنوان	ADDRESS ....
	....
	....
المهنة	PROFESSION ....
التوقيع	SIGNATURE ....

أود الاشتراك في "المختار" لمدة سنة كاملة
أرفق قسيمة إشتراكي بشيك مصرفي بأسم:

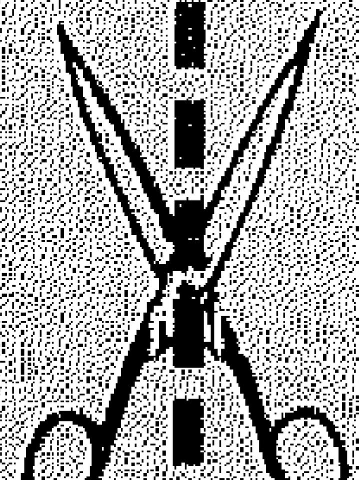
AL MUKHTAR min Reader's Digest

قيمة الاشتراك السنوي بما فيه بدلات الارسال الجوي:

- ☐ أوروبا وشمالي افريقيا — ٢٢ دولاراً أمريكيا
- ☐ البلدان العربية — ٢٥ دولاراً أمريكيا
- ☐ الولايات المتحدة - كندا واميركا الجنوبية — ٢٧ دولاراً أمريكيا
- ☐ أوستراليا والبلدان الأخرى — ٣٠ دولاراً أمريكيا

عنوان "المختار":

AL MUKHTAR min Reader's Digest
37, Avenue George V, 75008 Paris, FRANCE



قضى المستكشف الياباني نعومي أويمورا ٥٥ يوماً متحدياً المفاوز القطبية ومحاولا ان يصبح اول انسان يبلغ القطب الشمالي منفرداً

أول قدمين فوق سطح العالم

قبيل بزوغ الفجر تناهى الى سمعي، وانا ملتحف كيس النوم داخل الخيمة، نباح كلابي المفاجىء، فتملكني الشعور بالخطر. فقلما توجد كائنات في المنطقة القطبية تثير المخاوف الغريزية لدى كلاب الزحافات، ما عدا الانسان والدب.

وسمعت وقع الاقدام المتثاقلة تمسح الثلوج ويعقب ذلك صوت انفاس لاهثة، وأحسست بطيف الدب ماثلا خارج الخيمة.

وقلت لنفسي: "لقد انتهى كل

نعومي اويمورا وحيداً في القطب وحوله كلابه.



شيء، ولا محال من الهلاك".
واتجهت بأفكاري الى زوجتي الحبيبة كيمي شان في طوكيو وتضرعت اليها ان تساعدني على نحو ما. ثم تملكني احساس بالسكينة وقلت في نفسي: "انني قد أقتل، ولكن اذا كان هناك بصيص من الأمل في البقاء، فأنه يكمن في تمددي ساكنا داخل الكيس واحتجاز نفسي بمقدار المستطاع.

وينتقل بي الفكر الى بندقيتي وهي في متناول يدي، ولكنها غير محشوة. ويتصبب العرق من جسمي، فيحكني جلدي في انحاء اعضائي وكأن البراغيث تنهشني. واسمع الدب وهو يقلب بعنف مؤن الاغذية في الخارج.

واتوسل في صمت ورئتاي توشكان على الانفجار: "لعله يكتفي بذلك!".

ولكنه لم يفعل. بل تحول الى الخيمة واخذ ينخر بدوي صاخب وينشب مخاليه الضخمة في الستائر الرقيقة المصنوعة من النايلون. وحبست انفاسي وتملكني الذعر فيما هو ينتأ جدار الخيمة ويلقي به الى الداخل، واذا به يقحم انفه المتقارب من ظهري، فأسلم امري الى الله واقول في نفسي: "لقد انتهى الامر الآن"!

وفجأة انصرف الدب، لسبب اجهله لا يقبل التعليل، وساد الصمت وتنفست الصعداء ملء رئتي.

وكان ذلك في ٩ مارس (آذار) ١٩٧٨، بعد انقضاء اربعة ايام على انطلاقي بالزحافة التي تجرها الكلاب من مخيم قاعدتي على شاطىء المحيط القطبي، عند "كيب كولومبيا" في كندا. وكنت اطمح الى ان اكون اول شخص يبلغ القطب الشمالي بمفرده. وقد اتخذت لهذا الغرض الترتيبات اللازمة لمدي من الجو بالمؤن الضرورية على طول الطريق البالغ ٧٦٦ كيلومترا الى القطب، تحملها الي طائرات متزحلقة تنطلق من محلة ريزوليوت.

واتصلت في الحال عن طريق الراديو، بمخيم القاعدة وطلبت خيمة ومؤنا جديدة. ثم جلست اترصد المتطفل الساطي ليقيني انه سيعود مرة اخرى للحصول على وجبة جديدة. وانتابني قلق على البندقية، لأن درجة الحرارة ٤٠ مئوية تحت الصفر، وقد يتجمد فيها الجهاز فأفشل في اطلاق النار في اللحظة الحاسمة. وبادرت الى نقع جهاز اطلاق النار في الكيروسين (الكاز) لضمان الاداء الفوري.

وبعد ٢٤ ساعة تقريبا من الهجوم الاول عاد الدب بجثته الهائلة البارزة بين الثلوج السامقة وراح يسير نحوي في وقار وجسمه يتضاخم لعيني من خلال فتحة التصويب. وما ان اقترب على مسافة ٥٠ مترا حتى ضغطت سبابتي على الزناد، فهم الدب منتصبا وعلت منه أنة حادة قبل ان يتهاوى فوق الثلج فعاجلته ببضع رصاصات اخرى، وانتهى الأمر...

المسيرة الشاقة — وبعد ساعات قلائل حلقت طائرة التموين فوق رأسي وزودتني بما احتاج اليه، الى ان امتلأت زحافتي بما يبلغ وزنه ٤٥٠ كيلوغراما، وهو حمل ثقيل على ١٧ كلبا. وفي ١١ مارس استأنفت العراك مع خصمنا الخالد المحيط القطبي، وهو منطقة رهيبة تجهد فيها الكلاب

معي كي نتقدم بالزحافة خلال متاهة لا نهاية لها من تلال الثلج المسننة. وكثيرا ما اجدني مضطرا الى شق الطريق خلال الثلج المتجمد بعارضة من حديد لحفر منفذ تمر الكلاب من خلاله. ويطول العراك ثماني ساعات كاملة من دون ان تتجاوز المسافة التي قطعناها الكيلومترين. واحس بالفرج اخيرا عندما اتوقف وانصب الخيمة.

واما القطب فانه لا يزال بعيدا بعدا سحيقا، بينما لا تتجاوز الحرارة ٣٨ درجة مئوية تحت الصفر والرياح تهب في وجهي فتصيبني لفحة الصقيع في انفي وذقني. وليست حال الكلاب افضل من حالي.

وكان عليّ دائما ان استكشف الطريق واتسلق كتل الجليد بما لا حصر له، كي اجد افضل الدروب او السبل الممكنة، وكانت احتمالات الاختيار تبدو دائما مثبطة للعزم.

ثم جاء يوم ١٦ مارس وجاءت معه مشكلة جديدة. فهناك منبسط من الجليد واجهنا فيه اخدود او "عرق" من الماء المكشوف يمتد عرضه على ٥٠ مترا تقريبا ويسد علينا الطريق. فلم تبق امامنا حيلة سوى ان ننتظر ان ينسد العرق. وعندما تضاءل عرضه الى متر ونصف متر، هممت بالكلاب على عبوره. ولكن الكلاب تباطأت فانزلق خمسة منها الى الماء وابتلت جلودها فلم تلبث ان تجمدت بما عليها من ماء في غضون ثانية واحدة، الا ان عشر دقائق من الجهد كانت كفيلة باعادة الدفء اليها.

وتحسنت الاحوال تدريجا حتى ٢٦ مارس فقطعنا ١٩ كيلومترا في ذلك اليوم وحده. وراحت الكلاب تجري سابحة في الثلج الطري.

واستمر الضغط على هذا المنوال، وتابعنا السير بلا هوادة ولم يزد نصيبي من النوم على خمس ساعات او ستّ في اليوم، وكنت في نهاية النهار اشعر بساقي خائرتين وبجسمي وكأنه منفصل عني، واحيانا استغرق في النوم فور دخولي الخيمة.

طائرة الامدادات – كان اول ابريل (نيسان) يوماً خاصاً، اذ تمكنت طائرة الامدادات من الهبوط على مساحة من الجليد المسطح حاملة لي معها زحافة اخف وزنا، اضافة الى كلبين جديدين وكمية اضافية من طعام الكلاب ومقدارا من الطعام لي (لحم وعل وبسكويت وسكر، وزيت وكبد الحوت، وملح وبن ومربى). وحملت الطائرة في عودتها زحافتي القديمة الثقيلة وكلبين ساءت حالهما، وارتفعت في الجو، فعاودتني الوحدة مرة اخرى.

وكنت اتناول طعامي، اسوة بكلابي، مرة واحدة في نهاية رحلة اليوم. واللحم دائما غير مطبوخ. فلحم الوعل النيء ينطوي على قيمة غذائية عالية وهو لذيذ الطعم في الوقت نفسه، اضافة الى انه ليس لدي متسع من الوقت للطهي.

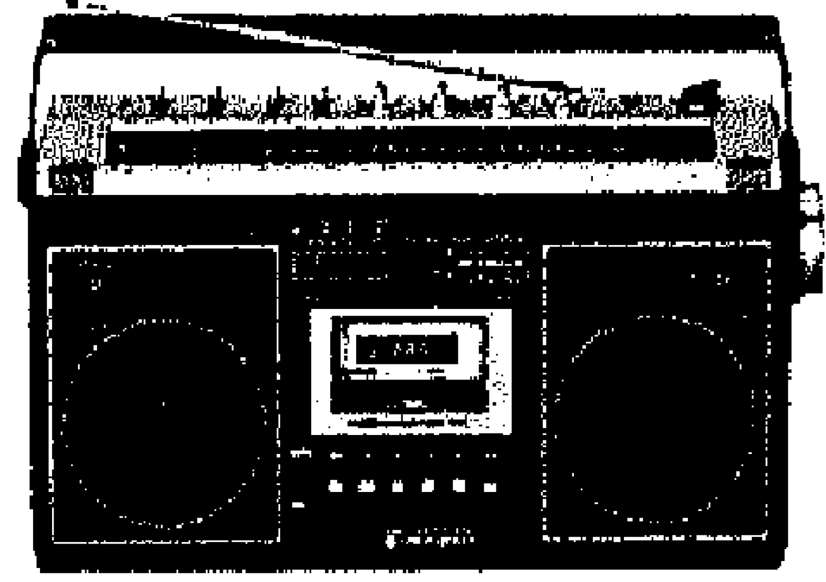
واستمر البرد في ٥ ابريل وتعطلت عملية الرصد التي اقوم بها في الصباح بجهاز "السكستنت" بسبب الريح الشمالية الشرقية التي اخذت تهاجم يدي بمثل لسع النحل، ولكنني لم اتوقف حتى ان حددت مكاني بمنتهى الدقة، فوجدت اني على مسافة ٢٤٦ كيلومترا بالطائرة من

ستيريو ـ "طـوع أنـاملك سـيّدي" ..!

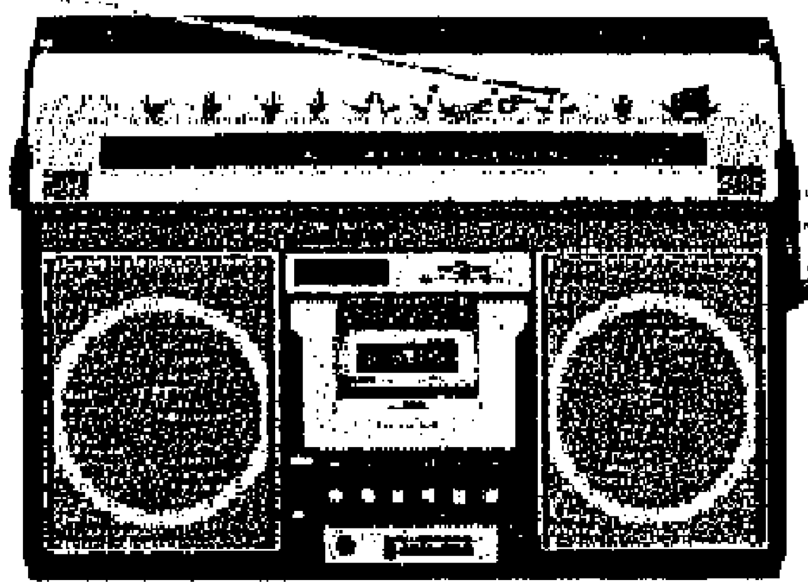


لماذا تترك موسيقاك المحببة في المنزل بينما تستطيع أن تصطحبها معك؟ مع جهاز بايونير ستيريو راديو/كاسيت النقال الجديد متعة الموسيقى تصبح طوع انامك سيّدي، أينما كنت.. إنه سهل الانتقال. سهل الاستعمال.

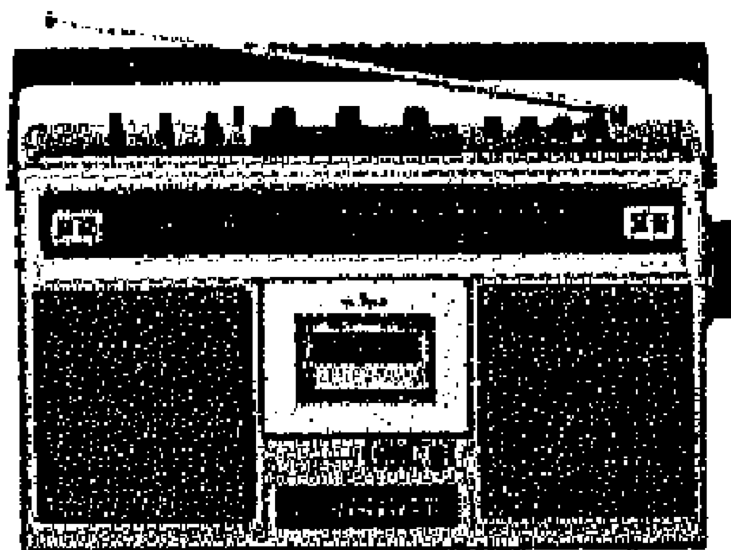
بايونير هي أضخم الشركات المنتجة لأجهزة الصوت، فكان طبيعياً عليها أن تنتج أعظم الأجهزة النقالة لتضع عظمة موسيقى الستيريو الحقة في راحة كفك. بكلمة أخرى، يمكنك الآن أن تستمتع بروعة موسيقى الستيريو أينما كنت أو شئت أن تكون، وكأنك في منزلك. كل من الطرازين SK-6 و SK-7 يتميز بـ "دك بايونير الخاص TM" المتعدد الاسلوب. وهو يشمل آلية فريدة لانتقاء القطعة الموسيقية المختارة أوتوماتيكياً، بالاضافة الى إسلوبين للإعادة، أحدهما يبرمج مسبقاً ومتوفر مع الطراز SK-7. ثم، مع كل من الطرازين تحصل على طاقة موسيقية جبارة تأتيك عبر مكبرات بايونير الضخمة لموسيقى الستيريو. زورنا لترى وتستمتع بنفسك اليهم اليوم. إنهم حقاً ستيريو "هاي - فاي" ذات أثير نقالة. من بايونير، الشركة التي تجعل موسيقى الستيريو .. طوع أناملك.



SK-7 ذو شبكية ستودار لمكبرات الصوت



SK-6



SK-1A

PIONEER بايونير

Pioneer Electronic Corporation 4-1, Meguro 1-chome, Meguro-ku, Tokyo 153, Japan

رأس كولومبيا، ويبقى علي ان اجتاز ضعف تلك المسافة تقريبا (٥٢٠ كيلومترا) لكي ابلغ القطب. فاستجمعت عزيمتي. واستأنفت المسير نحو الشمال.

ولقد وجدت في الكلاب خلال الساعات الرتيبة المملة مصدرا للتسلية. فليس بين الكلاب اثنان يتماثلان في طبيعتهما: هناك الكلب الذي يسارع بالنباح ولو لم يمسه السوط، وهناك كلب آخر لا ينبح ابدا، وثالث يبدأ فورا في بذل اقصى قوته في الجر بمجرد ان ترتفع يدي الممسكة بالسوط، وهناك اخيرا الكلب الذي يرميني بنظرة جانبية وهو يعدو وكأنه يريد ان يحملني على التقدير: "الا ترى بعينك كيف اني ابذل غاية جهدي؟".

وفي ١٢ ابريل اعترضنا شق مائي في الجليد يبلغ عرضه ثمانية امتار وتطفو على سطحه بضع شرائح من الجليد عند اضيق نقطة فيه. فأخذت اقطع شرائح اخرى من حافة الشق واضيفها الى الاخرى الطافية لكي اصنع منها جسرا عائما.

وما ان اصبحت على اهبة المسير، حتى نبّهت الكلاب بصيحة عالية واطلقت لها العنان وانا ادفع الزحافة وراءها من الخلف، ورحنا نعبر شريحة عائمة تلو اخرى، حتى اذا ما بلغنا الشريحة الاخيرة ووضعت الكلاب اقدامها فعلا على الجانب الآخر توقفنا فجأة عن الجر فتأرجحت شريحة الثلج الاخيرة على نحو خطر وانزلقت الكلاب التي في المؤخرة الى الماء فوثبت الى الامام ورحت اضرب الاعنة المرتخية بقبضة السوط واصرخ في صخب: "انطلقوا... انطلقوا"، فاندفعت الكلاب في جهد متناه نحو الامام، حتى استقرت الزحافة اخيرا على الجليد الصلد.

ويوم ١٣ ابريل كنت تجاوزت منتصف المسافة. وفي اليوم التالي هبطت الطائرة وزودتني بامدادات جديدة ونصف طاقم من الكلاب. وبقي امامي ٣٦٤ كيلومترا حتى ابلغ القطب، استطيع ان اقطعها في عشرة ايام اذا سمحت بذلك حال الجليد والجو.

وتملكني شعور غريب بالثقة من النجاح على رغم الصعوبات الماضية.

ولم يلبث تفاؤلي ان تضاءل في صباح اليوم التالي (١٥ ابريل) عندما هبت عاصفة ثلجية عنيفة سمرتني في مكاني طوال ذلك اليوم واليوم الذي يليه.

وعند ظهيرة اليوم السابع عشر من الشهر تحسن الجو بعض الشيء بعدما طال انتظاري اكثر مما استطيع. لكن الثلج عدو ماكر خبيث، يغطي المنطقة المنبسطة امامي ويموه كلا من الجليد القديم الصلد والثلج الحديث الطري على مسافات رقيقة السمك محفوفة بالخطر. وكثيرا ما حدث ان انشق الجليد تحت اقدام الكلاب ووجدتني غائصا في الماء حتى ركبتي.

مسطحات الجليد المتحركة ـ

وسرعان ما واجهنا خطرا اخر: مساحات هائلة من الجليد تتحرك والدنيا من حولي تبدو وكأنها مسرح دوار، فأجدني للمرة الاولى طافيا بالفعل فوق المحيط القطبي، ارتحل عبر قطع ضخمة من الجليد منفصل

بعضها عن البعض الآخر ولكنها لا تنفك عن الاحتكاك محدثة اصداء مخيفة. ومن ثم، فلا مفر من ان تتضاءل مسطحات هذه القطع الضخمة تضاؤلا مطردا.

واجدني في ذلك المساء معسكرا فوق جزيرة من الجليد لا يتجاوز قطرها ثلاثمئة متر. وفجأة بدا لي شق ضخم في الجليد على مسافة تقل عن عشرين مترا من خيمتي. فماذا افعل يا ترى؟

وبينما انا اقلب الاحتمالات ينفتح شق آخر اقرب من سابقه، وتتحول الجزيرة الى قطعة جليد صغيرة طافية، ولا يعود هناك وقت للتفكير.

وجاءت دوامة من التيارات المائية واخذت تدفع بقطعة الجليد وتلصقها بكتلة اخرى محدثة ما يبدو انه مسطح جليد صلد، فسارعت الى طي الخيمة ووضعها في الزحافة، واختطفت العارضة الحديد التي أكسر بها الجليد وهويت بها نحو الاعنة بين الكلاب والحافة وصرخت بأعلى صوتي: "انطلقوا حالا! انطلقوا!" واندفعت الكلاب في انطلاقة واحدة تجذب الزحافة الى كتلة الجليد المجاورة.

نتيجة حسنة، مرة واحدة اخرى ونبلغ الأمان. وهويت بالعارضة مرة ثانية نحو الاعنة وعادت الكلاب تجذب الزحافة بكل قوتها. وما هي سوى ثوان قليلة حتى عدنا الى الجليد الصلد الراسخ.

ولقد اقنعتني تجربة هذا الهلاك الوشيك بأنني كنت عجولا اكثر مما يجب فأصبحت اتريث الآن على امل ان تعود كتل الثلج الى الالتصاق معا في كتلة واحدة. وبقيت منتظرا حتى يوم ٢١ ابريل قبل ان اطمئن الى استئناف الرحلة بأمان. وقد كوفئت على حسن صبري فقطعنا في ذلك اليوم مسافة ٤٠ كيلومترا واضفنا اليها في اليوم التالي (٢٢ ابريل) ٦٠ كيلومترا اخرى كانت من افضل المراحل التي قطعناها.

وفي ٢٣ ابريل (نيسان)، اعترضنا خليط ضخم من جلاميد الجليد المتشابكة، فاضاف عقبة جديدة الى متاعبنا، لان العدو فوقها ينهك الكلاب. وعندما اصدر امري اليها بأن تجر الزحافة يظل كل كلب واقفا في مكانه يتلفت حوله محملقا في زملائه وكأن الامر يعني هؤلاء فحسب.

وظللنا، على رغم ذلك، نواصل المسير. نعبر شقوق الماء احيانا بطريقة الجسر العائم من شرائح الجليد. وذات مرة لم اجد شرائح جليد عائمة، فاقمت جسرا من الزحافة نفسها، بان انزلقت بها عبر الماء حتى اصبح كلٌ من طرفيها مستقرا على احدى ضفتي الشق المائي.

وبدا لي ان الكلاب لا تثق كثيرا بابتكاري هذا، ولكنها لا تمانع في ان اقودها واحدا بعد الآخر عبر هذا الجسر الارتجالي. وعندما تصبح كلها على الضفة الاخرى، اعيد ربط اعنتها، وبجذبة واحدة يعود الجسر فيصبح زحافة مرة اخرى.

ويوم ٢٦ ابريل، اتت اخر طائرة امدادات وزودتني بكمية من الاغذية تكفي لايام عدة اخرى، واخذت عهدا على نفسي بانني لن احتاج الى اكثر من ذلك. وغمرتني هذه الفكرة بالتفاؤل. وفي اليوم التالي دفعت الكلاب بشدة فحققنا تقدما ممتازا

ولم يعد يفصلني عن القطب سوى ٧٦ كيلومترا.

في مواجهة القطب ـ اطل يوم ٢٨ ابريل، فهل سيكون هذا آخر يوم للارتحال؟ وبعد ساعة من المسير ظهرت كتل الجليد وقد اصبحت رقيقة، وبدت مساحات الجليد كالواحات المضيافة. غير ان الطريق قد تعثرت من جديد بسبب الشقوق في سطح الجليد والتي بدت كشبكة عملاقة نشرها الصيادون كي تجف. وكانت معظم الشقوق ضيقة تتيح للكلاب ان تثب عبرها، ولكنها تستغرق منا وقتا اضافياً. وعلى رغم استمرارنا في المسير المنتظم طوال ١٤ ساعة، الا ان هذا لم يكن كافيا وبات لا مفر من ان يرجأ اليوم الموعود، فاتحامل في اعياء لاحلّ الكلاب من الزحافة وانصب الخيمة للمرة الاخيرة، من دون شك، وتضطرم جوانحي بلهفة تمنعني من النوم.

ان الصباح في الايام القطبية الصيفية يحتاج الى تمييز شخصي نظرا الى انعدام الخط الفاصل هناك بين النهار والليل. وقد استيقظت باكرا، بينما تجاهلت الكلاب حلول هذا "اليوم" الجديد، مع انه آخر صباح لنا هنا، فقررت ان التقط فيلما للخيمة وطاقم الكلاب، وحاولت ايقاظها من الرقاد، فلم تمتثل لطلبي ولم تشاركني في حماستي لتلك اللحظة التاريخية، وكانت النتيجة فيلما جامدا.

وكان الامر مختلفا على "الطريق"، حيث تبذل الكلاب جهدا خارقا. وما ان نبدأ السير حتى ينتابني احساس بالراحة والهناء. فقد اصبح القطب على قاب قوسين منا، واننا ولا شك سنبلغه اليوم. ورحت اركض خلف الزحافة شاعرا بالامتنان للكلاب على ما ساهمت به في تحقيق النصر الاخير.

وبعد ١٢ ساعة تقريبا من السير المتواصل قدرت انني قد بلغت القطب. ويوم ٢٩ ابريل، في الساعة ٦،٣٠ مساء بتوقيت غرينتش، اوقفت الزحافة وقمت بالرصد بآلة السدس، فبدا القطب قريبا الى حد انه لو كان هناك بالفعل قطب شمالي فلا بد ان يكون قد اصبح على مرمى البصر. وعدت فاجريت ، على سبيل التأكيد، عمليات رصد اضافية ليومين آخرين (★)، فكانت النتائج دائما هي انني قد بلغت قمة العالم.

وأثناء انتظاري الطائرة التي ستحملني الى مخيم القاعدة، رحت اعرض الفترة الشاقة العصيبة التي امتدت ٥٥ يوما من السير المتواصل، وافكر في زوجتي وفي الذين ساعدوني، واجدني سعيدا لتمكن الانسان، للمرة الاولى في التاريخ، من بلوغ القطب الشمالي منفردا.

■ **نعومي اويمورا**

ولد نعومي اويمورا في ١٢ فبراير (شباط) ١٩٤١، وقام بالعديد من المغامرات الملحمية المنفردة، فهو تسلق اعلى قمم الجبال في امريكا الشمالية والجنوبية وفي افريقيا، وركب نهر الامازون في رمث على مسافة ٦٠٠٠ كيلومتر، وقطع فوق الثلوج مسافة تزيد على ١٢٠٠٠ كيلومتر من غرينلاند الى الاسكا، وهي اطول رحلة لانسان بزحافة تجرها الكلاب، كما تسلق قمة ايفريست في مايو (ايار) ١٩٧٠ مع اول بعثة يابانية نجحت في بلوغ تلك القمة.

(★) ايضاح جغرافي: عند القطب الشمالي يقل طول اليوم حتى يصبح دقائق قليلة، تتضاءل بدورها الى ثوان معدودة حتى ينعدم الزمن تماما فوق "نقطة" القطب بالضبط.

الفار آلتو
آخر عمالقة العمار الحديث



لقد اثرى
المهندس المعماري
الفار آلتو أرض وطنه
بما يزيد على ٢٠٠ بناء،
فابتدع منها حلة قشيبة
تتوهج ضياء ورونقا وشاعرية

ذات مرة دعي المهندس المعماري الكبير الفار آلتو الى القاء محاضرة في سويسرا فقبل الدعوة ولكنه، تبعا لعادته، لم يتناول موضوع العمارة على الاطلاق بل تحدث عن صيد سمك السلمون وعن جمال الريف الفنلندي. وقد تملكت الحيرة الجمهور في بداية الامر لكنهم لم يلبثوا ان ادركوا قصد المحاضر الفنلندي الصغير الجسم واللبيب الذهن عندما راح يذكرهم بانه ينبغي للعمارة ان تتقبَّل فهم الطبيعة وان تعي ان جذورها راسخة في عالم الاحياء. وقال مرة لطلابه:

"عندما تضعون تصميما لنافذة تخيلوا ان في اطارها وجه الفتاة التي تهوون".

وكثيرا ما كان الفار آلتو يقوم بعمله في عزلة شبيهة بالتنسُّك جاعلا فن العمارة طقسا صوفيا كالطقوس الخيميائية القديمة الهادفة الى تحويل الشيء المبتذل الى شيء نفيس.

ان العمارة، في نظره، هي فنّ تحويل الحجر التافه الى كتلة من الذهب، واما المسائل النظرية فيتجاوزها مكتفيا بالقول: "انا



قاعة فنلنديا من الداخل.

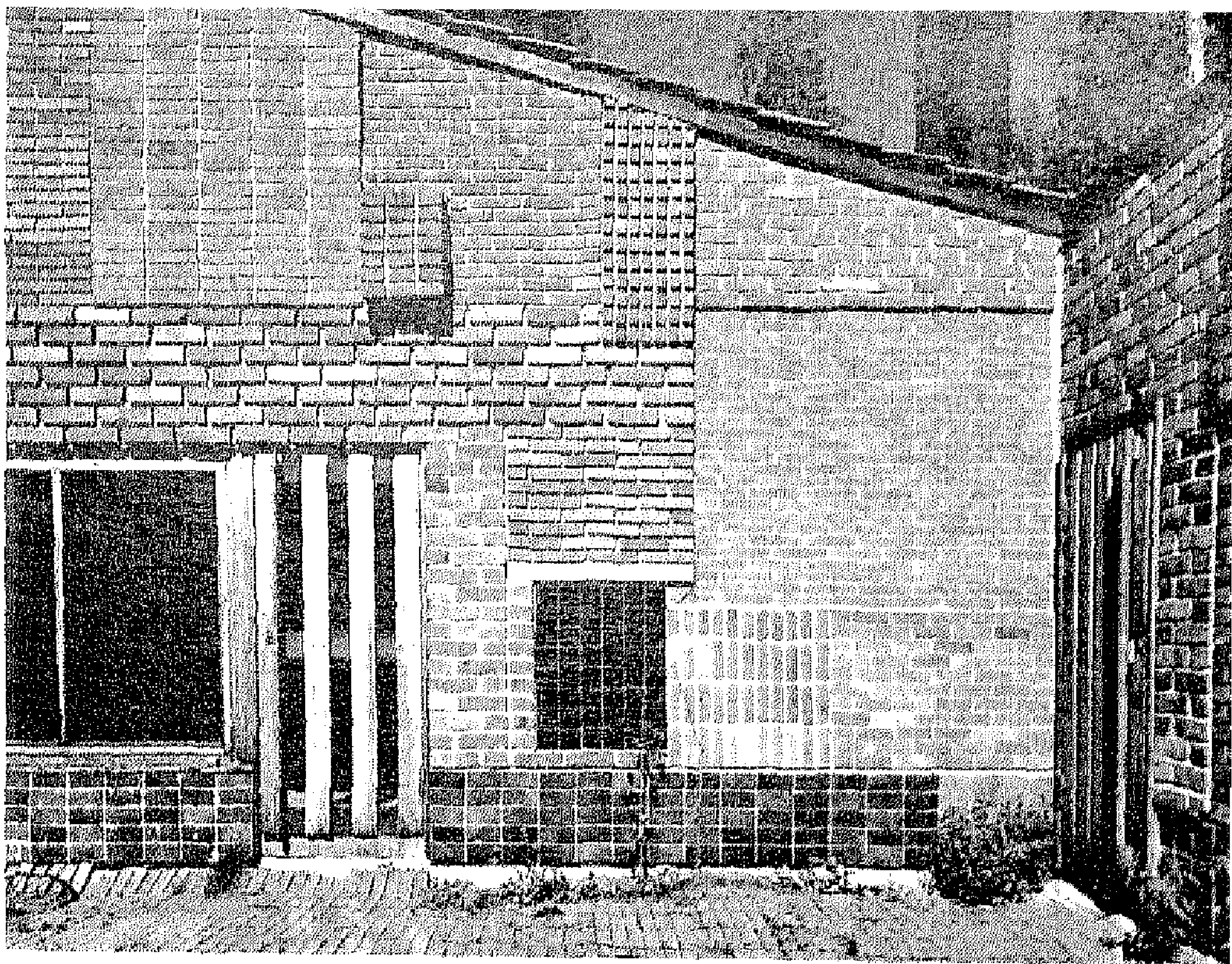
أبني". وقد بنى بالفعل. وها ان المباني التي شادها طوال ستة عقود تقريبا، بين الغابات والبحيرات في رحاب الارياف الفنلندية الباردة تنتصب كالالغاز فوق سطح الارض طبقات حجرية مقتلعة من الصخور المحلية، تعكس اناقتها جمال الطبيعة وتقوم في هدوء وسلام بوظيفتها الانسانية المكتملة.

وعندما توفي آلتو سنة ١٩٧٦ عن ٧٨ عاما نعي "كآخر عمالقة العصر البطولي في فن العمارة الحديث"، وقورن بعدد من افذاذ العمارة مثل لوكوربوزييه ووالتر كروبيوس ومايس فان دير روه وفرانك لويد رايت.

ليس هناك في الحقيقة ما يربطه كثيرا بهذه النخبة من المعماريين. فقد ادرك آلتو منذ البداية انه غريب عن التصاميم الهندسية المتيبّسة في الكثير من العمارة الحديثة. وقال مرة ان "العمارة في ذاتها لا تبرز فعلا ما لم يكن الانسان هو محورها". ولذلك، فانه قلما اعتمد، كسائر معاصريه، على الصلب والجص والاسمنت، بل شيَّد مبانيه من الخشب والاجر والرخام والنحاس والحجر، وكلها

PHOTO KARI HAKLI THE MUSEUM OF FINNISH ARCHITECTURE

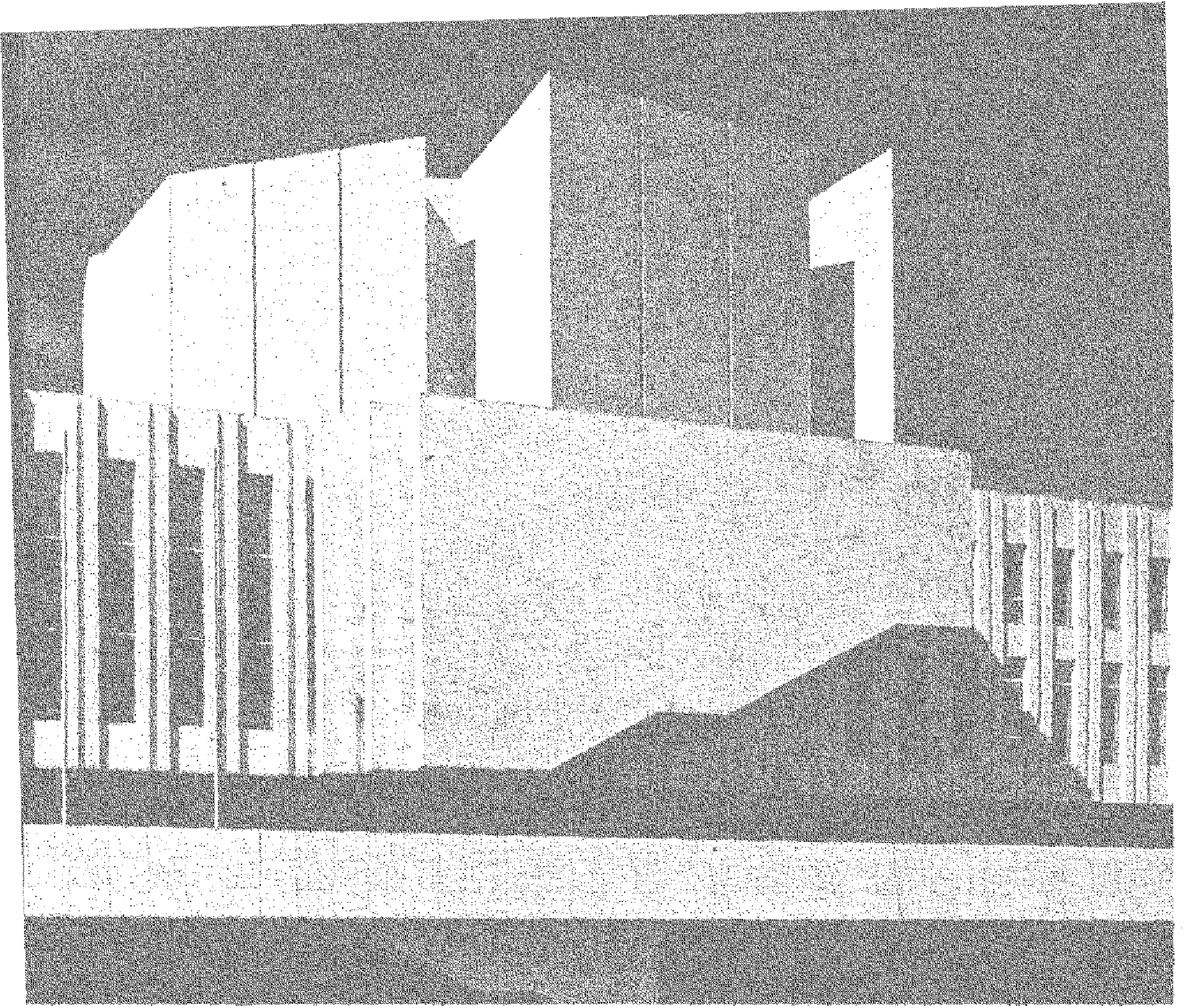
PHOTO: HEIKKI HAVAS THE MUSEUM OF FINNISH ARCHITECTURE



بيت ألتو الصيفي في موراتسالو ،

PHOTO G. WEGLIN THE MUSEUM OF FINNISH ARCHITECTURE

مكتبة فيبوري ،



قاعة فنلنديا من الخارج.

مواد وثيقة العرى بالتجربة الانسانية. وانصب همه على شد الروابط بين الانسان والطبيعة، فآثر الاعتماد على الاشكال الدائرية غير المنتظمة التي تعكس المناظر البيئية المترامية حولها. وقد ارتأى آلتو ان يزود المباني التي يصممها بجدران زجاجية ينبسط من خلالها النظر على مشاهد خضراء لم يتوقعها - حتى من الفناءات الداخلية - كما انه ركز على انارة الاقسام الداخلية بالاضواء الطبيعية الغامرة التي تتدفق عبر الكوى السقفية او تتسلل في رقة خلال الكوى الجانبية البارعة التركيب. ولقد كان الضياء والخضار، بمقدار ما كان القرميد والخشب، ميزات معظم مبانيه، فكان له، خلال حياته المهنية التي امتدت نصف قرن، ان صمم ما يزيد على ۲۰۰ بناء مذهلة الابتكار، تراوح بين المصانع والكنائس، فتركها ارثا قيما وصفته "النيويورك تايمس" لدى وفاة المهندس العبقري، بانه "بعض من أجمل الباحات في القرن العشرين".

ولد هذا المهندس المعماري الشهير سنة ١٨٩٨ من أب يعمل مسّاحا للاراضي وأظهر منذ صغره موهبة في الرسم، وفي ما عدا ذلك كان تلميذا وسطاً ليس بالجيد ولا بالرديء. وبعد ان ترك المدرسة التحق بالمعهد الفني في هلسنكي وتخرّج فيه مهندسا معماريا سنة ١٩٢١.

وكان أول عمل انطلقت به شهرة آلتو وضع تصميم لمصحّ السلّ في بيميو خلال عام ١٩٢٨. وقد اتبع آلتو في هذا العمل الاسلوب الدولي العقلي الخالي من الزخرف والذي يتمشى عليه لوكوربوزييه وكروبيوس وغيرهما، في ما يتلاءم مع موقع المصحّ الوحيد المبني في غابة فنلندية. ومع انه اعتمد على الاسمنت المسلح والجص والصلب والزجاج، الا انه وفق الى اقامة بناء من سبع طبقات بدا كأنه يتعانق مع الطبيعة. لكن آلتو اظهر قدرته المميزة في تصميم الداخل. وقال مرة في هذا الصدد ان مهمة المهندس المعماري هي "حماية الكائن البشري"، ومن هنا كانت الاضاءة الملطّفة غير المباشرة وكانت السقوف الرقيقة الالوان والجدران الكاتمة الصوت. وحتى ان المغسلة التي صممها آلتو كانت هي ايضا كاتمة للصوت بفضل تركيز الحنفية (الصنبور) بطريقة تجعلها تصب في زاوية حادة من الحوض. وقد تناول التصميم كل شيء، بما في ذلك مقابض الابواب التي تتناسب مع الايدي. وهو أبى استعمال انابيب الصلب والكروم الشائعة في ذلك الحين، مفضلا عليها الخشب الرقائقي المحلي وقضبان البتولا المنحنية.

وكانت النتيجة نجاحا باهرا. فقد اصبح لهذا الاثاث المريح والمبتكر شهرة عالمية، واستوحته التصاميم الفنلندية وبلغت بفضله جودتها حدودا اسطورية. وقال ناقد امريكي ببعض الحماسة: "اخلع معطفك وربطة عنقك ثم اجلس على مقعد من تصميم آلتو".

وبعد ذلك ذاعت شهرة آلتو، ولم تلبث ان اتسع نطاقها على المستوى العالمي بعد تشييد المكتبة الوطنية في فيبوري التي كانت احدى ضحايا القصف السوفييتي خلال عام ١٩٤٠. وقد اثار فنّ آلتو فضول طلاب العمارة واهتمامهم، سواء أمن ناحية الاسلوب او من جهة البناء نفسه. فخلافا لمعظم مهندسي العمارة، كان آلتو يضع مسودة تصميمه من دون استعمال ادوات القياس المألوفة لدى المهندسين كالمسطرة الطويلة والمثلث. وقال موضحا ذلك: "انا ارسم بالفطرة ما يكون احيانا اشكالا طفولية، وبهذه الطريقة تتخذ الفكرة الاساسية شكلها النهائي بالتدريج". وقد اهتدى آلتو الى وضع التصميم المدّرج لمكتبة فيبوري بعدما رسم شتّى المسودات الحافلة بمختلف انواع المناظر الجبلية الرائعة مع المنحدرات المغمورة بأشعة الشمس. وكان غرضه من ذلك المحافظة على انسجام البناء، أيا تكن المضاعفات التقنية الواجب حلها.

المشاريع تنقذه ــ وكان آلتو في حال ابتكار دائمة. وكان اصحاب المطاعم يرتاعون منه بسبب دأبه على "تزيين" اغطية الطاولات ولوائح الطعام، أو أي شيء يقع في متناوله،

أتحف مائدتك بأواني نوريتاكه

هذه الأواني الانيقة من الخزف الصيني الاصيل هي الأكثر مبيعا في العالم. وهي تتيح لك مجالا كبيرا للاختيار من مجموعتها الرائعة.



NORITAKE CO., LIMITED

1-1, Noritake-shinmachi, Nishiku, Nagoya451, Japan

للمزيد من المعلومات عن نوريتاكه، يرجى الاتصال بـ :

طهران	محلات مقاص	هاتف	٨٩٦٢٠٨
الكويت:	محلات مقاص	هاتف	٦١٠١٣٢
الكويت:	اشرف وشركاه	هاتف	٤١٢١٨٠
البحرين:	اشرف واخوانه	هاتف	٥٣٤٥٧
البحرين:	متجر المحمود	هاتف	٥٤٧٥٤
ابوظبي:	ستوديو ومحلات اسلام	هاتف	٤٤٦٤٣
ابوظبي:	جنرال انتربرايزس كومباني	هاتف	٤٢٥٤٦
دبي:	اشرف واخوانه	هاتف	٢١٩٧٥
دبي:	شركة المشاريع المتضامنة المحدودة	هاتف	٢٢٢٦٥
الدوحة:	ستوديو ومحلات السلام	هاتف	٢٢٥٤٠

جدة:	عبد الباسط باحسين واولاده	هاتف	٣٤٨٤٤
الرياض:	محلات المطرف للتجارة	هاتف	٢٨٠٤٤
الخبر:	شمس الدين اشرف	هاتف	٤١١٠٤
مسقط:	كيمجي رامداس	هاتف	٧٤٥٦٠١
مسقط:	شاه ناجرداس مكنجي	هاتف	٧٢٢٣٠١
بيروت:	آرسور ماتوسيان	هاتف	٣٤١٨١٥
عمان:	حنا زنانيري واولاده	هاتف	٢٣٢٢٢
طرابلس:	شركة الصحاري للتنمية	هاتف	٣٩٩٥٥
بنغازي:	معرض بلقيس للاواني المنزلية	هاتف	٩٢٢٠٤
صنعاء:	معرض بلقيس للاواني المنزلية	هاتف	٥١٥٨

بالافكار الجديدة التي تتراءى له وهو هناك. وكثيرا ما كان البناؤون ينفد صبرهم بعد طول انتظار فيضطرون الى استدعاء هذا المهندس المعماري الظريف البارع من المطاعم حيث يطيب له الشراب، لاتمام تصاميمه. وغالبا ما كان يستيقظ وسط الليل ويجلس الى طاولة الرسم وهو في ثياب النوم. وقلما كان يقابل الاشخاص البارزين الذين يقصدونه في فنلندا. وعندما طلب منه مرة ان يلقي محاضرة خارج فنلندا، رد قائلا: "كيف استطيع أن اغادر فنلندا في الصيف، وانا مغرم بها". وكان يكره الرد على الهاتف او كتابة الرسائل، وقلما اجرى محادثات صحافية معللا ذلك بأن مبانيه تعبر عن كل شيء يود ان يقوله.

وقد وجد آلتو في عمله اخلص منقذ له في اسوأ ازمة عرفها في حياته، عندما توفيت زوجته اينو، زميلته في فن العمارة، سنة ١٩٤٩، فبلغ به حزنه اعماق اليأس. ولكن سرعان ما تحدّته المشاريع الجديدة فانتشلته من الهاوية. ثم جاء زواجه الثاني بالمهندسة المعمارية الشابة اليسا مايكنيمي التي كانت تعمل في مكتبه، فانتعشت ثقته بمهنته من جديد. ولم تنقض بضع دقائق على زواجهما المدني حتى سارع آلتو الى عمله وبنى بيتا له محاطا بالمياه ومضاء بالكيروسين (الكاز) ليستمتع فيه بطعم الراحة والاستجمام بعيدا عن مكتبه في هلسنكي. ولم يكن هذا المنزل بيتا عاديا على الاطلاق، لكونه هو نفسه المهندس وصاحب الدار معا، فقد جعل من جدرانه فسيفساء مرصوفة بشتى انواع القرميد والآجر الخزفي.

ووضع آلتو تصميما لمركز مدني رائع على مقربة من خلوته في قرية سايناتسالو الصغيرة وسط فنلندا. واعتمد في بنائه على القرميد والنحاس والخشب. ويبدو البناء من الخارج كأنه خليط عشوائي من الاشكال الهندسية غير المنتظمة. لكن عدم الانتظام والتناسق هنا كان امرا مقصودا. فقد اقيمت اقسام المركز حول فناء مرتفع تفصل بينها ثغرات تتيح التمتع بالمناظر الطبيعية الممتدة عبر الغابات والبحيرات. واذا ما طاف المرء في هذا المبنى تبدّت له الاشياء كأنها في تغيُّر مستمر كلما انتقل فيه من مكان الى آخر. وقد جاء رصف القرميد والخشب على نحو يجعل من البناء مقطوعة شعرية منظومة حول اطار الغابة ترصّعها الحدائق الغنّاء الداخلية. وعندما اذن اصحاب الرأي في سايناتسالو بوضع مصابيح كهربائية تضاء بغاز النيون امام المركز الذي اقامه آلتو، سارع هذا الى التجذيف بزورقه عبر البحيرة وراح يرجم المصابيح بالحجار حتى حطمها كلها.

وقلّما كان آلتو يظهر في المناسبات العامة، لكنه اذا ما حضرها كان أنيق الملبس، متحفظ الرأي، حاد اللسان. الا انه كان في الوقت نفسه يطفح وداً وحرارة كثيرا ما اذهلا اصدقاءه، وقد علق احدهم على ذلك بقوله: "ان آلتو يحملك دائما على الشعور بأنك اقدر مما انت واغنى".

لقد كان آلتو متجردا فعندما

شاء يوناس كوكونن، المؤلف الموسيقي الفنلندي المعروف، ان يضع آلتو تصميما لمنزل له، قصد مترددا صديقه القديم لعلمه بانه يفضل المباني العامة وقال له: "هل يستطيع الرجل العظيم ان يستغني عن أحد معاونيه؟" فأجابه آلتو ساخطا: "هذه ليست مهمة يتولاها معاون. اي طريق تسلك للدوران حول البيانو؟" ومن ثم صمم آلتو البيت الذي بدا كأنه يدور حول البيانو، وزوّده بكل ما تستلزمه حاجات كوكونن الايحائية من هدوء وسكينة وسماء وقمم أشجار. وسأله كوكونن: "ما هي كلفة اتعابك؟" فأجاب آلتو: "ثلاث فاصلات موسيقية". وردّاً للمعروف وضع كوكونن لحنا موسيقيا للفيولنسيل واهداه الى المهندس المسن. ويستعيد كوكونن هذه الذكرى ويقول: "كيف استطيع ان اتصور آلتو قد فارق الحياة؟ فهو يحيا ليس فيّ وفي موسيقاي فحسب بل في كل انحاء فنلندا".

ولقد شغل آلتو مركزا قوميا يتمتع به عادة كبار الكتاب والقادة السياسيون والملوك، واطلق عليه ابناء قومه المخلصون لقب "المعلم"، وكانت الطائرات تنتظره في أرض المطار، اذا هو تأخر عن الموعد المضروب، كما كانت سيارات نقل السياح تقف امام منزله في هلسنكي بينما يتعالى صوت الدليل في اعتزاز: "هنا يعمل الفار آلتو".

اما في ما يختص به شخصيا، فلقد كان آلتو ذلك الخيميائي الذي يحاول "ادخال بصيص من النور في نفس البشرية التاعسة". وكان آلتو يجد في ذاته ما يلزم من الهمة والقوة لمواصلة اعماله الابداعية من أجل بلده، ولم تكن من اقلّها تلك القاعة الفنلندية الرائعة التي قيل عنها انها "واحد من أجمل الاعمال التي جاءت بها هندسة العمارة الحديثة في العالم".

وقال مرة الرسام الفنان خوان غريس: "اعطني غصنا لاستقر عليه فأغرّد كالعصفور". ولعله كان يتحدث بلسان آلتو اذ ان فنلندا كانت هي الغصن وأعمال آلتو كانت هي التغريد.

■ موريس شادبولت



ملكية خاصة

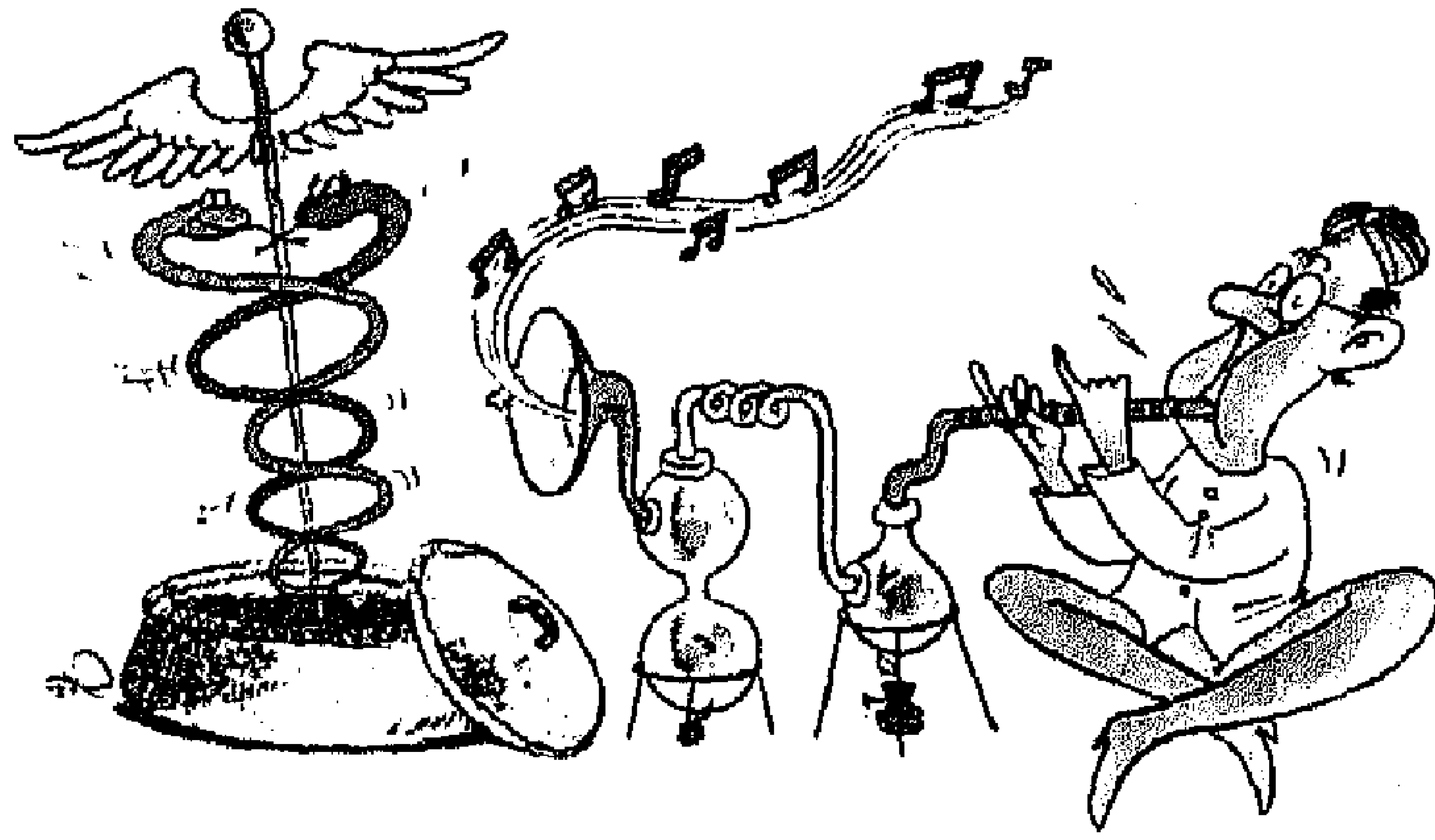
يجب ان تكون للفستان الجميل مزايا بوابة حديقة: حماية الملكية من دون حجب مجال الرؤية.

اناتول فرانس

ذوق حسن

ردت الكاتبة الفرنسية الكبيرة كوليت على الرأي القائل بأن رجال اليوم اقل ذوقا مما كانوا عليه، بالآتي: "انكم تغالون. فامس شاهدت احد سكان بنايتنا يسند زوجته بذراعه بينما كانت تحمل سطل النفايات لرميه".

م.ر



اصداء من عالم الطب

الموسيقي اطول عمراً

اكدت دراسة شبه طبية الظنون التي خامرت عشاق الموسيقى طويلا ان قادة الفرق الموسيقية يتمتعون بأعمار اطول من المعدل. فالعبقري ارتورو توسكانيني، على سبيل المثال، ظل محافظاً على حيوتيه حتى بلغ التسعين. وبقي ليبولد ستوكوفسكي يقود فرقته عندما بلغ الخامسة والتسعين.

وقد اختار هاوي السيمفونيات، الدكتور دونالد اطلس من لاجولا في كاليفورنيا، عينة عشوائية تحتوي على اسماء ٣٥ قائد فرقة موسيقية متوفين وبعد التدقيق وجد ان متوسط اعمارهم بلغ ٧٣،٤٣ سنة، وهو ما يزيد قرابة خمسة اعوام على متوسط عمر الرجل الامريكي.

لماذا؟ يناقش الدكتور اطلس في المجلة المختصة "منبر الطب" نظريتين: الاولى ان قادة الفرق يتمتعون باحساس غير عادي باشباع الذات، وينتعشون بتقدير المستمعين لهم، كما انهم ذوو نشاط وذكاء فائقين. وكانت الابحاث الطبية السابقة قد اقرت باهمية هذه العوامل النفسية ـ الطبية في اطالة العمر. اما النظرية الثانية فتقول ان قادة الفرق يكثرون من تحريك اذرعهم في اثناء التمارين والحفلات مما ينشط القلب والجهاز الدموي.

أ.ب.

الغذاء والطاقة

في الولايات المتحدة ١١٠ ملايين شخص بالغ يعانون السمنة. ويتجاوز مجموع ما يكتنزون من وزن زائد مليار كيلوغرام. ويقول عالمان من جامعة الينوي (في اوربانا) ان هؤلاء لو اتبعوا نظاماً غذائياً للوصول الى متوسط الوزن الطبيعي فانهم سيوفرون على البلاد في السنة الاولى ستة الاف مليار سعرة حرارية (اي ما يعادل ١٢ مليار قطعة همبرغر او ٤٥ مليار كأس من المارتيني او ٢١ مليار قطعة من الحلوى. واذا واظب هؤلاء على نظامهم الغذائي فستوفر البلاد ثلاثة الاف مليار سعرة حرارية كل سنة.

ولو ترجمنا هذه المليارات من السعرات الحرارية الى وحدات من الوقود المستخرج من الارض (مستندين الى كمية الطاقة اللازمة لانتاج سعرة حرارية من المواد الغذائية، فان تقليل كمية الغذاء على هذا النحو في السنة الاولى يعني توفير ٩،٤ مليارات ليتر من البنزين (الغازولين) ونحو ٢٨٤٠ مليون ليتر كل سنة لاحقة.

ج.ب.

مجتمع الحشرات

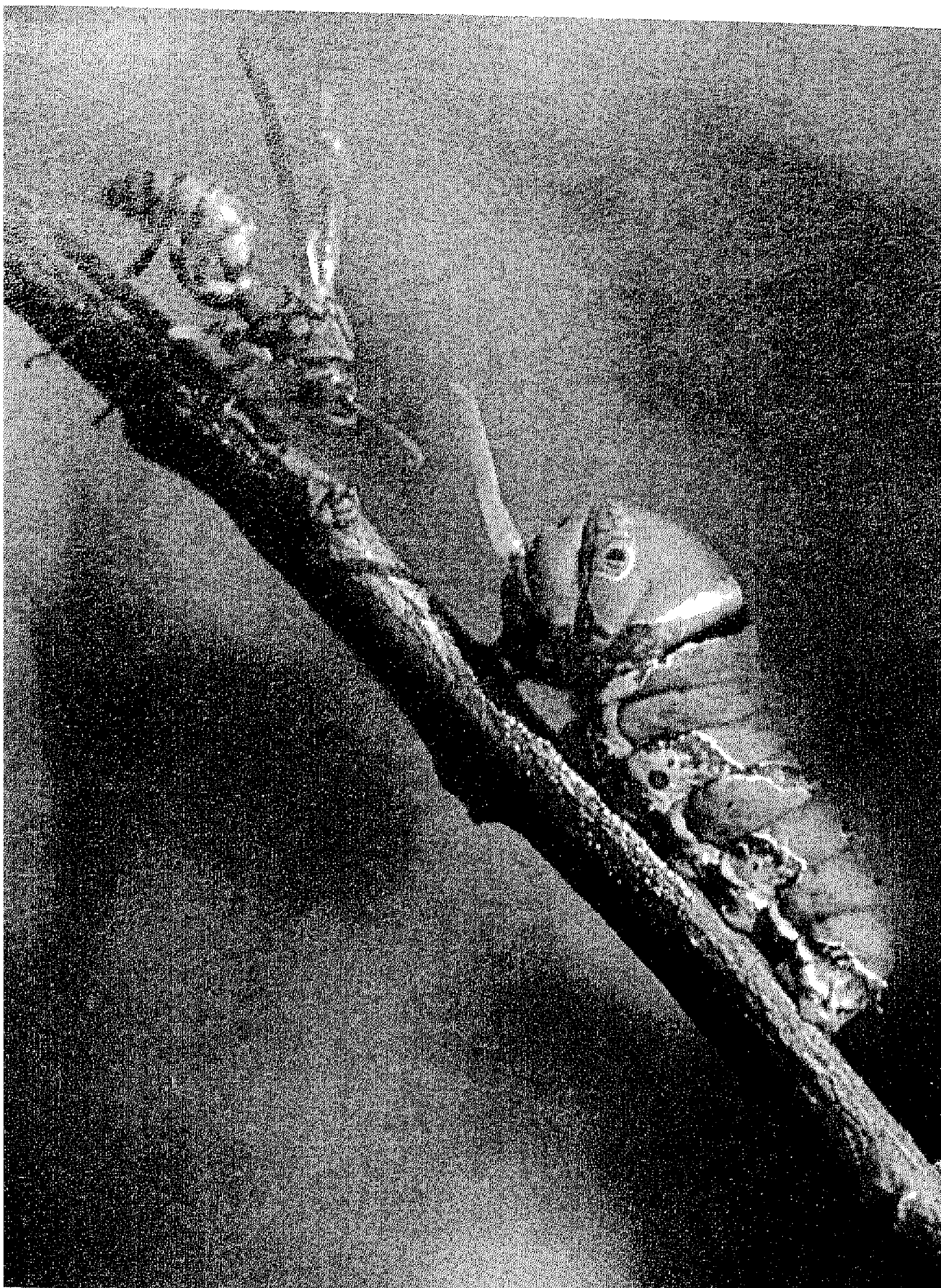
اختصاصي في علم الحشرات من تايوان يكشف بعدسة كاميرته دنيا قلّما رآها الناس

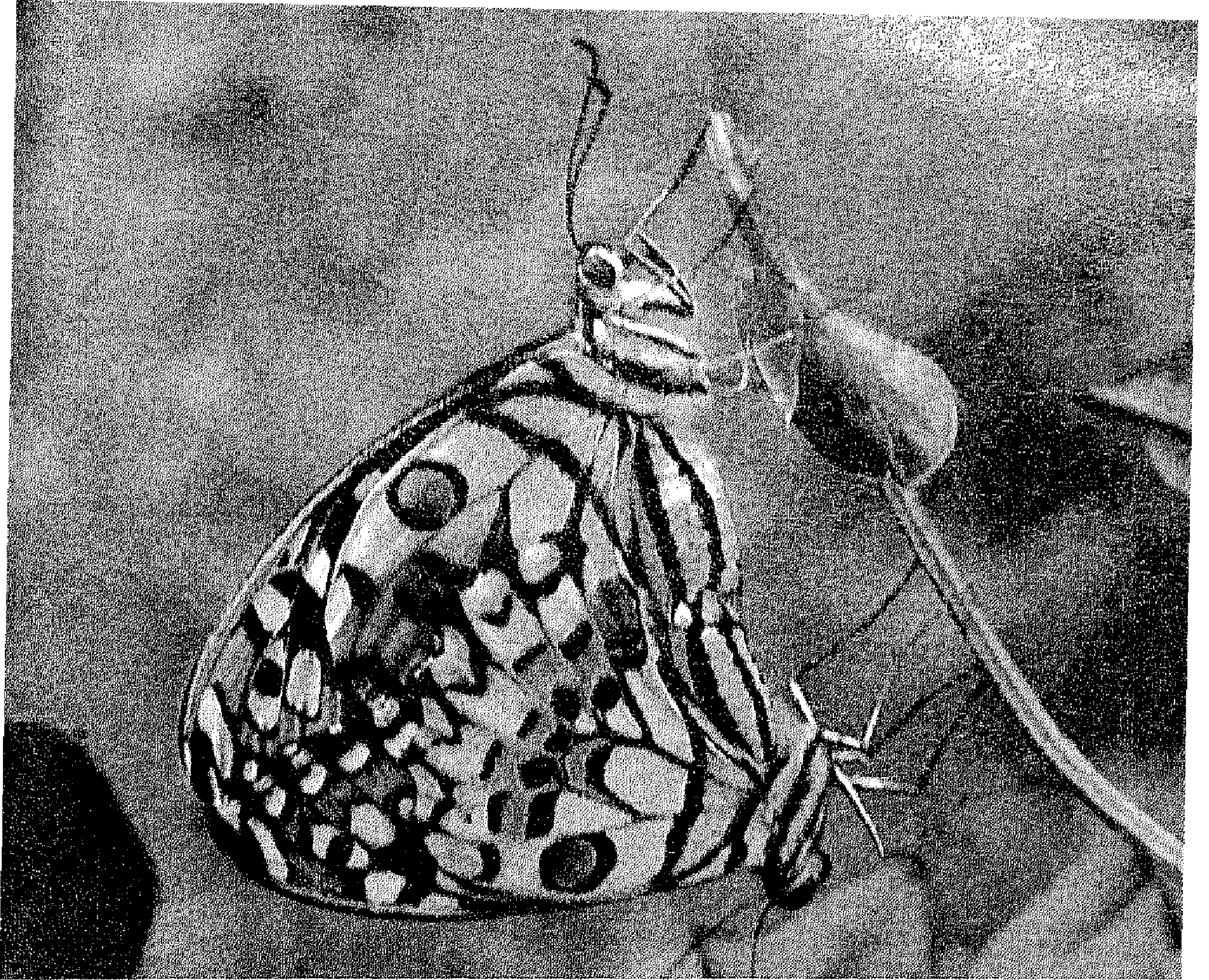
اذا حدث لك مرة أخرى ان مررت بحشرة ولامستها قدمك او داستها باخمصها، فتوقف قليلا وفكر، فلعلك تكون سحقت مهندسا بارعا او ابا مخلصا او استاذا في فن التمويه او عاشقا من اعظم العشاق في العالم.

فالدكتور لي سونغ يانغ، الاختصاصي في علم الحشرات في تايوان والذي يبلغ السادسة والخمسين من العمر، يذهب بنا في رحلة مذهلة عبر ذلك العالم الدقيق الاوصاف الذي تعيش فيه مجتمعات الحشرات. وقد انتج عن هذا العالم شريطا تثقيفيا بعنوان "الاحداث الخفية" نال عام ١٩٧٧ ثناء جمعية التصوير الفوتوغرافي في مهرجان



لي سونغ يانغ وزوجته مانلي.





فراشتان من نوع "بابليو نيد" في وضع مشكالي تختلط فيه الالوان ما ان تتغير اوضاعهما، وهما تتزاوجان على غصن صغير. ويكمن سر الحصول على مثل هذه الصور في طول الاناة الذي يقاس بالسنوات اكثر مما بالدقائق.

الافلام الدولي في امريكا. فقد تمكن الدكتور لي، في مدى عشر سنين من تجميع ما اصبح الان "فيلما ملحميا".

نشأ الدكتور لي في مزرعة ابيه في تايوان، ودرس امراض النباتات في اليابان قبل ان يعمل في معهد البحوث الزراعية في تايوان حيث وجد نفسه، على غير انتظار، في ادارة علم الحيوان الاقتصادي. وهو يقول في ذلك: "كان المكان مليئا بمخلوقات ضئيلة قبيحة: من حشرات اليسروع القارضة والمكسوة بالشعر الى الديدان البغيضة التي تثير الاشمئزاز، فالى مختلف انواع البق الكريهة. غير اني تمكنت بمرور الوقت من تحمل محنة معايشتها، بل واكتشفت ان الرائحة الكريهة المنبعثة من البق الاخضر قد تصبح بعد تخفيفها، باضافة الماء اليها، شبيهة برائحة العطر الفرنسي".

وكانت حماسة لي الحديثة العهد للحشرات تقترن باهتمام طويل الامد بالتصوير الفوتوغرافي. وكان البحث الذي يقوم به في المعهد يتناول تأثير المبيدات على بعض الحشرات، فأخذ يصور ذلك بعدسات الالتقاط الساكن والمتحرك، فأثار الامر اهتماما كبيرا من جانب شركات انتاج الكيميائيات.

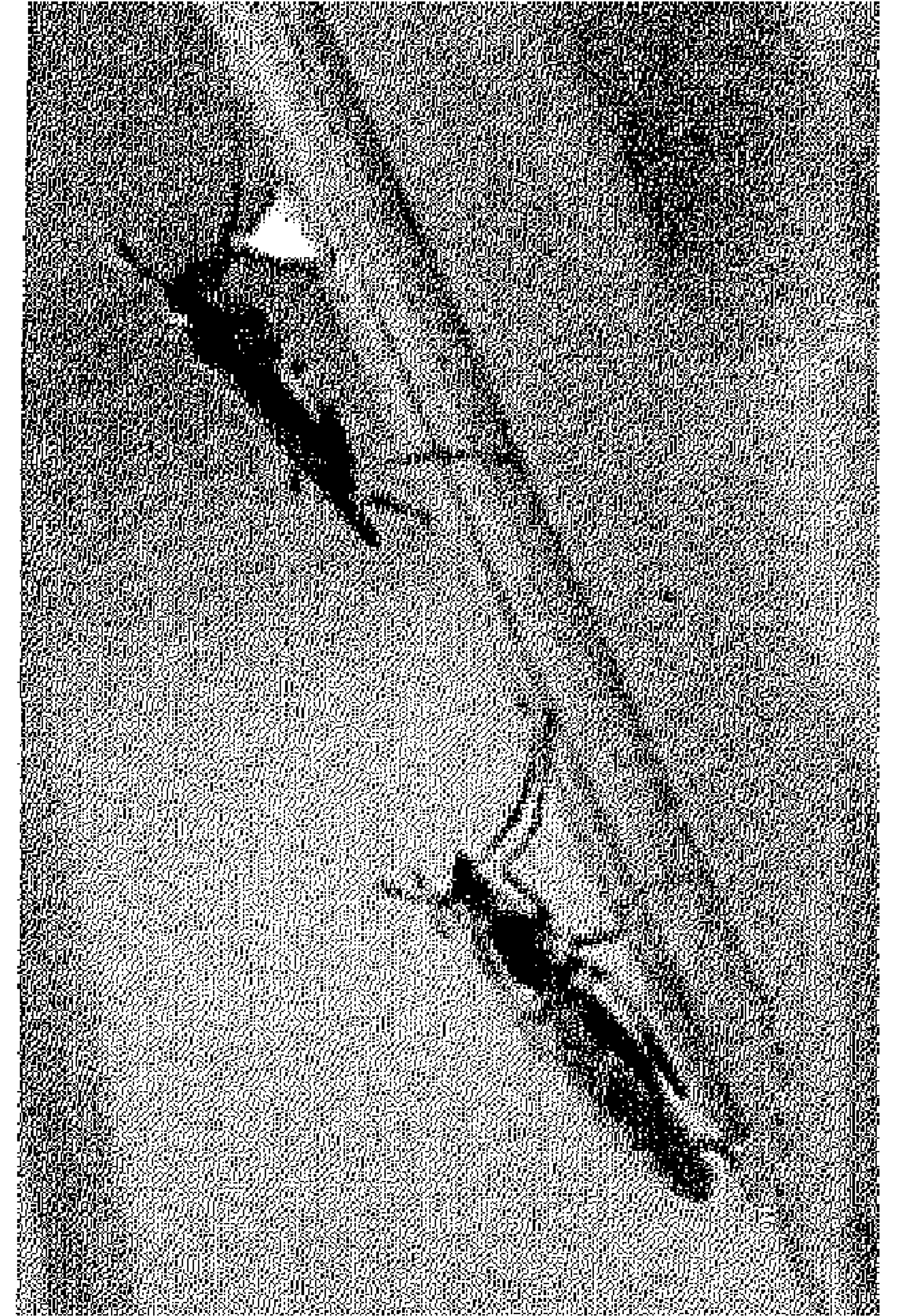
وعام ١٩٦٧، دفعت له احدى تلك الشركات مبلغا من المال في مقابل تصوير شريط تثقيفي قصير عن حشرات الارز. وعلق هو على ذلك على سبيل الدعابة: "ولماذا لا اصنع فيلما عن الطبيعة شبيها بفيلم والت ديزني الشهير "الصحراء الحية؟"

حياة الحشرات — ولم تلبث هذه الفكرة ان ملكت عليه حواسه. وكان مفهومه لها منذ البداية ان يصوّر مراحل حياة الحشرات بكاملها، فبدأ بتصوير مختلف الطرق التي تتبعها في الحصول على غذائها وتناوله، ثم انتقل الى التركيز على اساليبها في الدفاع عن النفس والتزاوج ورعاية الصغار. فبعض الزنابير، مثلا، تهتم برعاية صغارها باساليب مفصلة ومعقدة. ويشير لي الى ذلك بقوله: "انها تذهب الى حد تكييف هواء العش عن طريق الترويح باجنحتها عندما يكون الجو حارا، ولا يقف عنفها عند حد لطرد الدخيل الذي يجرؤ على الاقتراب منها".

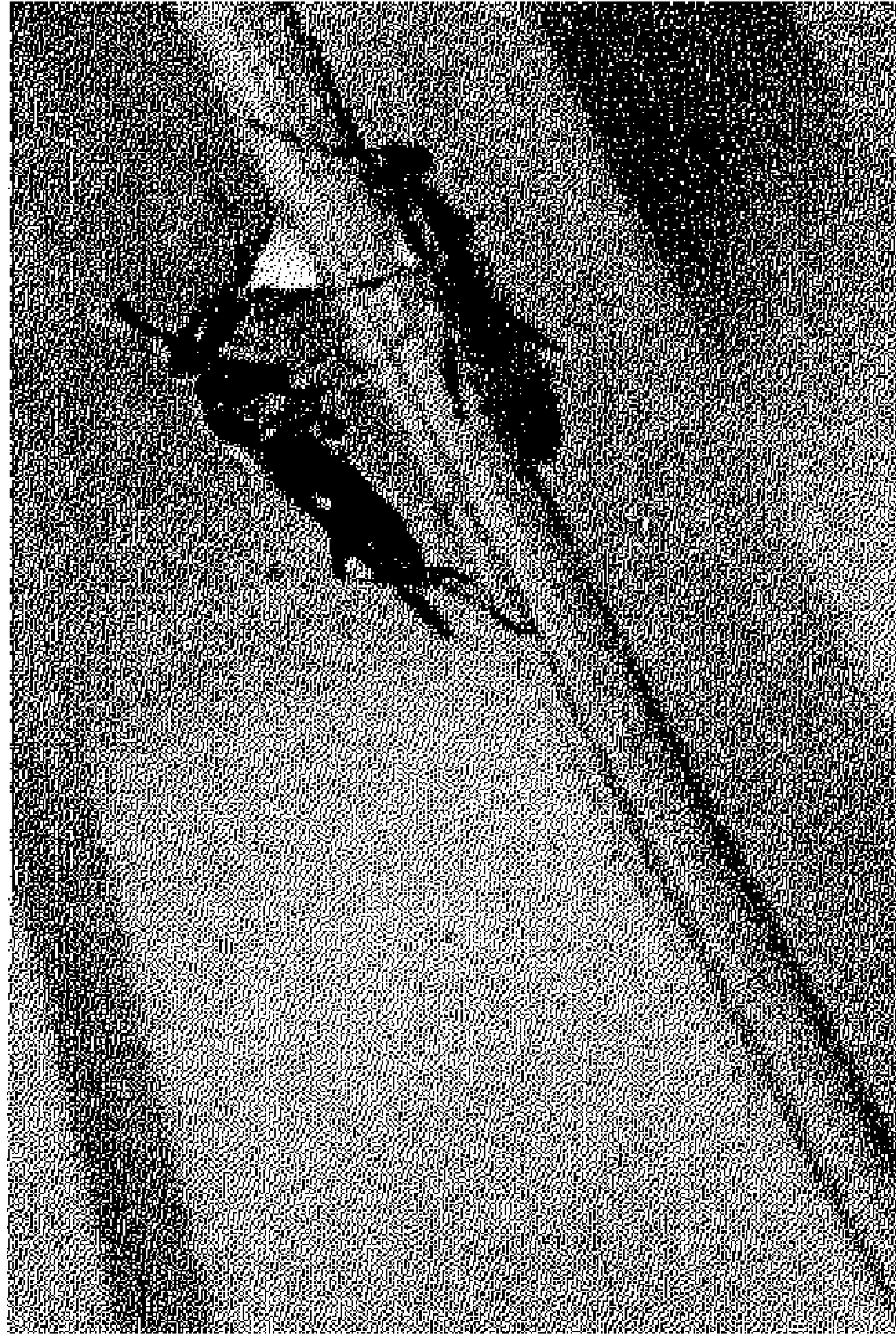
وهو وقف ذات مرة مأخوذا يراقب زنبورا وهو يقتل احدى الحشرات اليسروعية ويمضغها حتى يهرمها ويقدمها وجبة طعام لصغاره.

وكان لي يقيم في ضواحي العاصمة تايبيه عندما انتج شريطه. اما الان فهو يعيش في ووفينغ في مقاطعة تايتشونغ، ولم تكن لديه سيارة ينتقل بها الى الريف لجمع الحشرات او تصويرها، فكان يضطر الى خوض غمار الازدحام في الحافلات ووسائل

استعدادا للتزاوج، يقوم ذكر ذبابة "سيومايزيد" باعداد "كعكة الزواج": كرة بيضاء من الزبد المستمد من افرازات جسده، وذلك بعد ان يكون الزوجان قد عبرا عن رغبة الجماع عن طريق الاشارات المتبادلة بساقيهما الاماميتين.



الذكر يجهز "كعكة الزواج".

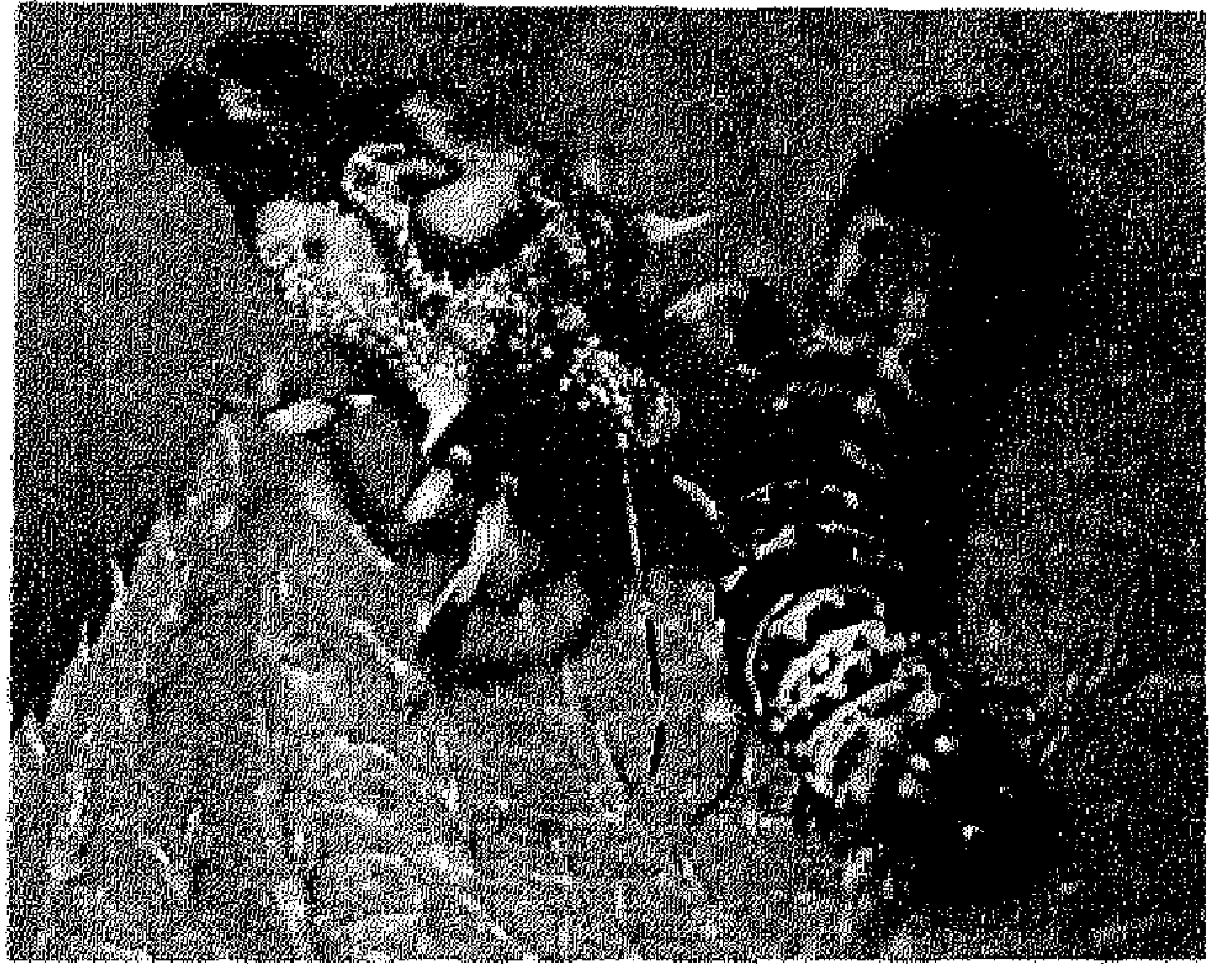


عندما تبلغ الكعكة حجما مناسبا، يتحرك الذكر الى الجانب الاسفل من ورقة الشجرة ليفسح مكانا للانثى.



وبينما تقوم الانثى بالتهام الكعكة، يتحرك الذكر الى وضع الجماع.

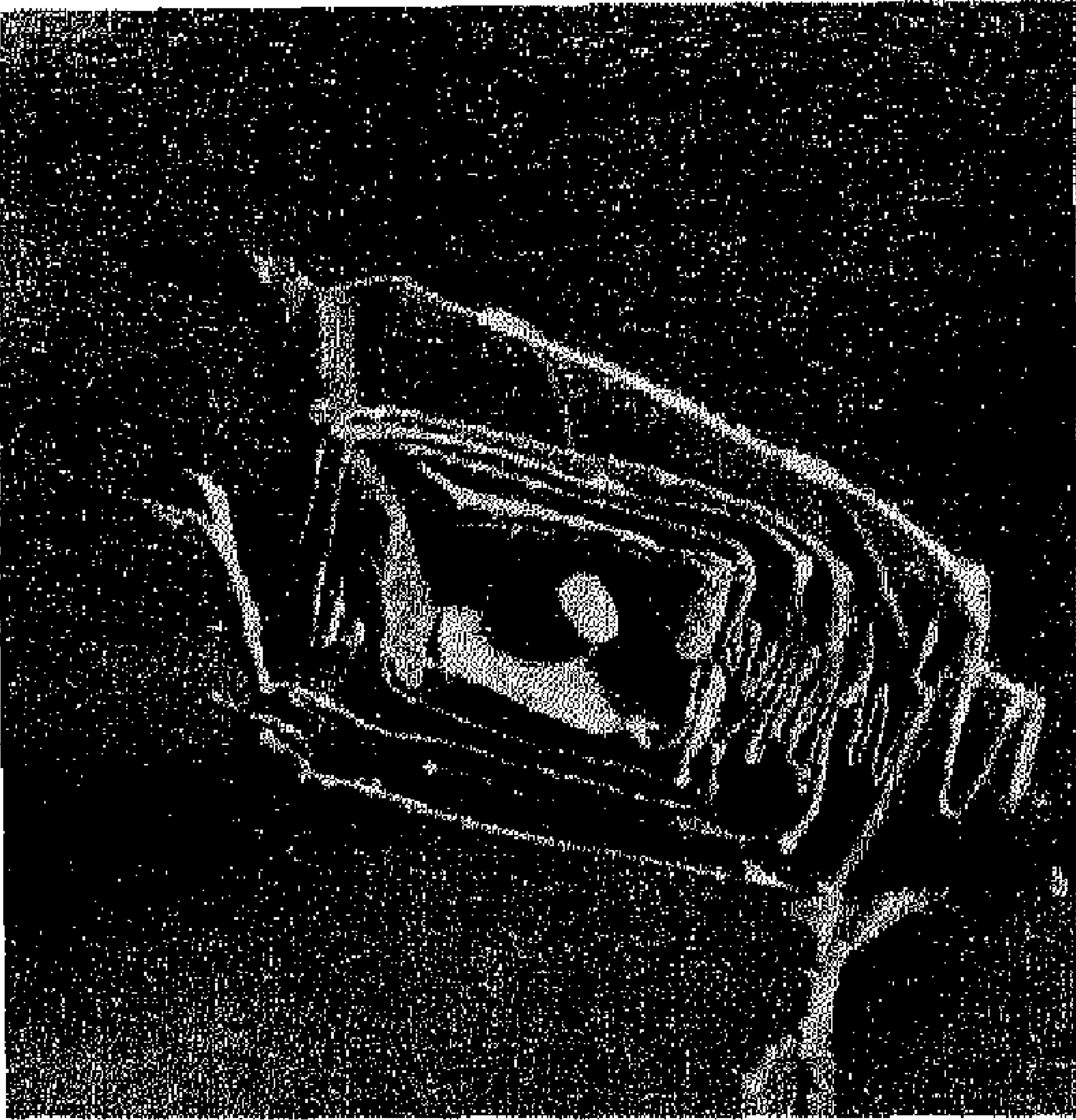
استخدم خمسون "فلاش" في جهاز تصوير في فترة محدودة لابراز هذه اليراقة وهي تبحث عن زوج في الليل.



ان الكثير من انواع البق الكريه الرائحة يتغذى بالنباتات، ولكن هذا النوع (الى اليسار) ليس منها: فهو يقتل حشرة اليسروع بامتصاص عصارتها الحيوية باجزاء فمه الحادة.

انثى احد انواع البق (الى اليسار) وهي تضع شلالات متساقطة من البيض الذهبي البراق على نصل من ورقة النبات.





انثى حشرة "الاتلابيد"، او حفار المهد (الى اعلى)، وقد انفقت ساعتين كاملتين في قطع هذه الورقة وثنيها ولفها. وفي منتصف عملها، توقفت واحدثت ثقبا وضعت فيه بيضتها ثم واصلت لف الورقة وبرمها لتجعل منها حزمة اكثر احكاما، فتصبح بذلك شرنقة مثالية واقية من جميع المؤثرات الجوية.

عندما تقطع الورقة، تكشف كبسولتها عن البيضة الوحيدة الموجودة في وسطها.

المواصلات العامة وسط الحشود المتصارعة التي تريد الخروج من المدينة في عطلة نهاية الاسبوع.

ولكي تتيسر له اللقطات التفصيلية، لجأ الى فن" في اقصى حديقة بيته فحوله الى ستوديو ارتجالي للتصوير، وراح يعمل فيه تساعده زوجته مانلي، لفترات تمتد" احيانا ٥٠ ساعة متواصلة في الفترة الواحدة، وهما يحاولان اغراء الحشرات وحثها على القيام بادوارها.

وقد ساعده في مهمته ايضا ان بعض الحشرات تتميز بتوقيت بيولوجي بالغ الدقة يتيح التنبؤ بمواعيد وقوع الاحداث الحاسمة في حياتها. فقد لاحظ مثلا ان ثمة انواعا من فراش اليسروع تبدأ في الخروج من شرانقها قرب منتصف الليل، في حين ان الحشرات الشبكية الجناح تضع بيضها بانتظام عند غروب الشمس. وكان لي انفق كل مدخراته على مشروعه، فضلا عن ارتفاع اسعار الافلام، فاضطر الى ضغط اوقات التصوير بحيث حدد بالثواني الوقت الذي يجب ان يستغرقه التقاط الصور.

وكلما تقدم لي في عمله تزايد تقديره لعالم الحشرات وقد انتهى به الامر الى القول: "لقد اصبحت الان امتنع عن قتل اي شيء على الاطلاق، وان وجدت النملة تعبث في السكر الذي اضعه في قهوتي فانني ساتركها وشأنها".

ولكن، اليس هناك تناقض بين هذا القول ومهمته في مجال مبيدات الحشرات؟ يقول لي في ذلك: "ان هدفي الاساسي هو معاونة الناس في الحصول على غذاء افضل والتمتع بصحة أسلم، ولا بد من التضحية ببعض الحشرات لتحقيق هذا الهدف، وانما لا يجوز ابادتها".

يتحدث لي عن فيلمه التثقيفي المفعم بالحيوية، فيقول: "نحن الصينيين نلاحظ ان النمور، عندما تموت، تترك وراءها جلودها. وانا اعتبر ان هذا الفيلم هو بمثابة جلدي الذي يتيح لي ان اترك لهذا العالم شيئا نافعا عندما افارقه".

■ تيموتي غرين

نوستا العزيزة

يروي روي اندريس دو غروت حادثا حصل معه حين دخل مطعما في مدينة البندقية مع كلبته نوستا. فقد اختار طاولة على شرفة مسقوفة تطل على قناة. وجاء النادل يسجل طلباته، ثم قال: "وكلبتك يا سيدي، ماذا تحب ان تأكل؟"

حاول دي غروت ان يتملص منه ولكن بلا جدوى. اذ لم تمض بضع دقائق حتى عاد النادل بمنديل بسطه على الارض امام الكلبة، وبدأت الاطباق تتوالى:

طاس فضي فيه مرق لحم يفتح شهية نوستا، تلاه طبق فضي مليء بالمعجنات، واخيرا قطع مقلية من شرائح اللحم تغطيها طبقة زبدة سائلة. وبالطبع، اقبلت نوستا على ذلك كله بنهم. وحين انتهت من وجبتها جاء النادل يمسح فمها بالمنديل.

ويختتم دو غروت روايته بالآتي: "شربت قهوتي وطلبت قائمة الحساب، فاذا بكلفة غدائي تعادل ألف لير ايطالي وغداء نوستا ما يقارب الالفي لير.

(صحيفة "اسكواير")

كتاب الشهر

الممرّ السرّي الى بكين



ملخّص من كتاب

"سنواتي في البيت الابيض...

بقلم هنري كيسنجر

١٢٥

الممرّ السرّي الى بكين

بعد فترة وجيزة من انتخاب ريتشارد نيكسون رئيسا للولايات المتحدة الامريكية عام ١٩٦٨، عين هنري كيسينجر مستشارا للرئيس لشؤون الامن القومي، كان كيسينجر نفسه اكثر الناس دهشة وهو يقول معلقا على ذلك: "لقد قضيت عشر سنين مدرسا في جامعة هارفرد حيث الاستهانة بريتشارد نيكسون هي القاعدة المشتركة بين اعضاء هيئة التدريس، وكان ابعد الناس اثرا في حياتي رجل هزمه نيكسون مرتين في السباق على الترشيح للرئاسة هو نلسون روكفلر". وفضلا عن ذلك، فان خبرة كيسينجر في العمل الحكومي لم تتجاوز مهمتين استشاريتين قصيرتي الامد اسندتا اليه في اثناء رئاسة دوايت ايزنهاور ورئاسة جون كينيدي، وعلى رغم ذلك قدر لآرائه ان تكون خلال سنوات قليلة عاملا حاسما في صياغة سياسة خارجية امريكية جديدة، لم يثق نيكسون بوكالة المخابرات المركزية (السي - آي - اي) ولا بوزارة الخارجية، فعمل على ان يصبح البيت الابيض (مقر الرئاسة) تدريجا مصدر القرارات في مجال السياسة الخارجية، ومن ثم صارت المسؤولية المطلقة عن هذه القرارات تقع على عاتق الرئيس وعاتق هنري كيسينجر، انتهز كيسينجر هذه الفرصة الفريدة ليوجه الاحداث في العالم، وبرزت ذروة جهوده في الخطوات السرية الدقيقة التي فتحت الطريق امام سياسة الانفتاح على الصين الشعبية، وفي ما يأتي مقتطفات من مذكراته التي طال انتظارها: "سنواتي في البيت الابيض"، تحكي قصة ذلك الانجاز الضخم ويرويها الرجل الذي تولى تخطيطه وتنفيذه.

عندما انتهينا من صياغة البيان حول زيارتي السرية للصين في يوليو (تموز) (١٩٧١)، علق رئيس الوزراء الصيني شو ان لاي، على ذلك بقوله ان الاعلان عن الزيارة سيهز العالم. وهو كان على حق. فلم يعتبر البيان حدثا مثيرا لاجهزة الاعلام فحسب، بل هو غيَّر بنية السياسة العالمية. فبعد عشرين عاما من العزلة خطا مبعوث امريكي على أرض الصين الغامضة ممهدا الطريق لزيارة رئيسه.

كان الامر مفاجئا ومثيرا للدهشة، لكنه جاء ذروة جهد ٣٠ شهرا من الاعداد الصبور المتأني.

لم يسبق لنا أن تصورنا الوفاق ممكنا، بل كنا مقتنعين بأن الصينيين أهل تعصب وعداء. الا اننا على رغم عدم استطاعتنا في البداية رؤية وسيلة للتفاهم مع الصينيين فان الايمان بأهمية الانفتاح على الصين الشعبية كان رسخ في نفس الرئيس نيكسون وفي نفسي انا كذلك.

وقد ساعدتنا الاحداث، لكني أشك في امكان تحقيق تقارب الى هذا الحد مع الصين في ظل أي رئيس آخر. لقد تميز نيكسون بغريزة فريدة تدفعه الى تحديد ما هو جوهري وحيوي والى التمسك به. لم تهمه الوسائل أو دقائق الامور بل كان النقاش حول تفاصيل التنفيذ يزعجه بالفعل. واذا اتخذ قرارا سياسيا فغالبا ما كان يترك لي أمر تنفيذ الاستراتيجية. بيد ان تصميمي كثيرا من الخطوات التي اتخذت، لم يمنحني القوة السياسية الكافية كي أتابع بمفردي هذا التغيير الجذري في سياسة البلاد.

تفهم نيكسون بعمق جوهر تلك الفرصة المتاحة وبذل جهده بصبر ومثابرة من أجل تحقيقها. ونظرا الى استناد قاعدته السياسية الى اليمين، فقد حماه ذلك من تهمة "التساهل مع الشيوعية". وكان أسلوبه في الادارة والحكم ملائما للتكتيكات السرية التي استوجبتها تلك السياسة.

والحق ان جميع الافكار حول التقارب بيننا وبين الصين - أيا تكن مبرراتها - لم تتعد، عندما تسلمت الحكومة الجديدة الحكم، كونها نظريات غامضة. لقد انقضى عشرون عاما كاملا من العزلة الفعلية والحرب العقائدية بين البلدين، شهدت عليها حرب كوريا المريرة حيث استعر القتال العنيف بين الامريكيين والصينيين. وجرت بين البلدين محادثات ثنائية بدأت في جنيف عام ١٩٥٤ بين موظفين قنصليين من الولايات المتحدة ومن جمهورية الصين الشعبية، ثم رفعت الى مستوى السفراء عام ١٩٥٥ ونقل مقرها الى فرصوفيا (وارسو) عاصمة بولونيا. وفي ١٠ سبتمبر (أيلول) ١٩٥٥، تم التوصل الى اتفاق لتبادل الاسرى كان الانجاز الوحيد في ١٣٤ اجتماعا عقدت بين عام ١٩٥٤ وعام ١٩٦٨. كان اتفاق اعادة المواطنين الى بلادهم هو الانجاز الملموس الوحيد الذي تحقق.

ظهرت أول بارقة أمل في أعقاب أحداث ٢١ أغسطس (آب) ١٩٦٨، وأعني بها الغزو السوفييتي لتشيكوسلوفاكيا. فخلال الاحداث العنيفة التي جرت عام ١٩٥٦ في بولونيا والمجر، حاول الصينيون

الالتزام بدور الوسيط، لكن موقفهم هذه المرة كان ادانة صريحة قاسية الالفاظ للاتحاد السوفييتي. وفي ٢٦ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٨، بعد ثلاثة اشهر من الغزو السوفييتي لتشيكوسلوفاكيا، وبعد الانتخابات الامريكية مباشرة، اقترحت بكين عقد اجتماع آخر في فرصوفيا في ٢٠ فبراير (شباط) ١٩٦٩.

لم يكن هناك مجال للشك في أن الاتحاد السوفييتي بدأ يشكل المصدر الرئيسي للقلق من وجهة نظر السياسة الخارجية الصينية. فقد ساد مناطق الحدود الصينية - السوفييتية نوع من التوازن العسكري ظل قائما حتى اوائل ١٩٦٦ عندما بدأ السوفييت ينقلون الى هذه المناطق وحدات ميدانية على مستوى عال من التدريب والمعدات، سحبوها من أوروبا الشرقية. وظهرت بين الاسلحة السوفييتية صواريخ أرض - أرض ذات رؤوس نووية، وتزايد عدد الفرق السوفييتية على طول الحدود الصينية من نحو ١٢ فرقة غير متكاملة عام ١٩٦٤ الى ما يزيد على ٤٠ فرقة حديثة التجهيز عام ١٩٧٠.

تبدو جميع السياسات الناجحة بعد تنفيذها كأنها كانت أمرا مقدرا. ويحلو للقادة والزعماء أن يدّعوا استباق الاحداث وسلامة تقديرهم للاعمال الناجحة، وأن يسندوا الى التخطيط كل الفضل في أمور تبدأ مرتجلة. لم يختلف الامر في السياسة الجديدة مع الصين، فقد كانت لدى الحكومة الامريكية الجديدة نية لفتح صفحة جديدة، لكنها لم تملك اي فكرة محددة عن طريقة التوصل الى ذلك. وكان عليها أن تضع في حسابها حقائق الاوضاع الداخلية في البلاد، ومن أهمها نشاط تلك الجماعة من مؤيدي نيكسون التي تنتمي الى "اللوبي الصيني" المحافظ الذي لم يغفر أبدا للرئيس ترومان ولوزير الخارجية دين أتشيسون ما سماه خيانتهما لتشانغ كاي - تشيك.

وربما واجهت الزعماء الصينيين في بكين مشكلة مماثلة، اذ كان ماو تسي - تونغ يحكم بلدا لم يكد يخرج من خضم الثورة الثقافية، وقد سعى من خلال هذه الاضطرابات العنيفة (الثورة الثقافية) الى القضاء في المهد على ما يبدو اتجاها حتميا في الدول الشيوعية نحو الوقوع في فخ البيروقراطية والركود، وكان اسلوبه في ذلك فرض فوران ثوري دائم. ولا شك في أن ذلك أحد الامثال النادرة في التاريخ حيث يعمد رئيس دولة الى هدم المؤسسات والنظم التي أقامها هو.

حفلت الاشهر الاولى من رئاسة نيكسون بالاتجاهات المتناقضة. فقد وردت في خطابه الاول بعد توليه الرئاسة اشارة مبطنة الى استعداد الحكومة الجديدة للتباحث مع الصين، لكنه لم يلبث بعد خمسة أيام أن أرسل الي والى وزير الخارجية وليم روجرز رسالة يشكو فيها من أن سفيرنا في احدى الدول الاوروبية فشل في منع تلك الدولة من اعلان اعترافها بحكومة بكين. وقال نيكسون في رسالته ان ذلك السفير "كارثة" يجب التخلص منه فورا.

في أواخر يناير (كانون الثاني) طلب القائم بالاعمال الصيني في

هولندا اللجوء السياسي الى الولايات المتحدة، ولم يلبث الصينيون ان الغوا في ١٨ فبراير (شباط) اجتماع فرصوفيا الذي كان مقررا عقده في العشرين من ذلك الشهر متذرعين في ذلك بأن الولايات المتحدة "حرّضت" القائم بالاعمال على "خيانة وطنه". ولم يشأ نيكسون أن يهزمه الصينيون في هذا المضمار، فما كان منه في مؤتمره الصحافي في ٤ مارس (اذار) الا أن سكب ماء باردا على احتمالات التقارب بين الصين وأمريكا.

بدت العلاقات الصينية - الامريكية في مارس (اذار) ١٩٦٩ وقد تجمدت عند الموقف نفسه الذي ظلت تتميز به طوال عشرين عاما، وهو موقف العداء الناجم عن فقدان التفاهم والثقة بين الطرفين. كانت لدى الحكومة الامريكية الجديدة نية في التقارب مع الصين، لكنها لم تضع بعد استراتيجية لتحقيق ذلك.

ومعلوم ان السياسة تبرز الى الوجود عندما تلتقي الفكرة بالفرصة، وقد سنحت هذه الفرصة عندما اشتبك الجنود السوفييت والجنود الصينيون في سهوب سيبيريا المتجمدة على امتداد نهر لم يسبق لاحدنا ان سمع به. منذ تلك اللحظة تلاشى الغموض والتأرجح، ومضينا من دون تردد نحو احداث تغيير حاسم في السياسة العالمية.

المؤشرات الاولى

في الاصقاع النائية شمال شرق آسيا قطعة من الحدود السوفييتية - الصينية التي تمتد مسافة ٧٠٠٠ كيلومتر تقريبا هي نهر اوسوري. وفي نقطة منعزلة من مجرى النهر تبعد نحو ٤٠٠ كيلومتر عن مدينة فلاديفوستوك جزيرة صغيرة يسميها السوفييت دامانسكي ويسميها الصينيون تشينباو.

صباح ٢ مارس (اذار) ١٩٦٩، استنادا الى رواية المصادر الصحافية السوفييتية، اقدم ٣٠٠ جندي صيني على اعداد مكمن لدورية سوفييتية من حرس الحدود، فقتلوا ٢٣ من افرادها وجرحوا ١٤ في معركة استمرت ٢٠ دقيقة.

كنا في واشنطن منشغلين بمشكلة فيتنام الى درجة عاقتنا عن الاستجابة لاحداث تكاد لا نفهم لها أصلا، ولم يتضح مغزاها الا بعد اسابيع. وكان رأي نيكسون ورأيي انا ان الصين هي التي بدأت القتال على الارجح. ولكن حجة الصينيين بأن تصرفهم كان ردة فعل لسلسلة من الاعتداءات السوفييتية بدت جديرة بالتصديق، ذلك أن الضعيف لا يجازف عادة بالتعرض للهزيمة عن طريق تنفيذ هجمات لا يبررها أي استفزاز.

وشهد ١٥ مارس (اذار) اصطداما حدوديا آخر في جزيرة دامانسكي (تشينباو). وكان كلا الطرفين مستعدا هذه المرة، فارتفعت ارقام الضحايا. وفي ١٦ ابريل (نيسان) و١٧ منه وقع مزيد من القتال في نقطة أخرى تبعد ٤٠٠٠ كيلومتر الى الغرب على الحدود بين مقاطعة سينكيانغ الصينية وجمهورية كازاخستان السوفييتية. ثم حدث اصطدام آخر في المنطقة نفسها في ٢٥ ابريل (نيسان) أعقبته اشتباكات في مايو (ايار).

وعندما نظرت الى خريطة

تفصيلية، ادركت ان حوادث سينكيانغ وقعت على بعد كيلومترات قليلة من نهاية خط حديد سوفييتي في حين يبدأ اقرب خط حديد صيني على بعد مئات الكيلومترات. عندها بدا لي أن القادة العسكريين الصينيين لا يمكن أن يختاروا مثل هذا الموقع غير الملائم للهجوم. واذا كان الاتحاد السوفييتي هو المعتدي، فان امامنا مشكلة كما أن أمامنا فرصة. المشكلة هي أن غزوا سوفييتيا فعليا وشاملا للصين لا بد من أن يحدث خللا خطيرا في التوازن العالمي، لا على الصعيد الجغرافي - السياسي فحسب، بل على الصعيد النفسي ايضا، ثم أن هذا الغزو سيخلق قوة خطيرة لا تمكن مقاومتها. غير انه لم يكن من السهل مقاومة مثل هذا العدوان نيابة عن بلد ليس لنا معه اي علاقات ديبلوماسية ولا بيننا وبينه اي وسيلة اتصال فعالة على أي مستوى.

ضاعفنا جهودنا كي نقيم اتصالا مع بكين. وفي ٢٦ يونيو (حزيران) جاءتني من الرئيس نيكسون رسالة تقول بوجوب تشجيع السناتور مايك مانسفيلد على تنفيذ رغبته القديمة في زيارة الصين. ولكن الضرورة تطلبت عملا اكثر صراحة. كان الموعد قد حان لتعديل الحظر التجاري الذي فرضناه ضد الصين، وهذا التعديل ضئيل الاهمية في ذاته لكنه يحمل مغزى ضخما. ولعل المشاورات المرهقة الحافلة بالقلق التي استوجبها اتخاذ هذه الخطوة الصغيرة خير مقياس للتقدم الذي طرأ منذ ذلك الحين.

وبينما نحن نستعد لاصدار البيان الموعود وقع حادث من تلك الحوادث التافهة التي يمكنها تدمير أدق الخطط واكثرها حرصا، ففي ١٦ يوليو (تموز) غرق يخت على متنه امريكيان قرب ساحل هونغ كونغ. وحمل التيار قارب النجاة الذي ركباه الى داخل المياه الاقليمية الصينية حيث قبض عليهما. وقررنا، وكيل وزارة الخارجية اليوت رينتشاردسون وأنا، تأجيل اصدار البيان بضعة أيام حتى نرى ما اذا كان الصينيون سيتخذون من حادث اليخت ذريعة لشن حملة دعائية مضادة لامريكا. لكن الايام مرت وبكين صامتة.

وفي ٢١ يوليو (تموز) ١٩٦٩، قبيل سفر الرئيس في جولة حول العالم، اصدرت وزارة الخارجية بيانا موضوعيا هادئا يعلن تخفيف القيود المفروضة على التجارة مع جمهورية الصين الشعبية وعلى السفر اليها. ولم يشترط البيان أي اجراء مماثل من جانب الصين. وفي ٢٤ يوليو (تموز) أفرج الصينيون عن الامريكيين اللذين كانا في اليخت. لقد فهمت بكين قصدنا.

رقصة التقارب المعقدة

اعتزم نيكسون في رحلته حول العالم أن يترك بطاقات زيارة للصينيين في كل موضع يتوقف فيه. فتحدث بصراحة مع الرئيس الباكستاني يحيى خان ومع الرئيس الروماني نيقولاي تشاوشيسكو لادراكه صداقتهما للصينيين. وفي أغسطس (آب) قال نيكسون للرئيس يحيى خان في لاهور (باكستان) ان وجهة نظره الشخصية التي يشاطره

فيها سائر أعضاء حكومته وكثير من الامريكيين هي أن آسيا لا تستطيع أن "تتحرك قدماً" اذا ظلت أمة ضخمة فيها مثل الصين منفردة ومعزولة، وطلب اليه نقل مشاعره هذه الى الصينيين على أعلى المستويات. وفي واشنطن دعوت بدوري السفير الباكستاني آغا هلالي الى مقابلتي كي اضمن استمرار الباكستانيين معنا في اللعبة وأقيم خط اتصال متينا.

وفي ٨ أغسطس (آب) أنهى الاتحاد السوفييتي وجمهورية الصين الشعبية محادثاتهما التي بدأت في يونيو (حزيران) ووقعا اتفاقا في شأن تحسين الملاحة في الانهار الواقعة على الحدود. وبدلا من أن يسفر هذا الاتفاق عن تخفيض التوتر زاده حدة، فبعد ايام قليلة اندلع القتال الدامي من جديد على طول الحدود بين سينكيانغ وكازاخستان.

تكاثرت دلائل التوتر. وفي ١٨ أغسطس (آب) كان وليم ستيرمان، احد اختصاصيي الشؤون السوفييتية في وزارة الخارجية، يتناول طعام الغداء مع أحد موظفي السفارة السوفييتية، واذا بالروسي يسأله فجأة وبلا مقدمات عما يمكن أن تكون ردة فعل الولايات المتحدة الامريكية ازاء هجوم سوفييتي على المرافق النووية الصينية. بدا الامر لي على درجة كبيرة من الخطورة دفعتني الى عقد اجتماع في ٢٥ أغسطس (آب) لفريق واشنطن للعمليات الخاصة، في سان كليمنتي (منتجع الرئيس نيكسون في كاليفورنيا) حيث طلبت من الاعضاء اعداد خطط طوارئ لسياسة الولايات المتحدة في حال نشوب حرب صينية - سوفييتية. واذا وقعت هذه الكارثة، فسوف نضطر - نيكسون وأنا - الى مجابهتها من دون مساندة تذكر من سائر أعضاء الحكومة، ولا حتى من الدوائر الاخرى في البلاد، لما نراه من ضرورة استراتيجية تحتم علينا معاونة الصين.

تبين لنا في أواخر أغسطس (آب) ان السلاح الجوي السوفييتي قد وضع في حال الاستعداد التام الذي يقضي بابقاء الطائرات جميعها في اعلى درجات التأهب، وهو غالبا دليل على احتمال شن هجوم في أي وقت، ويمثل، في ادنى درجات خطورته انذارا عنيفا بحرب اعصاب قاسية. وقررنا، بناء على هذه المعلومات، أن نرفع صوتنا قليلا كي نوضح بجلاء أننا لا نقف موقف اللامبالي ازاء هذا التهديد السوفييتي للصين. وفي ٥ سبتمبر (أيلول) أدلى اليوت ريتشاردسون بالتصريح الآتي في مؤتمر عقدته الرابطة الامريكية للعلوم السياسية في نيويورك:

"في ما يتعلق بالصين الشيوعية، فان تحسن العلاقات بيننا وبينها أمر يخدم مصالحنا الوطنية. نحن لا نسعى الى استغلال اي تنافر بين الاتحاد السوفييتي وجمهورية الصين الشعبية، والخلافات الايديولوجية بين العملاقين الشيوعيين أمر لا يعنينا. غير أننا لا نملك الا أن نشعر بالقلق العميق ازاء أي تصعيد لهذا الخلاف يبلغ به مستوى الخرق الجسيم للسلام العالمي".

هكذا بدأت بيننا وبين الصينيين رقصة تقارب معقدة جرى تخطيطها بدقة بالغة تتيح لكل من الطرفين أن

يؤكد عدم وجود اتصالات مع الطرف الآخر. ورسمت خطواتها في حدود صارمة تعفي كلا من الجانبين من تحمّل عبء المبادرة، واتخذت لها مسارات غير مباشرة تكفل تجنب أي خطر يمكن أن يصيب العلاقات بين أي من الجانبين وأي طرف ثالث. وبين شهري نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٩ ويونيو (حزيران) ١٩٧٠، حصلت عشر حالات على الاقل من تبادل الحديث بين موظفين امريكيين في الخارج وزملاء لهم صينيين في مناسبات ديبلوماسية، وكان ذلك أمرا يتناقض تناقضا حادا مع السوابق المألوفة، حيث كان الصينيون يقطعون الاتصال على الفور بمجرد ادراكهم أن الذين امامهم امريكيون. بل ن هذه المناسبات العشر كانت بينها أربع مناسبات جاءت فيها المبادرة من الموظفين الصينيين ثم بدأت الاتصالات تتجاوز حدود تبادل المجاملات الاجتماعية.

وفي ٩ سبتمبر (أيلول)، عندما كان الهلع من نشوب الحرب بلغ قمته، توجه سفيرنا في بولونيا والتر ستويسل لمقابلة الرئيس. وبينما كنا ننتظر سويا مقابلة نيكسون، حثثت ستويسل على أن يتوجه الى سفير جمهورية الصين الشعبية في اول مناسبة اجتماعية يحضرانها وينبئه بأننا على استعداد لاجراء محادثات جدية مع بلاده.

وانقضت بعد ذلك ثلاثة أشهر لم يحدث فيها شيء. وفي ٣ ديسمبر (كانون الاول) كان ستويسل حاضرا عرض أزياء يوغوسلافية أقيم في قصر الثقافة في العاصمة البولونية فرصوفيا، فوقعت عيناه على لي - يانغ القائم بالاعمال الصيني. وعندما اقترب منه ستويسل تراجع القائم بالاعمال الصيني هابطا درجا صادفه، فلاحقه ستويسل وأبلغه الرسالة. وقال لي شو إن - لاي بعد ذلك بسنوات أننا كدنا بتلك المبادرة ان نتسبب للقائم بالاعمال المسكين في نوبة قلبية من هول المفاجأة، وأن لي - يانغ، الذي لم تكن لديه اي تعليمات لمواجهة مثل هذا الطارىء انطلق هاربا من ستويسل لانه لم يعرف كيف يتصرف.

لكن الرسالة بلغت شو إن - لاي على أي حال. وفي ٦ ديسمبر (كانون الاول) أفرجت جمهورية الصين الشعبية عن أمريكيين آخرين كانا محتجزين منذ ١٦ فبراير (شباط) عندما ضلا الطريق بيختهما ودخلا به المياه الاقليمية الصينية.

نسمة هواء منعش

في يوم ١١ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٦٩، فوجئنا بأن السفير ستويسل تلقى دعوة من السفارة الصينية، كانت الاولى من هذا النوع تحصل في أي اتصال صيني - أمريكي منذ استيلاء الشيوعيين على الحكم في بكين. ورد ستويسل بأنه لا يمانع في الذهاب الى السفارة سرا من الباب الخلفي، ولكنه أبلغ ان هذا الحرص أمر لا داعي اليه (ولعل الهدف من ذلك كان تفادي أي احتمال لان يفوت الامر على المخابرات السوفييتية). وقد ذهب ستويسل فعلا الى السفارة ودخل من بابها الامامي، والتقى زميله الصيني في جو "ودّي". واقترح ستويسل استئناف محادثات

فرصوفيا من دون أن يتعدى ذلك الى مناقشة أي موضوع آخر. وتم الاتفاق على عقد اجتماع آخر في سلسلة المحادثات خلال الشهر نفسه.

وأدت محادثات فرصوفيا الى اطلاق جميع ردود فعل اساطين وزارة الخارجية. وكان أول فريق ارتفع صوته هو الفريق المتخصص في العلاقات الامريكية - السوفييتية. فقد كان أعضاء هذا الفريق مقتنعين بأن القوتين النوويتين العظميين هما اللتان تمتلكان مفاتيح الحرب والسلام، ومن ثم ارادوا التقليل الى أدنى حد من الاخطار التي يمكن أن تتعرض لها العلاقات بين هاتين القوتين. وكان رأيهم، بناء على ذلك، أن التقارب مع الصين لا يحمل سوى تعويض ضئيل لما يترتب عليه من خطر يهدد هذه العلاقات.

وكان الموجه الفكري لهذه الجماعة سفير الولايات المتحدة السابق في الاتحاد السوفييتي ليولين طومسون. ومنذ شهر يونيو (حزيران)، كان هو وزميله السفير السابق تشارلز بولن قد قاما بزيارة نيكسون عندما علما اننا نعتزم تخفيف القيود على التجارة مع الصين، وأقدما بشجاعة على تحذير الرئيس من اي محاولة "لاستخدام" الصين ضد الاتحاد السوفييتي، قائلين ان هذا من شأنه توليد نتائج بالغة الضرر على العلاقات الامريكية - السوفييتية. ولم يكن يطوف في ذهننا في طبيعة الحال - اي افكار في فجاجة "استخدام" جمهورية الصين الشعبية ضد الاتحاد السوفييتي، وانما كنا نسعى الى ايجاد حافز يدفع كلا الطرفين الى تحسين علاقاتهما بناء. وكان سلوك نيكسون في استقباله السفيرين السابقين كلاسيكيا، اذ هو عبَّر في حضورهما عن تعاطفه معهما، ثم أعرب بعد انصرافهما مباشرة عن سخريته مما يعتبره ضعفا عقليا لا أمل في اصلاحه لدى موظفي وزارة الخارجية.

وكان هناك في الوقت نفسه جزء آخر من الجهاز البيروقراطي ينهك نفسه في العمل. فوزارة الخارجية الامريكية تؤدي مهمتها عن طريق شبكة شديدة العجب من "الاعتمادات" والموافقات التي تكفل ابلاغ الحوادث المهمة لمختلف اقسام الوزارة وللحكومات الاجنبية على نحو آلي تقريبا. وخلال ايام قليلة، اتضح ان وزارة الخارجية قد أرسلت تقارير عن اجتماع فرصوفيا الى سفاراتنا في طوكيو، وتايبيه (عاصمة تايوان) وموسكو، والى قنصليتنا العامة في هونغ كونغ. اما حكومات بريطانيا واوستراليا وكندا وفرنسا وايطاليا ونيوزيلندا فقد تلقت بلاغات مختصرة عن الموضوع اما قبل مقابلة ستويسل أو بعدها. ومع أن جميع هذه الاطراف تلقت تحذيرات لتجنب أي تعليق علني على الموضوع، الا أن نشر مثل هذا النبأ "الشهي" على مثل هذا النطاق الواسع كانت له بالضرورة أصداء بعيدة في الدوائر الدبلوماسية في العالم. وعندما أنبأت الرئيس بما حدث، تنهد وقال: "اننا سنقتل هذا الطفل قبل أن يولد". وكانت صعوبة السيطرة على جهاز الاتصالات الضخم المعقد في وزارة الخارجية سببا رئيسيا من الاسباب التي أدت الى

نقل السيطرة على معاملاتنا الديبلوماسية مع الصين بالتدريج الى البيت الابيض.

وقد سار اجتماع فرصوفيا الذي عقد يوم ٨ يناير (كانون الثاني) على خير ما يرام، اذ وصل القائم بالاعمال الصيني الى السفارة الامريكية على نحو ملفت في سيارة كبيرة يخفق عليها العلم الصيني، وتمت تسوية الامور الاجرائية في جو ودي، كما تم الاتفاق على استئناف اجتماعات فرصوفيا الرسمية المنتظمة بين السفراء. وهكذا، بعد عام كامل من تولي الرئيس نيكسون مهمات منصبه اتفقت جمهورية الصين الشعبية والولايات المتحدة الامريكية على استئناف المحادثات الموضوعية للمرة الاولى منذ اكثر من عامين، ولكن على نحو يختلف عن أي اجتماع آخر من الـ١٣٤ اجتماعا السابقة، لان الاعداد لها قد جرى بمنتهى الدقة والعناية على مدى أشهر طويلة عن طريق الرسائل – التي كانت غير مباشرة في البداية ثم أصبحت بالتدريج صريحة على نحو متزايد – تعبيرا عن الاستعداد والرغبة في احداث تغير جوهري في علاقاتنا. لكن الطريق امامنا كان مع ذلك طويلا، وان كنا بلغنا في النهاية مشارف العقبات الكبرى التي استغرق منا تخطيها بعد ذلك ١٨ شهرا أخرى.

كانت تلك لحظة من لحظات الامل الكبير النادرة. فالدراما التي يمثلها انهاء التباعد القائم بيننا وبين الشعب الصيني، من الناحية الانسانية وما يعنيه ذلك لمستقبل السلام، كانت نسمة من الهواء المنعش وتذكيرا بما تستطيع الولايات المتحدة انجازه من خلال زعامتها العالمية. وكان التوصل الى تحقيق ذلك وسط حرب اسفرت عن انقسام في الامة (حرب فيتنام) آمرا يثبت لنا وللآخرين اننا لا نزال نمثل عاملا رئيسيا من عوامل التأثير في الشؤون العالمية، ولدينا القدرة على العمل بجرأة ومهارة من أجل تحقيق غاياتنا ورفاهية كل من يعتمدون علينا.

صراع البيروقراطية

لم يكن على السطح شيء ملفت في أول اجتماع يعقد في عهد حكومة نيكسون بين الولايات المتحدة الامريكية وجمهورية الصين الشعبية. وقد عقد الاجتماع في السفارة الصينية في فرصوفيا يوم ٢٠ يناير (كانون الثاني) بين والتر ستويسل، على أحد جانبي طاولة المحادثات، ولي – يانغ على جانبها الآخر. وكانت النقطة الرئيسية التي دارت حولها الـ١٣٤ اجتماعا السابقة هي موضوع علاقتنا بتايوان الذي كان يمثل متاهة كلاسيكية: فلم يكن مستطاعا التوصل الى أي حل فيه ما دامت العلاقات العدائية مستمرة بين أمريكا والصين، كما أن هذا العداء لا يمكن أن ينتهي ما دام موضوع تايوان من دون تسوية. أما القضايا الاخرى التي تثار في الاجتماعات من وقت الى آخر فلم تكن أكثر من بنود احتياطية عتيقة، منها: الطلبات الامريكية لتعويض الممتلكات المؤممة والديون التي لم تسدد، والجهود الصينية لاسترداد أموال الصين التي جمّدتها الولايات المتحدة في عام ١٩٤٩ بمقتضى قانون التجارة مع

الاعداء، وجهود الولايات المتحدة من اجل الافراج عن السجناء الامريكيين في الصين، ومحاولات الحصول على تصريح للصحافيين الامريكيين بدخول الصين، او استطلاع امكانات التبادل التجاري بين البلدين.

وكان المنتظر ان يعود النقاش الممل حول هذه الموضوعات المألوفة في الاجتماع الـ١٣٥. لكن نيكسون كان يتفق معي في أنه على رغم أهمية هذه الموضوعات العتيقة، الا ان اجتماع فرصوفيا يتيح فرصة طيبة لنقل رسالة جديدة الى الصين تحمل مغزى أعمق وأكثر أهمية. فلم يكن مستطاعا تحديد - بل حل - أي موضوع في جدول الاعمال هذا ما دامت بكين تعتبر الولايات المتحدة عدوها الخارجي الرئيسي وما دامت واشنطن ترى في الصين منبعا لكل أشكال العدوان والنشاط الثوري في آسيا، بما في ذلك فيتنام.

وكنت أرى ان من الضروري نقل الحوار الى مستوى يتيح للمفاوضين ممارسة مقدار من الاخذ والرد وان يكون هؤلاء مطلعين على افكار زعمائهم مما ييسر لهم تفهم الاستراتيجية الكامنة وراء الموضوع بأكمله. وعلى ذلك فقد أردت أن أستخدم اجتماع ٢٠ يناير (كانون الثاني) كي أوضح استعدادنا لايفاد رسول الى بكين، واقترحت على الرئيس ألا نولي أهمية كبيرة لاي شيء يقال في الاجتماع ما دام ذلك يتضمن افكارنا الاساسية، وهي: أننا نريد ان نبدأ بداية جديدة وأننا لن نسير على هدى الايديولوجية، وانما على أساس تقدير المصالح المتبادلة.

وقد تعرض كل من هذين الموضوعين لمقاومة عنيفة عندما بلغنا مرحلة صياغة الكلمة التي سيلقيها السفير ستويسل في اجتماع ٢٠ يناير (كانون الثاني)، ذلك أن خبراء الشؤون الآسيوية في وزارة الخارجية لم يشاطرونا آمالنا في بداية جديدة (وهو أمر يعود جزئيا الى جهلهم ما كان يجري عن طريق الاتصالات السرية)، كما أن خبراء الشؤون السوفييتية كانوا قلقين خشية أن يؤدي مجرد عقد المحادثات الى اثارة عداء الاتحاد السوفييتي. ورأى البعض ان أي تقدم في هذه المحادثات لا بد من أن يعني بالضرورة النص على التخلي عن استخدام القوة في مضيق تايوان والاشتراك في مفاوضات الرقابة على التسلح او تقديم ضمانات باتباع الاساليب السلمية في آسيا، مع ان هذه كلها أمور لا يمكن أن تفكر الصين في مجرد النظر فيها الا في سياق أكثر شمولا. أما موضوع ايفاد مبعوث الى بكين، فان مجرد ذكره قد أصاب موظفي وزارة الخارجية بقشعريرة شديدة، لان مثل هذه المحادثات ستجري على الارجح في اشراف البيت الابيض، بعيدا عن دهاليز وزارة الخارجية.

وقد تمت تسوية النزاع البيروقراطي بحل وسط، بالطريقة البيروقراطية التقليدية: فقد سلمت بجميع النقاط التي تمسكت بها وزارة الخارجية، من حيث الاشارة الى تايوان والرقابة على التسلح والمطالبات المالية والسجناء وما الى ذلك، في مقابل التسليم من جانب

الوزارة بالموضوعات التي كنت أعتبرها جوهرية. وفي اجتماع ٢٠ يناير (كانون الثاني) تلا ستويسل بيانا يقرر أن الولايات المتحدة لا تسعى "الى الانضمام الى أي اتفاق ثنائي مع الاتحاد السوفييتي يكون موجها ضد الصين، ثم أضاف جملة غطت صيغتها الواقعية على كل الدماء البيروقراطية التي سفكت، اذ قال ان الولايات المتحدة "ستكون على استعداد للنظر في ايفاد ممثل لها الى بكين لاجراء محادثات مباشرة مع المسؤولين في حكومتكم، أو استقبال ممثل من طرف حكومتكم في واشنطن لاجراء بحث أكثر دقة وتعمقا لاي من الموضوعات التي ذكرتها في ملاحظاتي اليوم أو اي أمور أخرى قد نتفق عليها". ولم يستجب القائم بالاعمال الصيني لي - يانغ لهذه المبادرة المفاجئة، ولكنه تلا بيانا تضمن عبارتين مثيرتين للاهتمام بما تحملانه من مغزى، على رغم ورودهما مختفيتين وسط بقية العبارات المألوفة. وكان نص هاتين العبارتين كما يأتي:

"اننا على استعداد لان نبحث وننظر في اي افكار واقتراحات قد تتقدم بها حكومة الولايات المتحدة (...) ومن الممكن لهذه المحادثات ان تستمر على مستوى السفراء، أو ان تجرى على مستوى أعلى، أو عن طريق اي قنوات أخرى يقبلها الطرفان".

ان الذي حدث اذاً هو أن بيانين تمت صياغتهما في عاصمتين يفصل بينهما ١٩،٠٠٠ كيلومتر تقريبا قد عرضا في الحقيقة اقتراحين متشابهين. لكن طبيعة اجتماعات فرصوفيا كانت تفرض علينا ان ننتظر شهرا كاملا حتى نتبين ما اذا كان يمكن الفكرة ان تتحرك قدما.

وكان اجتماع فرصوفيا الرقم ١٣٦، الذي حدد لانعقاده يوم ٢٠ فبراير (شباط)، مصدرا لخلاف آخر بين البيت الابيض ووزارة الخارجية. فقد واجهتنا طريقة التصرف في حال حصول ما يبدو محتملا من قبول الصينيين لاقتراحنا ايفاد مبعوث الى بكين أو استقبال مبعوث صيني في واشنطن. وكنت أريد من ستويسل، عندما يحدث ذلك، ان يبدي موافقته من حيث المبدأ ثم يحيل الامر على واشنطن لتتولى الرد بالتفصيل. اما وزارة الخارجية فقد تقدمت بتوصية بالغة الغرابة مؤداها ان ننسحب من المبادرة التي تقدمنا بها نحن ونكتفي بمجرد "العلم" بالرد الصيني من دون تعليق.

وقد انتصرت وجهة نظري، وأمرني نيكسون بأن أصدر التعليمات الى السفير ستويسل بأن يرد بالايجاب، ولكن من دون أن يغفل في طبيعة الحال انشاء الترنيمة المتكررة عن القضايا المعلقة بين الطرفين والتي كانت عصب الـ١٣٥ اجتماعا السابقة. وقد بلغت الرسائل وجهتها وقوبلت بالتفهم. وفي الاجتماع الـ١٣٦، تلا لي - يانغ بيانا لين الصيغة الى درجة غير عادية، وقبل اقتراحنا ايفاد مبعوث الى بكين. وبدا اننا على وشك اختراق الحواجز في الطريق الى غايتنا.

لباقة مفرطة

غير ان الشك المتراكم على مدى عقدين لم يكن أمراً يسهل التغلب

عليه. وفي مذكرة موجهة الى الرئيس يوم ١٠ مارس (آذار)، اقترح وزير الخارجية روجرز يوم ١٩ مارس (اذار) موعدا لاجتماع فرصوفيا التالي. لكنني كنت أعرف ان الصينيين لا يمكنهم التحضير لاجتماع في هذه المهلة البالغة القصر، كما أن جدول الاعمال المقترح كان يجعل احتمال نجاح الاجتماع أمرا مستبعدا.

وبعد جدل كثير، اقترحت الولايات المتحدة على الصينيين عقد الاجتماع يوم ٣٠ ابريل (نيسان) او في اي تاريخ لاحق. لكن الصينيين، وقد بدا أنهم قد تضايقوا، قرروا أن يلعبوا هم أنفسهم لعبة التأجيل، فانتظروا أربعة اسابيع قبل أن يردوا. وفي ٢٨ ابريل (نيسان) اقترحوا أن يكون موعد الاجتماع ٢٠ مايو (ايار)، وقبلنا نحن ذلك.

والواقع ان حصولنا على أي رد على الاطلاق كان أمراً غير منتظر. فقد كانت قوات فيتنام الجنوبية تشق طريقها الى منطقة "منقار الببغاء" في كمبوديا، وكانت قوات الولايات المتحدة على اهبة التحرك لمهاجمة ملاجيء القوات المعادية. وظل الصينيون صامتين ازاء ذلك حتى ١٨ مايو (ايار)، بعد انقضاء ثلاثة أسابيع على بدء عملياتنا، ثم أصدروا في ذلك اليوم - عن طريق وكالة أنباء "الصين الجديدة" - بيانا شديد الايجاز والصرامة، يقرر انه نظرا الى الغزو "الفاضح" الذي تتعرض له كمبوديا، "فان الحكومة الصينية ترى أنه لم يعد من المناسب عقد الاجتماع الرقم ١٣٧ في محادثات السفراء بين الصين والولايات المتحدة يوم ٢٠ مايو (ايار) كما كان مقررا". ولم يكن في ذلك بأس، لان حكومتنا كانت - ببساطة - غير مستعدة لان تتحدث بصوت واحد. حقيقة اني كنت نجحت بعد جهود كبيرة في تعديل التعليمات الخاصة باجتماع يوم ٢٠ مايو (ايار) بحيث تتضمن مناقشة للجوانب الفنية المتعلقة بزيارة مبعوث، وتفوّض ستويسل الحديث عن علاقات أوسع نطاقا، خصوصا في الشرق الاقصى. لكن التذمر الذي رافق قبول هذه التعديلات، والفيض الغامر من العبارات التقليدية الذي أغرقت فيه على نحو ظاهر أوضح بجلاء انه يتعذر على محادثات فرصوفيا ان تكون هي المكان المناسب لاجراء محادثات جديدة. وعندما أعيدت الاتصالات بيننا وبين الصينيين في موعد لاحق من العام كان ذلك عن طريق آخر، وبمقدرا أكبر من التركيز على الهدف المنشود.

وفي يوم ١٨ مايو (أيار) نفسه، اتهمت صحيفة "برافدا" السوفييتية جمهورية الصين الشعبية بأنها رفضت نداءات الاتحاد السوفييتي للقيام بعمل مشترك في كمبوديا. وكان الصينيون بالغي الحساسية لمثل هذا الاتهام، فردوا عليه بأعنف وسيلة لديهم الا وهي الاعلان الذي اصدروه يوم ٢٠ مايو (أيار) باسم ماو تسي - تونغ بعنوان: "يا شعوب العالم! اتحدوا لتهزموا المعتدين الامريكيين وكلاب صيدهم!".

وبلغ بيان ماو واشنطن في فترة كان مزاج نيكسون شديد العصبية، فلم ينتظر تحليلي للبيان، وأمر بأن

تتجه الى مضيق تايوان كل عناصر الاسطول السابع الامريكي التي لا تدعو اليها الحاجة في عمليات فيتنام، وقال في ذلك: "اريد ان يظهر ذلك مظهر الاستفزاز والتحدي. أريدهم ان يفهموا اننا لا نلعب لعبة الديوك (*) هذه ولا اريد ان يعد لي أحد بيانات مطولة ولا أن يراجعني أحد في هذا الامر. وأريد ان تصل وحدات الاسطول هذه الى مضيق تايوان خلال ٢٤ ساعة".

وكان ذلك واحدا من تلك الاوامر التي كان مساعدو نيكسون المقربون يميزونها بأنها قد تخدم المصلحة العامة على نحو أفضل اذا أوقف تنفيذها لمدة ٢٤ ساعة. وعندما استخدم نيكسون عبارة "لا أريد ان يراجعني أحد" كان ذلك دليلا على عدم الثقة في سلامة التصرف. وبعد ان أتيحت لنا فرصة مناقشة المعنى الحقيقي لبيان ماو، راجع نيكسون نفسه في قراره ارسال القوات البحرية الى مضيق تايوان، اذ تبين أن ماو ترك ثغرات كثيرة يمكن النفاذ منها الى تجديد المسيرة الطويلة لكل من بلدينا تجاه الآخر، وأن أحدا لن يكسب شيئا من الاقدام على اقفال هذه الثغرات في نوبة غضب.

وقرابة منتصف يونيو (حزيران)، عندما بدأت المشاعر التي ثارت حول كمبوديا تهدأ، سعينا الى تجديد الاتصالات، فصدرت التعليمات في ١٥ يونيو (حزيران) الى الجنرال فيرنون والترز ملحقنا العسكري في باريس كي يتصل بزميله فانغ - وين الملحق العسكري الصيني وينبئه بأن لديه رسالة يريد ابلاغه اياها. وأعطينا والترز نصاً كي يتلوه، يتضمن رأينا الذي أصبح الان مألوفا، ومؤداه: انه لما كان منبر فرصوفيا علنيا أكثر من اللازم ومثقلا بالرسميات والشكليات، فاننا نود أن نقيم سبيلا آخر الى الاتصالات السرية. وقد حاول والترز مرتين ابلاغ زميله الصيني نص الرسالة لكنه لم يفلح. وكان شو ان - لاي وماو تسي - تونغ هما اللذان قررا من جانبهما أن الوقت حان لارسال اشارة الينا. ومن سوء الحظ ان ما نقلوه الينا كان مغلفا باللباقة وغير مباشر الى درجة أن نقطة الهدف المقصودة منه فاتت تماما على عقولنا الغربية الغليظة. ففي أول أكتوبر (تشرين الاول)، وهو العيد الوطني للصين، قاد شو ان - لاي الكاتب الامريكي ادغار سنو - الصديق القديم للشيوعيين الصينيين - وزوجته واوقفهما الى جانب ماو لتلتقط لهما صور مع ماو وهو يعرض الموكب السنوي. وكان ذلك أمرا لم يسبق له مثيل، لان هذا الشرف لم يسبغ على أي امريكي من قبل. فمن الواضح اذاً ان الرئيس صاحب الاساليب العويصة المبهمة يحاول أن ينقل رسالة ما عبر هذا التصرف. (علّق سنو نفسه على هذه الواقعة فيما بعد بأن "القادة الصينيين لا يقدمون على أي تصرف علني من دون أن يكون وراءه هدف"). وقد فهمت بعد ذلك ان ماو قصد بهذا التصرف الاشارة الى أن العلاقات الصينية - الامريكية قد

*لعبة بالسيارات يقود فيها متباريان سيارتيهما، احدهما في اتجاه الآخر، ويكون الخاسر من ينحرف بسيارته أولا.

أصبحت موضوع اهتمامه الشخصي. لكن ادارك هذه الاشارة فاتنا وكانت مناسبة مهمة، وبذلك أسفرت اللباقة المفرطة عن فشل في الاتصال.

من رئيس الى رئيس

لقد استخدم ماو حساما رشيقا لينقل به اشارته، أما نيكسون فقد لجأ في ابلاغ رسالته الى مطرقة ضخمة. ففي اللحظة نفسها تقريبا التي كان سنو يراقب الموكب السنوي للصين، كانت مجلة "تايم" تجري مقابلة مع نيكسون، أدرج فيها عبارة عن موضوع نهوض الصين بدور عالمي وعن دور نيكسون نفسه في ذلك، قال فيها:

"ومن الجائز ألا يكون هذا الدور ممكنا الا بعد خمس سنوات، وربما عشر. لكنه لا بد من أن يتحقق في ظرف عشرين عاما والا تعرض العالم لخطر قاتل. واذا كان هناك ما أود ان أفعله قبل أن أموت فهو زيارة الصين. واذا لم أتمكن من ذلك فانني أريد أن يتمكن أبنائي منه".

وكان من التطورات ذات الاهمية الحيوية استقبال الرئيس نيكسون في مكتبه يوم ٢٥ اكتوبر (تشرين الاول) الرئيس الباكستاني يحيى خان الذي كان على وشك زيارة بكين. وقد طلب نيكسون من يحيى خان أن ينقل الى الصينيين أننا نعتبر التقارب الصيني - الامريكي أمرا "جوهريا"، وأننا على استعداد لايفاد مبعوث سري على مستوى عال الى بكين. وفي اليوم التالي، كرر نيكسون الاقوال نفسها للرئيس الروماني نيقولاي تشاوشيسكو، ثم استغل زيارة تشاوشيسكو بعد ذلك كي يقوم بخطوة علنية أخرى فشرب في حفلة

عشاء رسمية نخب المصالح الكثيرة المشتركة بين الولايات المتحدة ورومانيا، وعدد منها خصوصا ما يتعلق بالعلاقات الطيبة، مثل تلك العلاقات القائمة بين رومانيا من جانب والولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي و"جمهورية الصين الشعبية" من جانب آخر. وكانت تلك هي المرة الاولى التي يقدم رئيس امريكي على استخدام الاسم الرسمي للصين. وأصبح كل ما نستطيع عمله بعد ذلك هو أن ننتظر.

لم نكن نعلم آنذاك أن الصينيين قد بعثوا الينا برسالة تختلف تماما عن كل ما تلقيناه قبل ذلك. فقد قام يحيى خان، بزيارته للصين التي استمرت من ١٠ الى ١٥ نوفمبر (تشرين الثاني)، وافترضنا نحن أنه لم يطرأ شيء ولكن حدث في ٨ ديسمبر (كانون الاول) ان قال السفير الباكستاني في واشنطن هلالي ان لديه رسالة لي تتعلق برحلة الرئيس يحيى خان، فدعوت هلالي الى البيت الابيض في اليوم التالي حيث أخرج رسالة مكتوبة بخط اليد على ورق أبيض ذي سطور بيضاء، قائلا انها جاءته مع رسول ديبلوماسي خاص لان الرئيس يحيى لم يأتمن عليها المواصلات البرقية. وقال هلالي انه غير مفوض ترك هذه الوثيقة لدي، فكان الحل الوحيد ان يمليها علي ببطء لانسخها بخط يدي. واستغرقنا في هذا العمل الآلي الى درجة لم نلحظ معها غرابة موقف هذا المتحدث الانيق بلسان النخبة المختارة في بلد يستند الى دين عريق وهو يملي رسالة من زعيم أمة آسيوية ثورية مكافحة على ممثل زعيم العالم الرأسمالي الغربي، أو اننا في عصر الاتصالات الفورية قد عدنا الى الاساليب الديبلوماسية التي كانت متبعة في القرن الماضي.

ان ما يحصل في الديبلوماسية هو ان كل حدث ديبلوماسي منفرد يكون حلقة في سلسلة من الاحداث تندمج في تيار متصل لا تتيسر رؤية مغزاه الا من خلال عدسة الزمن. أما "نقاط التحول" فانها لا تتضح عادة الا عند النظر اليها بعد فترة من حدوثها، لكن الرسالة التي جاء بها هلالي كانت حدثا واضح الاهمية تماما. فهي ليست اشارة خفية لبقة يمكن انكارها عند ظهور أول بادرة متاعب، وانما هي رسالة شخصية موثوقة موجهة الى ريتشارد نيكسون من شو ان - لاي، أكد فيها انه لا يتحدث باسمه فقط وانما أيضا باسم الرئيس ماو ونائب الرئيس لين -بياو. وقال شو ان - لاي ان الصين "كانت دائما على استعداد ودائما تحاول أن تتفاوض بالوسائل السلمية (...) ومن أجل مناقشة موضوع الجلاء عن الاراضي الصينية التي يطلق عليها اسم تايوان، فان بكين ترحب كل الترحيب باستقبال مبعوث خاص من الرئيس نيكسون". ولاحظ شو ان - لاي بلطف أن هناك رسائل أخرى كثيرة وردت من الولايات المتحدة الامريكية عن طريق مصادر مختلفة "ولكن هذه هي المرة الاولى التي يصدر اقتراح من رئيس موجه عن طريق رئيس، الى رئيس".

ما كاد هلالي ينصرف حتى مضيت عبر الدهليز الى مكتب الرئيس، حيث

تحادثنا - نيكسون وأنا - طويلا، وكان اتفاقنا تاما على قبول الدعوة. وأوضحنا في ردنا ان الولايات المتحدة على استعداد لاجراء محادثات على مستوى عال في بكين.

ديبلوماسية البينغ بونغ

ومرة أخرى، لم يكن أمامنا ما نفعله سوى الانتظار. وقد انتفعت بهذه المهلة لكي أحاول تثقيف نفسي في أمور الصين. وبين منتصف ديسمبر (كانون الاول) وأوائل ابريل (نيسان)، التقيت ثلاث مرات مجموعات من الخبراء الاكاديميين في شؤون الصين من مختلف المؤسسات العلمية العالية المستوى. ويسعدني ان أقرر أن زملائي السابقين قد أفادوني كثيرا بلمحات ساطعة من البصيرة النافذة. غير انهم كانوا مقتنعين بأن القضيتين اللتين تحتلان مكانالصدارة من اهتمام الصين هما فيتنام وتايوان، وهو ما تبين بعد ذلك أنه خطأ تام. وكانت الرقابة على التسلح من الموضوعات الاخرى التي قال الخبراء ان لها اولوية كبرى، في حين أن الصينيين لم يشيروا اطلاقا الى هذا الموضوع، بل ردونا عن الحديث فيه عندما أثرناه نحن. ومن الآراء الاخرى التي كان الخبراء شبه مجمعين عليها أن تحسن العلاقات الامريكية - الصينية مرهون باعترافنا المسبق بأن حكومة بكين هي حكومة الصين الوحيدة، أو على الاقل بسماحنا بانضمام بكين الى الامم المتحدة. وقد ثبت ان هذا ايضا خطأ، اذ ان تحسن العلاقات بدأ قبل أن تنضم الصين الى الامم المتحدة باشهر عدة، كما أن سبع سنوات كاملة انقضت قبل أن تعترف حكومة الرئيس كارتر بأن حكومة بكين هي الحكومة الوحيدة للصين.

وكان هناك رأي واسع الانتشار بين الخبراء ايضا مؤداه أن الصين ستصر على تقديم تأكيدات بأننا سننسحب من آسيا، في حين أن نقيض ذلك هو الذي ثبتت صحته، اذ ان الصين كانت تريد بشدة ان نبقى في آسيا لكي نكون عنصر توازن مع الاتحاد السوفييتي. وقد استمعت بأدب الى اقتراحات زملائي مستعينا على نفاد الصبر بتذكر أني لم أكن أكثر منهم توفيقا في تناول الامور من جانبها الصحيح حين عملت مستشارا اكاديميا لحكومتين سابقتين.

كانت الاحداث المثيرة التي توشك أن تفاجئنا قد سبقتها تباشير العمل المنهجي من جانب الصين لاعادة بناء ديبلوماسيتها الشاملة بعد الشلل الذي اصابها من جراء الثورة الثقافية. وقد باشرت الصين في مايو (ايار) ١٩٦٩ اعادة سفرائها الى العواصم التي كانوا منتدبين لها وكان هؤلاء استدعوا الى الصين في أثناء الثورة الثقافية. وجاءتنا من وزارة الخارجية تقارير عن تطورات أخرى ذات مغزى منها - على سبيل المثال - ان شو ان - لاي استقبل وزير خارجية اليابان السابق آيشيرو فوجي ياما في مارس (اذار) وأخبره ان "من الممكن في مرحلة ما حصول تحسن مثير مفاجيء" في العلاقات مع الولايات المتحدة. وأبرزت وزارة الخارجية أن "بكين أرسلت فريقها لكرة الطاولة (البينغ

بونغ) الى اليابان للاشتراك في مباريات للبطولة الدولية، وهذا أول نشاط رياضي من هذا النوع تقوم به بكين منذ أعوام".

وكان فريق الولايات المتحدة لكرة الطاولة مشتركا في هذه المباريات التي جرت في مدينة ناجويا اليابانية. وفي ٤ ابريل (نيسان) الذي كان يوم راحة في المباريات، توجه غلين كوان، الشاب ذو التسعة عشر عاما من كلية مدينة سانتا مونيكا، الى رئيس الفريق الصيني تشانغ تسي - تونغ الذي حاز بطولة العالم ثلاث مرات قبل ذلك، وتحدث معه وانتهى به الامر الى مرافقته في نزهة بالحافلة مع اللاعبين الصينيين الى مزارع اللؤلؤ في شبه جزيرة "مي" (ولا شك في أن الصينيين لم يكونوا ليوافقوا على اصطحاب غلين كوان لو لم تكن لديهم تعليمات أكيدة بضرورة التعامل الودي مع الامريكيين. ومن أبرز مواهب الصينيين أنهم قادرون على أن يجعلوا الامر المخطط بمنتهى الدقة والعناية يبدو عفويا وفوريا). وفي اليوم التالي انتظر كوان تشانغ حتى انتهى من مباراة كان يلعبها ثم قدم اليه قميصا امريكيا. فقبل تشانغ الهدية، وقدم الى كوان في مقابلها منديلا مزينا ببعض المناظر الصينية.

في ٦ ابريل (نيسان)، أصيب الجميع بالذهول عندما وجه الصينيون الدعوة الى الفريق الامريكي لزيارة الصين. وأسرع غراهام ب. ستينهوفن رئيس الاتحاد الامريكي لكرة الطاولة الى الاتصال هاتفيا بالسفارة الامريكية في طوكيو طالبا المشورة. ولم يكن خبير الشؤون الصينية في السفارة وليم غراهام يعلم شيئا عن جهودنا للتقارب مع الصين سوى أن لدينا رغبة عامة في تحسين العلاقات مع بكين، لكنه لم يتردد لحظة واحدة في أن يشير على ستينهوفن بقبول الدعوة.

لقي لاعبو كرة الطاولة الامريكيون حفاوة في الصين. وفي ١٤ ابريل (نيسان) استقبلهم رئيس الوزراء شو ان - لاي في قاعة الشعب الكبرى، وخاطبهم قائلا: "لقد فتحتم فصلا جديدا في العلاقات بين الشعبين الامريكي والصيني واني على ثقة بأن هذه البداية الجديدة للصداقة بيننا ستقابل من دون شك بتأييد الغالبية العظمى من أفراد شعبينا". وعندما بدا أن لاعبينا المذهولين لم يستجيبوا لكلامه، استأنف الحديث: "ألا توافقونني على رأيي؟" فانفجر الامريكيون بالتصفيق، وسارعوا بتوجيه الدعوة الى الفريق الصيني للقيام بجولة في الولايات المتحدة، فلقيت دعوتهم قبولا فوريا.

لحظة المنشوة

كانت الاسابيع التي اعقبت ديبلوماسية البينغ بونغ أكثر المراحل اثارة للاعصاب في العملية المعقدة كلها. وكنت أنا ونيكسون الوحيدين اللذين يفهمان المضامين الكاملة لما فعله شو ان - لاي لاننا كنا الوحيدين المطلعين على جميع الاتصالات التي تمت بين بكين وواشنطن، وكنا نعرف أن امرا ضخما على وشك الحدوث. لكن الحيرة تتملكنا ازاء تحديد الشكل الذي سيتخذه هذا الحدث.

وكما يحصل في أحيان كثيرة عندما

تكون أحداث كبيرة على وشك الوقوع، تملكت نيكسون أحاسيس متضاربة من التشاؤم والتخوف والامل، نابعة من مركب شخصيته الفريد الذي يجمع في آن بين سمو الغاية الوطنية والحسابات السياسية والشخصية. كان متخوفا من انسحاب الصين في اللحظة الاخيرة (وهو ما اعتقدته أمراً بعيد الاحتمال) يراجع نفسه في ما تقرر بالفعل من وجوب قيام أحد مرؤوسيه بزيارة بكين قبل سفره هو اليها، ويريد ان يستغني عن ايفاد هذا المبعوث خشية ان يقلل ذلك من بهاء رحلته هو.

وأرسلنا اشارات أخرى تؤكد استمرار عزمنا على السير في الاتجاه نفسه. وفي ١٤ ابريل أعلن البيت الابيض أول خروج كبير على الحظر التجاري المفروض ضد الصين منذ عشرين عاما. وكنت في اليوم السابق استدعيت القائم بالاعمال السوفييتي كي أنبئه بقرارنا فتح باب التجارة مع الصين قبل اعلانه بيوم واحد، وأكدت له أن هذا القرار لا يعكس أي نيات سلبية ضد الاتحاد السوفييتي. وهذا الاسلوب هو وسيلة الطمأنة التقليدية المتبعة في الديبلوماسية، اذ يعطى الطرف الذي توجه ضده المناورة تأكيدات رسمية تستهدف هز أعصابه بمقدار ما تستهدف تهدئته، وتخطىء غايتها تماما اذا قوبلت بالتصديق الفعلي. وتضاعف قلقنا ونحن ننتظر، وبدا نيكسون فريسة للتوجس من أن ينتهي المشروع كله الى الفشل.

وجاءتنا أول اشارة الساعة ٣،٤٥ مساء ٢٧ ابريل (نيسان)، عندما طلب السفير الباكستاني هلالي مقابلتي بصفة عاجلة لمدة خمس دقائق. واستقبلته في الساعة ٦،١٢ مساء، حيث سلمني مذكرة من صفحتين تحمل رسالة من شو ان - لاي رداً على رسالة الرئيس نيكسون في ديسمبر (كانون الاول). وكانت المذكرة مكتوبة بخط اليد الانيق، ومن محتوياتها ما يأتي:

> **"ان الحكومة الصينية تعيد تأكيد استعدادها لأن تستقبل رسميا في بكين مبعوثا خاصا من رئيس الولايات المتحدة (كالسيد كيسينجر) او وزير خارجية الولايات المتحدة او حتى رئيس الولايات المتحدة نفسه لاجراء مقابلات ومحادثات مباشرة".**

وغادر هلالي مكتبي بعد فترة لا تتجاوز عشرين دقيقة، فمضيت فورا لمقابلة الرئيس فوجدته في قاعة الجلوس وتلوت عليه الرسالة. ولم تكن هناك حاجة الى تبادل حديث كبير حولها.

ان المناصب العالية كثيرا ما تحيط بها أسباب الضيق والاحباط والحسابات الصغيرة. وعلى خلاف القمم المثيرة التي يتصورها خيال الجمهور، فان هذه المناصب عادة ما تعني تراكما متتابعا لضغوط وتوترات تبدو لا نهائية ويكون كل حل ظاهر فيها لاحدى المشاكل سبيلا الى مجموعة مشاكل جديدة. ومحك صفات الزعماء هو مدى استعدادهم للمثابرة في مواجهة عوامل القلق وبواعث عدم الثقة والتوجس ومواصلة البناء لمستقبل لا يمكنهم وصفه أو تمييزه بوضوح.

غير أنه يحدث من وقت الى آخر ان

يتمكن محظوظون قلائل من المشاركة في حدث يعرفون انه سيغير الاوضاع الى الافضل. في ذلك المساء جلست وحدي في غرفة مكتبي أتأمل. لقد كان الكابوس الذي يقض مضجعي طوال عامين هو أن تستنزف مشكلة فيتنام رصيد أمتنا من الثقة بالنفس وتجردها من قدرتها الحاسمة على وقاية العالم الحر ومساندة الآمال في التقدم. وبينما كان عالم ما بعد الحرب العالمية الثانية يتهاوى على نحو اصبحت معه مساهمتنا الخلاقة امرا لا غنى عنه، أكثر من أي وقت مضى، اذا بنا عرضة لخطر استنفاد قوانا الوطنية في صراع داخلي مرير حول ركن بعيد من جنوب شرق آسيا. ومهما حدث في الهند الصينية، فان علينا أن نبدأ عهدا جديدا في العلاقات الدولية، وهو هدف لا يمكن تحقيقه من دون عزيمة وطنية واتفاق وطني عام.

كانت الرسالة الواردة من بكين تنبئنا قبل كل شيء آخر بأنه على رغم أحداث الهند الصينية، فأن أمامنا فرصة لكي نرفع انظار الشعب الامريكي الى مستقبل حافل بالامل. وأمامنا الان امكان يتيح للامريكيين أخيرا أن يتحدوا خلف رؤيا تمتد الى عالم أكثر سلاما واتجاها نحو البناء، وأن يستمدوا الامل من بيان عملي يثبت أن امريكا - حتى في المحن - لا تزال تتمتع برصيد من القوة الداخلية يعينها على النهوض بعظائم الامور. وللمرة الاولى منذ عامين، أحسست وسط الاثارة والقلق بحلظة من النشوة والسلام الداخلي.

والتقيت في اليوم التالي نيكسون في المكتب الرئاسي حيث طلب مني أن اتلو المذكرة الصينية على مساعده بوب هالدمان وأن أشرح مغزاها. ولم يكن سبب ذلك أن نيكسون لم يفهم الرسالة ولكنه أراد ان يتذوق لحظة الانجاز بالاستماع اليها وهي توصف لزميل قديم رافقه منذ أيام العزلة الاليمة. كان ذلك نوعا من التزكية لاثبات كون جهود تلك السنين لم تذهب هباء.

وفي ساعة لاحقة من ذلك الصباح أنبأني نيكسون بأنه قرر ايفادي الى الصين في المهمة التي طرحتها الرسالة، وبأنه عليّ مباشرة الاستعداد لذلك على الفور. وكانت دوافع نيكسون مختلطة، كما هي حال الزعماء السياسيين دائما. فالمراقبون الرومانسيون وحدهم هم الذين يعتقدون أن الرجال الذين انتصروا في صراع قاس على السلطة يتخذون قراراتهم على أساس الافكار التحليلية وحدها. ولا شك في أن أقوى بواعث نيكسون على اتخاذ هذا القرار كان وثوقه بأني خير من يتفهم سياستنا في هذا الصدد، وأن ألفتي شخصيته المعقدة ستتيح لي ترتيب زيارته لبكين على أفضل نحو يريحه. بيد أنه لا شك ايضا في أن من أهم دوافعه الاخرى معرفته أنني - من بين جميع المبعوثين الذين يمكن ايفادهم - أكثرهم خضوعا لسيطرته المباشرة. فقد كنت موظفا في البيت الابيض لا أملك وسيلة للاعلان عن نشاطي الا عند طريق المكتب الصحافي للبيت الابيض، وسيكون نجاحي نجاحا للرئيس نفسه. كما أني كنت غير معروف تقريبا لعامة

الجمهور، وقد انقضى على التحاقي بوظيفتي عامان ونصف عام من دون أن أعقد أي مؤتمر صحافي مسجل.

ولا أستطيع الزعم بأني دهشت كثيرا في تلك اللحظة، وانما شعرت براحة كبيرة، لاني سأتمكن من اكمال المشروع حتى نهايته المثمرة بعد أن انشغلت في تصميمه وقتا طويلا. أما نيكسون، فمهما تكن دوافعه المعقدة فهو جدير بالتقدير لشجاعته في الاقدام على احداث ثورة في سياسة الولايات المتحدة الخارجية التي كانت متبعة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، على رغم درايته بأن ذلك سيحدث صدمة عنيفة بين صفوف مؤيديه التقليديين. وقد استعان في ذلك بمستشاره للامن القومي وحده، من دون التماس الاعذار في ما توفره الاجراءات العادية للحصول على الموافقات البيروقراطية، وأصدر بنفسه الامر لأيفادي في مهمة لو فشلت لأسفر فشلها عن كارثة سياسية له وكارثة دولية لبلاده. والقول ان الظروف كانت تبدو مؤاتية لا يغير شيئا من الوحدة القاسية التي أحاطت بالاختيار لدى اقراره، كما ان القول ان نيكسون كتوم بطبعه لا يغير من حقيقة أن الموقف كان يحتاج الى رجل ماضي العزم قوي التصميم كي يسير في طريقه على حافة الهاوية مع مساعد واحد فقط.

مهمة سرية

بدأت اتخاذ الترتيبات الفنية للرحلة، فبعثت في ٣ مايو (ايار) برسالة الى جوزف فارلاند سفيرنا في باكستان قلت فيها:

"لأسباب بالغة الحساسية لا يعرفها سوى الرئيس وأنا، يود الرئيس منك أن تصطنع سببا شخصيا للقيام برحلة فورية الى الولايات المتحدة حتى تتمكن من التشاور معي. ولا بد من أن يكون لقاؤنا سريا وألا تفشى طبيعته لاي شخص آخر".

واستبدت الحيرة بفارلاند المخلص، ولكنه طار الى لوس أنجيليس في ما وصفه لرؤسائه بأنه "مسألة شخصية". (وكان من حسن حظنا أن سفيرنا في باكستان كان من خارج "مؤسسة" السلك الديبلوماسي العادية، ولو كان رجلا تقليديا لما استجاب لطلبي من دون أن يؤمن ظهره برسالة "شخصية" الى رؤساء ادارته في واشنطن). وأتيت به من لوس أنجيليس الى بالم سبرينغز في طائرة خاصة يملكها أحد الاصدقاء، ثم التقيته سراً يوم ٧ مايو (ايار) في المسكن الخاص الذي كنت أقيم فيه، وقضينا معاً ثلاث ساعات.

عرضت وفارلاند جميع رسائل بكين التي وردت علينا عن طريق الباكستانيين، وأخبرته بأن الترتيبات الفنية للرحلة ينبغي أن تتم عن طريقه، لتجنب احتمالات سوء الفهم التي تترتب على مرور المواد الحساسة المعقدة في أيد كثيرة.

ووضعت الخطوط العريضة لمسار الرحلة التي اعتزمها، على أساس ان أغادر واشنطن في رحلة "استقصائية" تحملني الى سايغون وبانكوك ونيودلهي واسلام آباد وباريس، وأن يتضمن جدولي في كل من هذه العواصم اجتماعات توجيهية عدة، ولكن من دون عقد اي مؤتمرات

صحافية، وألا يصاحبني في الطائرة التي تحملني اي صحافيين على الاطلاق. وعندما أصل الى اسلام آباد سأكون - كما آمل - قد أثرت ملل الصحافيين المحليين الى أبعد حد وأثبت" أني غير مفيد من الناحية الاعلامية بحيث لا يبقى أي اهتمام صحافي كبير بتحركاتي وتصرفاتي.

واتفقت وفارلاند على ان انجع خطة هي أن أصل الى باكستان صباح يوم جمعة، على أن يضع فارلاند جدول نشاطات تستغرق اليوم بأكمله، سواء أفي السفارة او مع ممثلي حكومة باكستان. واذا وافق الرئيس يحيى خان، فانه قد يدعوني الى قضاء عطلة نهاية الاسبوع في مكان منعزل مناسب، وليكن ممر خيبر أو مكانا آخر في الجبال. وهناك أترك طائرتي في مكان ظاهر في المطار، ثم أذهب الى الصين في طائرة أخرى أمريكية او باكستانية او صينية تكون أعدت في باكستان. وبعد غيبة لا تزيد على ٣٦ ساعة، أعود الى الظهور أمام الجميع ثم أستأنف رحلتي غربا الى باريس.

عدت الى واشنطن من "اجازتي" في بالم سبرينغز يوم ٩ مايو (ايار) وقد وضعت مسودة رد على رسالة شو ان - لاي الاخيرة، اعتمدها نيكسون في الصباح التالي وسلمتها عند الظهر الى السفير هلالي، من دون توقيع. وقد جاء فيها:

"من أجل الاعداد للزيارة التي سيقوم بها الرئيس نيكسون، وبغية اجراء اتصالات موثوقة مع قادة جمهورية الصين الشعبية، يقترح الرئيس نيكسون عقد اجتماع تمهيدي سري بين مساعده

لشؤون الامن القومي الدكتور كيسينجر ورئيس الوزراء شو ان - لاي أو أي عضو آخر على مستوى عال في الحكومة الصينية. وسيكون الدكتور كيسينجر على استعداد لحضور هذا الاجتماع على أرض الصين، ويفضل أن يكون ذلك في مكان تقترحه جمهورية الصين الشعبية، ويقع على مسافة طيران مناسبة من باكستان، وسيكون الدكتور كيسينجر مفوضا مناقشة الظروف التي تكفل تحقيق أكبر فائدة ممكنة من زيارة الرئيس نيكسون، ومناقشة جدول أعمال ذلك الاجتماع وموعد تلك الزيارة وبدء تبادل وجهات النظر التمهيدية في شأن جميع الموضوعات التي تهم الطرفين".

وقد علمنا بعد ذلك أن رغبتنا في السرية أثارت لدى الصينيين أكبر مقدار من الشك. ولعلهم رأوا في ذلك وسيلة نريد منها أن تتيح لنا فرصة تغيير اتجاهنا بسرعة، وضاعف من شكوكهم أنهم كانوا يرتابون في قدرتنا على المحافظة على الاسرار. لكننا كنا ندرك أن أي اعلان سابق عن الزيارة سيضعنا في حصار بين أولئك الذين سيطلبون قائمة بالتنازلات التي نعتزمها وأولئك الذين يريدون ضمانات تؤكد استمرار موقفنا المتصلب، وقد يسفر ذلك كله عن قتل النبتة الرقيقة التي كلفتنا رعايتها والمحافظة عليها كل تلك الجهود التي استغرقت أكثر من عامين. وقد استطاع الصينيون بعد ذلك أن يتفهموا مبررات السرية هذه.

وفي ٣١ مايو (ايار) تلقينا من هلالي رسالة مثيرة: هناك رسالة طويلة من بكين في الطريق الينا يحملها رسول ديبلوماسي من باكستان. ما محتوى هذه الرسالة؟

من الصعب المبالغة في وصف ما شعرت به آنئذ من راحة. فقد قبل شو ان - لاي اقتراحنا بأن يكون كل من الطرفين حرا في اثارة القضايا التي تحتل المقام الاول من اهتمامه، وهذا يكفل تناول المناقشات القضايا الرئيسية الشاملة التي كانت تهمنا أكثر من غيرها.

وسرت من مكتبي في الجناح الغربي الى مقر اقامة الرئيس فوجدت لديه ضيوفا على العشاء. وقلت لمساعد عسكري يقف خارج قاعة الولائم الرسمية ان هناك ضرورة لان ارى الرئيس بضع دقائق. وخرج الرئيس قرابة الساعة ٩،٣٠ فأنبأته بالرسالة، فاصطحبني مبتهجا الى قاعة جلوس لنكولن وأخرج زجاجة براندي وكأسين واقترح ان نشرب نخبا لا يزال عالقا في ذهنه حتى الان، قال فيه: "هنري، اننا لا نشرب نخب انفسنا أو نخب نجاحنا أو نخب سياسات حكومتنا التي جعلت ورود مثل هذه الرسالة امرا ممكنا، لكننا نشرب نخب الاجيال المقبلة التي قد تتاح لها فرصة أفضل للعيش في سلام بسبب ما فعلناه". غير أن ذاكرتي أنا ليست مرهفة بهذا المقدار، ولعلي كنت أرى أن الوقت لا يزال مبكرا لمثل هذه التوقعات الرائعة. غير ان الصيغة التي نقلتها عن نيكسون تعكس بالضبط ما انتابنا من مشاعر وما انعش في نفسينا من آمال في أن نخرج من المرارة والانقسام اللذين اثارتهما حرب قاسية محبطة وقد تجددت الثقة الوطنية لدى شعبنا في مستقبل بلاده.

وقد رددت على بكين عصر ٤ يونيو (حزيران)، واقترحت ان يكون وصولي الى الصين يوم ٩ يوليو (تموز) ومغادرتي لها يوم ١١ يوليو (تموز) وأن انتقل بطائرة بوينغ باكستانية من اسلام آباد الى بكين. وفي ١١ يونيو (حزيران)، وافق شو ان - لاي على هذه الترتيبات.

المغص "المناسب"

في أول يوليو (تموز) أجريت واحدة من أكثر المقابلات ايلاما في حياتي، اذ حضر سفير جمهورية الصين (الوطنية) جيمس - شن ليبحث معي في موضوع المحافظة على مقعد تايوان في اقتراع الجمعية العمومية التالية للامم المتحدة حول تمثيل الصين. وليست هناك حكومة أقل استحقاقا مما كان على وشك أن يحدث لها مثل حكومة تايوان التي ظلت حليفا مخلصا وظل سلوكها نحونا نموذجيا. وقد وجدت دوري مع شن بالغ الايلام، لاني كنت أعرف أنه لن ينقضي وقت طويل حتى تكون مناقشته للمناورات الاجرائية قد طارت هباء أمام رياح الاحداث القوية. غير اني لم أكن استطيع أن أقول له شيئا.

وحضرت كذلك ثلاثة اجتماعات مع الرئيس استغرقت في مجموعها أكثر من ساعتين لمراجعة التعليمات التي لدي. وقد تحدثت الروايات بعد ذلك عن اجتماعات ليلية في قاعة جلوس لنكولن بين رئيس غارق في التفكير ووزير خارجية غارق في التأمل وهما يخططان الاستراتيجية معا، ولكن ذلك كان في معظمه هراء ومن أجل الاستهلاك الاعلامي. وقد طلب مني احد الصحافيين بعد ذلك مقابلة لتناول هذه الاجتماعات فرجوت هالدمان اعفائي من ذلك، ووافق بالفعل قائلا: "ان هناك حدودا لقدرة الانسان على الكذب"، مضيفا بذلك بعدا جديدا الى الضرورة الاخلاقية للصدق. وواقع الامر اني قد تحدثت مع الرئيس بالفعل في قاعة جلوس لنكولن عندما نقلت اليه رسالة الصينيين يوم ٢ يونيو (حزيران)، لكننا لم نكن نلتقي فيها الا نادرا.

وفي ٣٠ يونيو (حزيران)، اذاع الناطق الصحافي باسم البيت الابيض في مؤتمره الصحافي العادي بيانا يعلن أن الرئيس نيكسون سيوفدني في بعثة لتقصي الحقائق الى فيتنام من ٢ الى ٥ يوليو (تموز)، وأني سأذهب بعد ذلك الى باريس للتشاور مع سفيرنا ديفيد بروس، وسأتوقف في طريقي الى باريس للتشاور مع مسؤولين في حكومات تايلاند والهند وباكستان.

وزادت الرحلة من حساسية نيكسون تجاه موضوع العلاقات العامة. وكانت احدى رغباته الا يذكر اسمي في البلاغ الذي يعلن زيارتي، لانه يريد ان يكون اسمه واسم شو ان - لاي هما أول الاسماء التي تذكر في وثيقة صينية - امريكية رسمية. غير انه لم يوضح كيف يمكن الاعلان عن زيارة مبعوث امريكي الى بكين من دون الكشف عن اسم ذلك المبعوث، اللهم الا اذا كان الهدف هو ان يشتهر الانسان في الصين بالغموض التام. وقد تولى الواقع حل هذه المشكلة. وكان نيكسون يريد كذلك من الصينيين تأكيدات بأنهم لن يدعوا

الى زيارتهم أي شخصية سياسية امريكية أخرى قبل زيارته هو، لكني قررت تأجيل مثل هذه الطلبات الى حين وصولي الى بكين.

بدأت رحلتي من قاعدة اندروز الجوية قرابة الثامنة مساء. وكنت اقترحت ان ننشر جدولا لرحلتي يقصِّر مدة بقائي في باكستان على ٤٨ ساعة، من ٨ الى ١٠ يوليو (تموز)، على أن أزعم لدى وصولي اني اعاني مغصا شديدا، يظل يزداد حدة الى أن يدعوني الرئيس يحيى خان الى استراحته في "ناتيا غالي" في الجبال حتى اتعافى، فيتيح لي ذلك اضافة يوم آخر الى مدة زيارتي لباكستان، والاختفاء مدة يومين اقضيهما في بكين (وقد قررت الآلهة ان تعاقبني على تطاولي البشري، فأصابني في نيودلهي مغص حقيقي اضطررت الى تحمله صامتا كي لا أثير الشك حولي عندما أصل الى باكستان).

وسارت زيارتي لباكستان وفق ما خطط لها، فحضرت مأدبة غداء في مقر السفير فارلاند، واجتماعا مع الرئيس يحيى خان، ثم اجتماعا في السفارة، ثم عشاء خاصا مع الرئيس يحيى خان وكبار معاونيه.

وأصبح "مغصي" في أثناء العشاء موضوعا عاما للحديث، وحثني الرئيس يحيى على الذهاب الى "ناتيا غالي"، وعندما تمنعت اصر على دعوته. وكان مقنعا في حديثه الى درجة أن أحد رجال الامن السريين في حرسي - عندما سمع المحادثة - رتب على الفور ايفاد أحد زملائه في زيارة "استطلاعية" للاستراحة الجبلية، ثم اتصل بي الاخير هاتفيا في منتصف الليل ليقول بانزعاج انه قد فحص الاستراحة ووجدها غير مناسبة. ولم يكن أمامي عندئذ سوى الطلب من الباكستانيين احتجاز الحارس التعس في ناتيا غالي الى حين عودتي من بكين.

وفي الساعة ٣،٣٠ من صباح يوم ٩ يوليو (تموز) استيقظت في دار الضيافة في اسلام آباد وتناولت افطارا مبكرا، ثم حملتني السيارات مع جماعتي الى مطار تشاكلالا يرافقنا وزير الخارجية سلطان خان. وكان معي من المساعدين ونستون لورد وجون هالدريدج وديك سمايسر، بالاضافة الى رجلي الامن السريين جون د. ريدي وغاري ماكلاود. وبناء على اقتراح فارلاند، كنت أرتدي قبعة ونظارة شمس لتفادي احتمال تعرف احد علي ممن يصادف مرورهم آنئذ في الشوارع. ووجدنا في انتظارنا في الجانب العسكري من المطار طائرة بوينغ ٧٠٧ تابعة للخطوط الجوية الدولية الباكستانية، في حين كانت طائرتي الخاصة متوقفة في الجانب المدني من مطار تشاكلالا بعيدا عن مرمى البصر من طائرة البوينغ الباكستانية وتحت عيني أي صحافي وموظف في أي سفارة يتفق مروره أو وجوده. وفي الساعة ٤،٣٠ صباحا اقلعت بنا البوينغ الى بكين في رحلة طولها ٤٥٠٠ كيلومتر.

وبعد بضع ساعات، نفذت خطة التعمية في اسلام آباد، وانطلق موكب سيارات من دوني يقطع رحلة الثمانين كيلومترا الى استراحة ناتيا

غالي. وهذا ما يدعو الى التفكير.
من الامور التي لا تحدث كثيرا أن يتمكن الانسان، وهو راشد، من استرجاع الصفة التي كانت تجعله في حداثته يحس بأن الزمن قد توقف، وتضفي على كل حدث سر الجدة، وتجعل لكل خبرة مذاقا خاصا بسبب تفردها. وكلما تقدم بنا العمر رحنا نتعزى بالامور المألوفة التي أصبحت لدينا ازاءها ردود فعل محفوظة، ووجدنا أن الزمن يمضي سريعا على نحو يتناسب مع تزايد سيطرة الروتين على عالمنا، وأن الحياة قد أصبحت خليط الوان من الخبرات التي يسهل أن تحل كل منها محل الاخرى. وهنا يستوجب الامر وقوع حدث غير مألوف بالمرة، يتميز بالجدة والاثارة وبأنه غير عادي، حتى يمكن الانسان أن يسترجع براءة السنوات التي كان كل يوم من أيامها يمثل مغامرة ثمينة. وقد كان الامر كذلك بالنسبة الي وأنا في الطائرة التي تعبر قمم الحملايا المغطاة بالثلوج وتندفع نحو السماء في الوهج الوردي للشمس المشرقة.

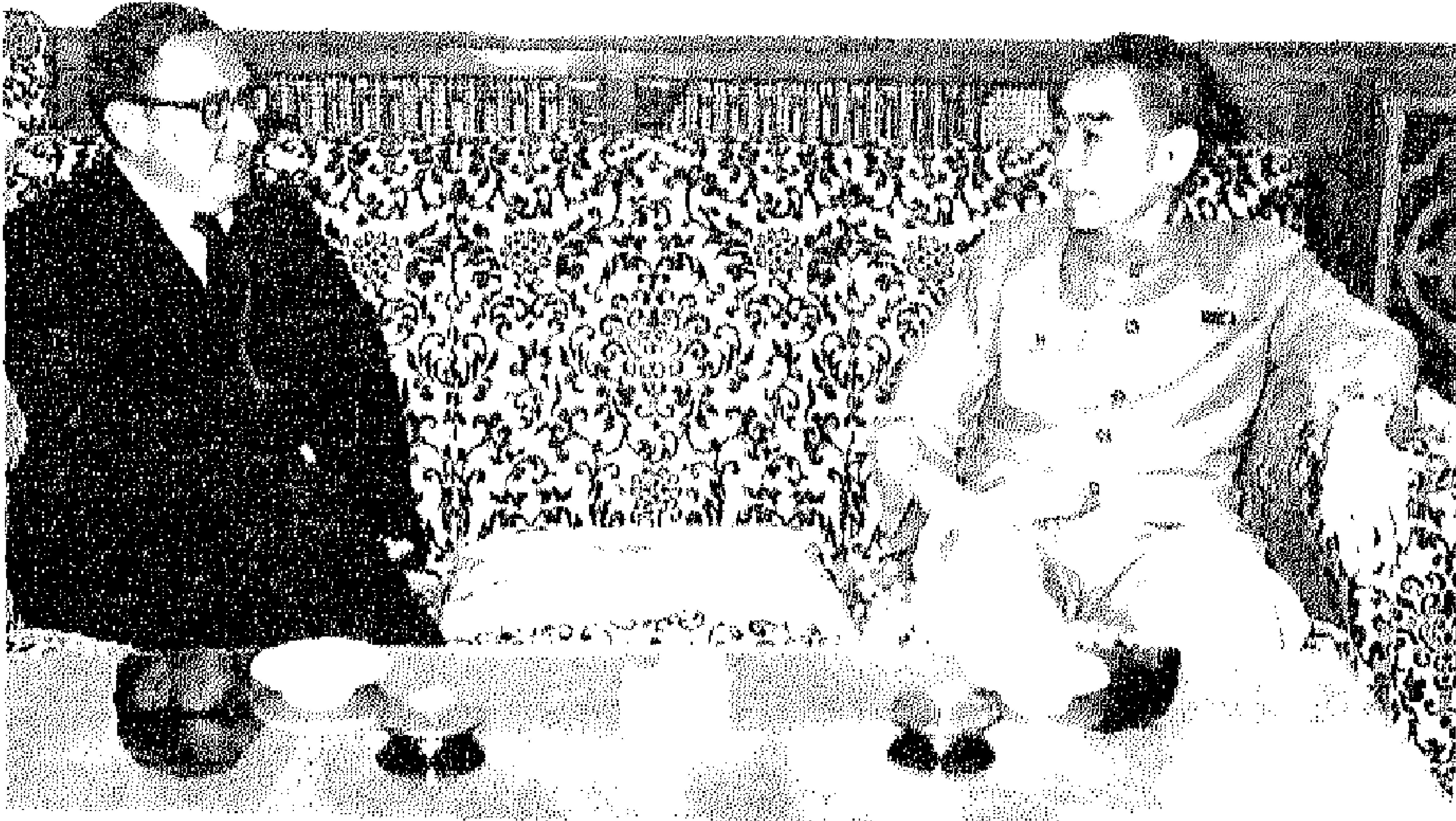
جلسنا في الطائرة حول مائدة نتبادل الحديث هينا لينا مع أربعة من الديبلوماسيين والمترجمين الصينيين، وكأن الاتصالات بين بلدينا لم تنقطع يوما واحدا. وأخذوا هم يسبرون بلطف تلك الاسباب التي جعلتنا نصر على السرية. هل نحن نخجل من الاعتراف بأننا سنلتقي الزعماء الصينيين، فلم يكن الصينيون قد نسوا الاهانة التي وجهها اليهم وزير الخارجية الاسبق جون فوستر دالاس عندما كانت المناسبة مؤاتية ورفض مصافحة شو ان - لاي عام ١٩٥٤ في مؤتمر جنيف الذي عقد حول مشكلة الهند الصينية، وتكررت اشارتهم اليها في أثناء الرحلة وفي مناسبات عدة في اليومين التاليين وفي الزيارات اللاحقة كذلك.

وهبطت بنا الطائرة في مطار عسكري على مشارف بكين حيث وجدنا في استقبالنا الماريشال ييه تشيان - ييينغ، وهو من ابرز أعضاء المكتب السياسي للحزب الشيوعي الصيني. واصطحبني الماريشال ييه الى المدينة في سيارة كبيرة أرخيت ستائرها. وكانت وجهتنا استراحة مخصصة لضيوف الدولة تقع، مع استراحات أخرى عدة مماثلة، في حديقة كبيرة مسورة في الجزء الغربي من المدينة.

ووصل شو ان - لاي في الساعة الرابعة والنصف عصرا. وكان أبرز ما في وجهه النحيل المعبّر عينان نافذتان يطل منهما مزيج من التركيز الشديد والراحة، ويختلط فيهما الخدر البالغ بهدوء الثقة بالنفس. وكانت حركاته رشيقة ووقورة، وهو يملأ المكان الذي يوجد فيه لا بحجمه المادي (مثل ماو تسي - تونغ أو شارل ديغول)، وانما بما يحيط به ويصحبه من جو التوتر المنضبط. وقد استقبلته عند الباب وتعمدت ان أمد اليه يدي على نحو ظاهر، فعلت وجهه ابتسامة سريعة وصافحني على الفور. كانت تلك أول خطوة نحو القاء الماضي خلف ظهورنا.

كان شو - على نقيض ماو - قد عاش خارج بلاده. فهو ولد لاسرة من الطبقة المتوسطة عام ١٨٩٨، وكان طالباً نابغة، درس وعمل في فرنسا

وألمانيا في العشرينات، واشترك بعد ذلك في المسيرة الطويلة. وكان الى ذلك رئيس وزراء جمهورية الصين الشعبية الوحيد على مدى اثنين وعشرين عاماً، جمع خلال تسعة منها منصب وزير الخارجية إلى منصب رئاسة الوزارة. وقد تفاوض شو مع الجنرال جورج مارشال في الاربعينات. وها هو أمامي شخصية من شخصيات التاريخ، يتحدث بسهولة وألفة في الفلسفة والتحليل والاستطلاع التكتيكي والردود الفكاهية. وكان امتلاكه ناصية الحقائق، خصوصاً درايته بالاحداث الامريكية - وبتاريخي أنا الشخصي فوق ذلك - أمراً يثير العجب والذهول.



شو إن - لاي وكيسينجر في اجتماع ٩ تموز (يوليو) ١٩٧١.

كان شو إن - لاي، في اختصار، أحد رجلين أو ثلاثة تركوا في نفسي اعمق الاثر من بين جميع من التقيتهم. فهو مهذب، صبور بلا حدود، ذكي إلى درجة غير عادية، لبق، مناور، راح يشق طريقه في مناقشاتنا برشاقة نفذت إلى جوهر علاقتنا الجديدة وكأنها أمر ليس له بديل معقول. وكان تحقيق التقارب بين مجتمعين فرقت بينهما العقيدة والتاريخ إلى هذه الدرجة الكبيرة مسألة تمثل تحدياً كبيراً. وكانت الحكمة التقليدية تقضي بأن نعمل لازالة بعض اسباب التوتر الواضحة المحددة، غير انه كان هناك سبب واضح للتوتر هو تايوان وهو سبب لا يتيح مجالا لاي حل سريع. وكان الجواب الوحيد الممكن هو ان نناقش الاساسيات التي تتناول تصوراتنا للشؤون العالمية والآسيوية خصوصاً على نحو يوضح الاهداف ووجهات النظر ومن ثم يقيم بالتالي جسراً عبر عقدين كاملين من الجهل المتبادل.

وقد حدد شو نغمة المحادثات في النصف الساعة الاول من لقائنا. وكنت اعددت كلمة افتتاحية طويلة ومملة قليلا اروي فيها تاريخ العلاقات بين الولايات المتحدة والصين حتى انتهي إلى الاجتماع القائم. وفي نهاية الجزء التمهيدي من كلمتي قلت محاولا أن اكون بليغاً: "لقد جاء زوار كثيرون إلى هذا البلد الجميل الذي يبدو لنا غامضاً". وهنا رفع شو يده وقال: "إنك ستجده غير غامض. عندما تألفه ستجد أنه ليس غامضاً كما كان يبدو". وفوجئت، الا ان شو كان محقاً

تماماً، إن علينا أن نبني الثقة ونزيل الغموض، وكان ذلك هو هدفه الاساسي معي، وهدفي الاساسي معه.

ولم يكن شو يساوم على الاطلاق من أجل كسب نقاط صغيرة. وسرعان ما تبينت ان أفضل طريقة للتعامل معه هي ان اعرض موقفاً معقولا واوضحه بدقة وعناية ثم اتمسك به. وكان شو يتصرف بالطريقة نفسها. وفي مناسبة لاحقة اعترضت على جميلتين في قسم من بلاغ يوضح وجهة النظر الصينية. وعلى رغم اننا لم نكن مسؤولين عما يقوله الصينيون، إلا اني رأيت ان هاتين الجملتين ستؤديان إلى خلاف لدى إعداد بيان مشترك. وقد عرضت ان احذف في مقابل هاتين الجملتين عبارتين مناظرتين من القسم الذي يوضح وجهة النظر الامريكية، لكن شو قال لي بنفاد صبر: "اعط جملتيك هاتين لرئيس جمهوريتك إذا احببت، فلست اريدهما. ولا داعي الى ان تتاجر معنا، كل ما عليك ان تفعله هو ان تقنعني بالسبب الذي يجعلك ترى ان في لغتنا ما يبرر الحرج". وكان شو عند كلمته، إذ اختفت من النص الصيني اكثر العبارات شدة.

إن هناك مفاوضين آخرين يلجأون في تلهفهم لاثارة اعجاب الرؤساء او الجمهور إلى اتباع ما يسمى باسلوب السلامي (البسطرمة) احياناً، فيحاولون تقسيم تنازلاتهم شرائح رقيقة إلى اقصى حد ويوزعونها على اطول فترة زمنية ممكنة. وهذا الاسلوب يعطي انطباعاً وهمياً بالصلابة. ولما كان كل من الطرفين لا يستطيع ان يحدد اي شريحة من السلامي في يد خصمه هي الاخيرة، فان ذلك يغري كلا منهما بالمزيد من الانتظار ومن ثم بالمزيد من إطالة المفاوضات. وقد وجدتني افضل على هذا كثيراً اسلوب التفاوض الذي اتبعه الصينيون معنا، وهو ان نحدد بمقدار الامكان طبيعة الحل المعقول، وننتقل إليه على الفور، ثم نتمسك بذلك الموقف.

ولم تكن لدي اي اوهام عن نظام الحكم الذي يمثله شو، كما اني لم اشك لحظة واحدة في انه يمكن ان يصبح خصماً خطيراً في خدمته لاهداف ذلك النظام. فقد تحقق المجتمع الجديد في الصين بثمن هائل أراه انا، في ضوء قيمي، فادحاً. إذ ان التضحيات التي فرضت على الحرية والتلقائية والثقافة وحياة الاسرة كلها تبدو لي اكثر مما يمكن اي مجموعة من الزعماء ان تمتلك الحق الاخلاقي في فرضه على شعبها.

وعلى رغم ذلك فقد تملكني حزن كبير عندما توفي شو، لأن وفاته تركت العالم اقل حيوية وجعلت الرؤية على مشارف المستقبل اقل وضوحاً. ولم يكن اي منا نحن الاثنين غافلا عن ان العلاقة بين بلدينا غامضة في جوهرها، او عن الاحتمال الذي يمكن ان تسفر عنه تطورات التاريخ فتجعل من طريقي امتينا مسارين متوازيين لفترة قصيرة فحسب، قد تجدان نفسيهما بعدها على طرفي نقيض. وإذا حدث وجاء ذلك اليوم، فان الصينيين سيقبلون على هذه المجابهة بالعزم والذكاء والدهاء انفسها التي اقبلوا بها على التعاون معنا. لكن

هذا كله لا ينفي ان من اثمن ما خرجت به من اشتغالي بالشؤون العامة هو اني تمكنت على مدى لحظة - مهما تكن قصيرة عابرة بمقاييس التاريخ التي لا ترحم - من العمل مع رجل عظيم عبر الحواجز الايديولوجية في الكفاح اللانهائي الذي يخوضه رجال الدولة ساعين إلى انقاذ بعض الدوام من بين براثن الوهن الشائع في بصيرة البشر.

الإعلان التاريخي

بلغت قاعدة "ايلتورو مارين كور" الجوية في كاليفورنيا في الساعة السابعةمن صباح الثلثاء ١٣ يوليو (تموز)، وقضيت الفترة بين الساعة ٧،٢٠ والساعة ٩،٣٠ صباحاً مع الرئيس، اقدم اليه بياناً تفصيلياً بما صادفت في رحلتي في غرفة مكتب متواضعة في مقره في سان كليمنتي، تطل على المحيط الهادىء.

وانضم إلينا هالدمان قرابة الساعة ٩،٣٠، فاتخذ الحديث وجهة عملية. واراد هالدمان ان يعرف حجم الفريق الصحافي الذي سيرافق الرئيس، ولم تلبث ان بدت على وجهه علائم الازدراء حين علم اني لم اعالج هذا الموضوع، ثم اخلى الازدراء مكانه من ملامحه ليحل محله عدم التصديق عندما ابلغتهاني قدرت لشو إن - لاي العدد الإجمالي لمرافقي الرئيس بخمسين شخصاً تقريباً. وقال هالدمان إن رجال الامن السريين الذين يرافقون الرئيس سيتجاوزون هذا العدد، ناهيك بالصحافيين. فلم يكن هالدمان يرى اي معنى لصنع التاريخإذا لم تكن عدسات التلفزيون حاضرة لتبثه.

أدى ذلك إلى حديث طويل متبادل بين نيكسون وهالدمان حول طريقة تأمين اوسع تغطية صحافية وتلفزيونية ممكنة للزيارة، مع الاحتفاظ فيالوقت نفسه بمقدار من السيطرة على اختيار من يمكنهم الذهاب. وكان من مفاهيم نيكسون التي لا تتزعزع انه يستطيع بطريقة ما حمل الصحافة، بالابتزاز، على ان تتخذ منه موقفاً اكثر ودية، وذلك بان يحابي اولئك الصحافيين الذين يعاملونه - من وجهة نظره - معاملة منصفة. وغني عن البيان ان نيكسون لم ينجح في مسعاه هذا ابداً.

والأخطر من ذلك كان الطريقة التي سيقدم بها الرئيس الاعلان المشترك. وأشار كل دهاقين العلاقات العامة الى ان من المستحسن ايراد ذلك في احدى الخطب العاطفية التي تميزت بها رئاسة نيكسون، لكني عارضت الفكرة بشدة، لأننا كنا عند نقطة البداية في علاقة جديدة ، وكلما زاد ما نسبغه عليها من زينة كلما ثقل العبء على الديبلوماسية الدقيقة التي لا بد منها لتوثيق تلك العلاقة، ومن ثم ينبغي لنيكسون ان يترك البيان يتحدث عن نفسه، مهما يكن موجزا وغير شاف. وقد وافق الرئيس على هذا ببعض من عدم الرضا، فيما وافق هالدمان بمقدار كبير من التوجس والشك.

في الساعة ٥،٤٥ بتوقيت المحيط الهادىء يوم ١٥ يوليو (تموز)، سافرت مع الرئيس بالهليكوبتر الى لوس انجيليس، حيث توجه نيكسون الى استوديوهات شركة الاذاعة الوطنية (إن - بي - سي) في

بيربانك وألقى خطابا قصيراً استغرق سبع دقائق قال فيه:

"أسعدتم مساء، لقد طلبت الليلة هذه الدقائق من وقت البث التلفزيوني كي اعلن عن تطور رئيسي في جهودنا من اجل بناء سلام دائم في العالم... وان البيان الذي سأتلوه عليكم الآن يذاع في اللحظة نفسها في بكين:

إن رئيس الوزراء شو إن - لاي والدكتور هنري كيسينجر، مساعد الرئيس نيكسون لشؤون الأمن القومي، قد أجريا محادثات في بكين خلال الفترة من ٩ الى ١١ يوليو (تموز) ١٩٧١. ولما كان رئيس الوزراء شو إن - لاي يعلم الرغبة التي اعرب عنها الرئيس نيكسون في زيارة جمهورية الصين الشعبية فانه قام باسم حكومة جمهورية الصين الشعبية بتوجيه الدعوة الى الرئيس نيكسون لزيارة الصين في موعد مناسب قبل شهر مايو (آيار) ١٩٧٢. وقد قبل الرئيس نيكسون الدعوة بسرور.

وسيكون هدف الاجتماع بين قادة الصين والولايات المتحدة تطبيع العلاقات بين البلدين، بالاضافة الى تبادل وجهات النظر حول المسائل التي تهم الجانبين".

وتوجه نيكسون وكبار معاونيه بعد ذلك الى مطعم "برينو" في لوس انجيليس حيث استمتع الرئيس بنصر ليس فيه منازع. وكان يسير ببطء نحو مائدتنا الواقعة في مقصورة في احد الاركان وهو يتذوق حلاوة التهاني التي يتلقاها من بعض الرواد ويدعو الآخرين الذين لم يكن بلغهم النبأ بعد الى ان يتمنوا له التوفيق. ولدى مغادرتنا المطعم، تمهل مرة اخرى في قاعته الرئيسية حيث راح يوقف رواداً آخرين ليقدمني اليهم بصفتي الرجل الذي قام بالرحلة الى بكين. وكانت المناسبة مؤثرة، لأن نيكسون لم يكن فخورا، بل كان يتصرف كأنه يكاد لا يستطيع تصديق ما اعلنه منذ برهة. وساد الجو نوع من الخجل المتبادل، لأن نيكسون لم يكن يستطيع الانطلاق بسجيته مع الغرباء، كما ان الرواد الآخرين لم يكونوا متحررين من الحرج وهم يتعاملون مع رئيس الجمهورية. وقد بدا نيكسون في ساعة الانجاز والانتصار هذه مكشوفا على نحو غريب، وهو ينتظر في توقع ان يتلقى التقدير من دون ان يكون قادرا على اجتياز الهوة التي فصل بها نفسه عن بني جنسه. وبهذا المعنى، كان ذلك المشهد الذي جرى في مطعم "برينو" رمزاً حياً لانتصار ريتشارد نيكسون ولمأساته في آن.

أعقبت ذلك بضعة ايام من الاثارة والغرائب، وانهالت التهاني تترى من انحاء العالم. وكادت وسائل الاعلام تجمع على الثناء على حدث بهر خيال العالم. ولم نفتقد المشورة والنصائح، لأن كل فئة وكل جماعة كان لديها مشروعها المفضل الذي تقدمت به الى نيكسون كي ينفذه. الا ان هذه المشكلة كانت من المشاكل المحببة، اذ لم يسبق لنا أبداً ان غمرنا مثل هذا الفيض من المتطوعين الذين يعرضون تأييدهم لسياستنا.

الزيارة الثانية

كنت اخبرت شو إن - لاي أننا سنواصل التعامل مع موسكو، لكننا سنخطر بكين تفصيليا بأي تفاهم قد نبحثه مع السوفييت ويمس المصالح

الصينية، وأننا سنأخذ وجهات نظر الصين في الاعتبار. وأكد نيكسون هذه التعهدات في رسالة منه الى شو إن - لاي يوم ١٦ يوليو (تموز)، أرفقنا بها نص بيان عن خلفيات زيارتي لبكين وزعته على الصحافيين يوم ١٦ يوليو (تموز)، وكانت تلك مجاملة منا تستهدف اثبات حرصنا على رعاية العلاقة الجديدة.

كانت تلك الرسالة اول اتصال جرى عن طريق حلقة اتصال جديدة في باريس تم الاتفاق عليها في بكين. وقد اتيحت لنا مناسبات كثيرة لاستخدام حلقة الاتصال هذه، حيث تبادلنا بين اول اغسطس (آب) ونهاية سبتمبر (أيلول) عدداً من الرسائل يزيد عما تبادلناه على مدى العشرين عاما السابقة. وكان احد موضوعات هذه المبادلات قيامي برحلة ثانية الى الصين من اجل الاعداد لاجتماع القمة في بكين. وكان شو إن - لاي متلهفاً لذلك، ربما لكي يمحو وصمة السرية التي علقت بزيارتي الأولى.

ولم تكن هذه المبادلات تخلو من لحظات التوتر والضيق. ومثال ذلك ان الصينيين، على رغم امتداد تاريخهم عبر آلاف السنين، لم يسبق لهم ابدا ان استقبلوا جماعة طليعية للاعداد لزيارة رئيس جمهورية خصوصا جماعة قد شحذت مهاراتها الرحلات الشاقة المضطربة التي يقوم بها مرشح للرئاسة في قلب امريكا، وفرض عليها انضباطها الصارم ذلك الهوس الفريد بالعلاقات العامة الذي تميزت به رئاسة نيكسون.

انطلقت الى وجهتي يوم ١٦ اكتوبر (تشرين الأول) في طائرة رئيس الجمهورية، اجرب الطريق الذي رسم لرحلة نيكسون بما يتخلله من توقف في هاواي وغوام، بقصد اتاحة الفرصة لمرافقي الرئيس للوصول الى الصين من دون ارهاق مفرط بسبب اختلافات الوقت وتأثير الطيران النفاث مدة طويلة. ووصلت الى بكين في ٢٠ أكتوبر (تشرين الأول).

واكتشفنا لدى دخول غرفنا ان كلا منها يحتوي على نشرة دعاية باللغة الانكليزية تحمل على غلافها نداء الى شعوب العالم كي "تتخلص من الامبرياليين الامريكيين وكلاب صيدهم"، كما كانت هناك لافتات مشابهة مدهونة على طول الطريق الذي سيسلكه موكب سيارتنا، معظمها بالصينية ولكن فيها لافتة واحدة او اثنتين بالانكليزية. ولم تكن لدي اي نية لتقبل الاهانات مهما تكن الأهمية التي اعلقها على العلاقات الامريكية - الصينية، فأصدرت تعليماتي الى معاون لي بأن يسلم النشرة الموجودة في غرفتي الى احد موظفي البروتوكول الصينيين مع الحرص على ان يذكر له ان وجودها في الغرفة لا بد من ان يكون نتيجة نسيان لها من جماعة الضيوف السابقين، كما امرت بجمع كل النشرات الأخرى المماثلة وتقديمها الى الصينيين من دون تعليق.

وفي ساعة لاحقة من ذلك اليوم استقبل شو إن - لاي فريقنا باكمله في قاعة الشعب الكبرى، واقتصر اجتماعنا الأول على العموميات وجدول الأعمال، ثم اقام شو إن - لاي مأدبة على شرفنا شرب فيها نخبا بالغ



كيسينجر يزور جدار الصين الكبير في تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٧١.

اللطف والترحيب، يخلو من اي اشارة الى الخلاف الايديولوجي او الى الحرب في الهند الصينية. ونظرا الى ان صيغة هذا النخب لم تنشر، ولأنه كان اقل اتساما بالصفة الرسمية، فاني اورده هنا لأنه يعطي صورة عن اسلوب شو أفضل من تلك التي تعطيها الأنخاب الرسمية. قال شو إن - لاي:

"دكتور كيسينجر، أيها الأصدقاء

أود ان انتهز هذه الفرصة كي ارحب بالمبعوث الخاص للرئيس نيكسون - الدكتور كيسينجر - وبالأصدقاء الامريكيين الآخرين الذين جاؤوا الى الصين في هذه الزيارة العابرة. ان صفحة جديدة ستفتح الآن في تاريخ العلاقات بين الصين والولايات المتحدة الامريكية، بعد ان ظلت هذه العلاقات مقطوعة طوال ٢٢ عاما. ويجب ان نقرر ان الفضل في ذلك ينبغي ان ينسب الى الرئيس ماو تسي - تونغ والى الرئيس نيكسون. وكان ضروريا في طبيعة الحال ان يكون هناك شخص يقوم بمهمة الدليل، وهذا الشخص هو الدكتور كيسينجر الذي اقدم بشجاعة على القيام بزيارة سرية للصين التي يزعمون انها "بلد الأسرار". لقد كان ذلك عملا طيباً حقاً. وها هو الدكتور كيسينجر الآن يقوم بزيارته الثانية للبلد الذي ينبغي الا يعتبر بعد الآن "سراً". وقد جاءنا الدكتور كيسينجر كصديق مصطحبا معه عددا من الاصدقاء الجدد. وفي ما يتعلق بي، فانني لم أزر الولايات المتحدة أبداً، لكني اعرف عدداً لا بأس به من الأصدقاء الأمريكيين،

كما ان الولايات المتحدة ليست غريبة علي" تماما.

ومن الواضح ان النظاميين الاجتماعيين في بلدينا مختلفان، وأن نظرة كل منا الى العالم - وهي ما يحب الدكتور كيسينجر ان يسميه "فلسفة" - تختلف عن نظرة الآخر اختلافا تاما لكن هذا ينبغي الا يمنعنا من ان نجد ارضا مشتركة.

اني اقترح ان نشرب نخب الصداقة بين الشعب الامريكي العظيم والشعب الصيني العظيم، ونخب صحة الدكتور كيسينجر وجميع اصدقائنا الآخرين".

وراح شو إن - لاي بعد العشاء يتجول في القاعة، يصافح الحاضرين ويدق كأسه بكأس كل فرد في المجموعة التي تصاحبني، فحدد بذلك النغمة الدافئة التي سادت بقية الرحلة التي رتبها المنظمون الصينيون بعناية قصد تعويد الشعب الصيني على العلاقة الجديدة.

غير انه كان على الصينيين اولا ان يسوّوا موضوع النشرات الدعائية التي وجدناها في غرفنا واللافتات التي طالعناها في طريقنا الى المدينة. وقد حضر لزيارتي نائب وزير الخارجية في بيت الضيافة في اليوم التالي لوصولنا لمرافقتي الى اجتماع مع شو إن - لاي. ونحن في طريقنا بالسيارة الى قاعة الشعب الكبرى اوضح لي هذا المسؤول ان لكل امة وسائلها في الاتصال بشعبها، فنحن في امريكا نستخدم الصحف والتلفزيون وهم في الصين يستخدمون الملصقات الجدارية: ثم اشار الى احد هذه الملصقات فنظرت الى الموضع الذي كانت فيه امس لافتة تندد بالامبريالية الامريكية، واذا بي ارى لافتة باللغة الانكليزية تقول: "مرحبا بمباريات البنغ بونغ الافرو - آسيوية". وبعد ذلك ببضع دقائق قال لي شو إن - لاي إننا ينبغي ان نلتفت الى اعمال بكين، وليس الى خطابياتها، فالدعاية المناهضة لامريكا لا تزيد على كونها "اطلاق مدفع فارغ".

تميزت بقية زيارتي بما لقيته من كياسة وود غالبين، كان الأهم منهما ايضا ذلك الجهد الكبير الذي بذل لكي يستقر في وعي الجمهور الصيني ان الامريكيين جاؤوا الى بلادهم ضيوفا مكرمين. ففي يوم وصولنا، نشرت صحيفة الحزب الرسمية قائمة باسماء اعضاء لجنة الترحيب الرسمية الذين بدا من علو مناصبهم مدى الأهمية التي تحظى بها الزيارة. وفي ٢١ اكتوبر (تشرين الأول) نشرت صحيفة "الشعب" صورتين لشو ولي، وكانت تلك اول مرة منذ عشرين عاما تنشر صورة مسؤول امريكي الى جانب صورة زعيم صيني. اما المشكلات الفنية فقد حلت نفسها بنفسها، بالسهولة التي اتاحتها العزيمة المتهوسة لرجال الطليعة. وجاء رجل الاتصالات يحمل خطة طموحة لو نفذت لأدت الى مصادرة جميع الخطوط الهاتفية في بكين لحساب الزيارة. وقلت لشو ان في وسعه متى انتهى رجالنا من عملهم، الاتصال بواشنطن فوراً، الا ان تمكنه آنئذ من الاتصال بشنغهاي سيكون أمراً آخر. واستطاع قائد فريق الأمن في مجموعتنا لفت النظر اليه عندما طلب قائمة بالاشخاص المشاغبين الذين يوجدون في كل منطقة يحتمل ان يزورها

الرئيس نيكسون. وأثار سؤاله قضية تبعث على الاهتمام، لأن السائد في الصين هو اعتبار الجمهوريين المحافظين من المشاغبين الانقلابيين من دون أدنى شك، ولو كنا سألنا عن عدد المتعاطفين مع الشيوعية لجاءنا الرد الذي يهز الأعصاب انهم ٨٠٠ مليون شخص.

عد إلينا قريبا

وقضينا - شو وأنا - ٣٥ ساعة معاً نعرض الأوضاع العالمية، فضلا عن ١٥ ساعة اخرى امضيناها في اعداد بيان اصبح يعرف باسم "بلاغ شنغهاي". وكان اكثر اجتماعاتنا اثارة هو ذلك الذي عالجنا فيه امر البلاغ. والمراقب الخارجي لديه ميل الى اعتقاد - يشجعه عليه رؤساء الحكومات - مؤداه ان هذه البيانات المشتركة تظهر الى الوجود تلقائيا من واقع المناقشات التي يزعم البيان انه يلخصها لكن النقيض هو الصحيح عادة، اذ ان مناقشات رؤساء الحكومات تجري في اطار يحدده بلاغ يتم اعداده مقدما في العادة.

وكان نيكسون رأى واعتمد مسودة بلاغ توليت انا اعداده مع معاوني. وكان هذا البلاغ يلتزم الأسلوب التقليدي فيبرز مواضع الاتفاق المهمة ويلقي في الظل بنواحي الخلاف مغرقاً إياها في التعميمات المألوفة التي لا تأتي بجديد. وقد سلمت هذه المسودة لشو إن - لاي مساء ٢٢ أكتوبر (تشرين الأول). وفي المساء التالي اوضح لي شو إن - لاي رد فعله المبدئي قائلا ان الصينيين يودون ان يضيفوا وجهات نظرهم في بعض المواضع، وأن نائب وزير الخارجية تشي بنغ - في سيبدأ معي عملية اعادة الصياغة في الصباح التالي.

وشد ما كانت دهشتي في الصباح التالي عندما وجدت امامي في الموعد المقرر رئيس الوزراء نفسه. وعلى غير اسلوبه المتميز، القى شو خطاباً عنيفا استغرق ساعة كاملة، معلنا ان اسلوبنا غير مقبول بالمرة. فالبيان يجب ان يوضح الخلافات الأساسية بجلاء، والا بدت عباراته "في مظهر يجانب الحقيقة" فضلا عن ذلك فان علينا ان نتخلى عن ارتباطاتنا مع تايوان. اما مسودة البيان التي نعرضها حاليا فهي من نوع التفاهة التي يمكن ان يوقع عليها السوفييت من دون ان يعنوا كلمة واحدة منها او يلتزموا بها.

ورددت عليه بشدة غير معتادة، فقلت إنني احترم قناعات شو، لكن الاعلانات عن العقائد التي لا يرقى إليها الخطأ لا مكان لها في بلاغ محادثات. ولا شك في ان الصينيين لن يحترمونا إذا بدأنا علاقتنا الجديدة بخيانة اصدقائنا القدامى. إننا لن نتخلى عن روابطنا مع تايوان. اما المشكلات القائمة بيننا فيجب ان يحلها التاريخ وليس القوة. ونحن لم نأت هنا لمجرد تسجيل الخلافات الفلسفية، بل لكي نخط طريقاً إلى المستقبل.

وعقب فترة استراحة، قال شو إنه سيقدم مسودة بلاغ مقترحة في موعد لاحق من اليوم. وقد جاءت مسودة البلاغ في صورة لم يسبق لها مثيل، إذ سجلت موقف الصين تجاه مجموعة كاملة من القضايا في عبارات صارمة قاطعة، وتركت صفحات بيضاء كي

نسجل عليها موقفنا الذي افترض انه مناقض. وكانت العبارات الخاصةبتايوان في غاية التصلب.

وقد ذهلت في البداية، لأن اختتام زيارة لرئيس الجمهورية ببيان يعدد نواحي الخلاف امر شاذ تماماً. غير اني حين امعنت التأمل بدأت ارى ان جدة هذا الاسلوب في ذاتها قد تخرجنا من حيرتنا. ذلك ان بيان الخلافات من شأنه ان يطمئن الحلفاء والاصدقاء إلى ان مصالحهم كانت موضعاً لحمايتها والدفاع عنها، واذا استطعناان نتوصل إلى ذكر بعض المواقف المشتركة، فانها ستبرز عندئذ في صورة قناعات حقيقية يتمسك بها زعماء ذوو مبادئ. وسيتيح لنا ذلك ان نتفادى تفسيرات العبارات المكررة المألوفة الممجوجة التي هي آفة البلاغات المعتادة.

وقلت لشو إني اتقبل نهجه في اساسه، وان يتضمن البلاغ بياناً مطولا باوجه الخلاف، غير ان بعض الصياغات الصينية قد وضعت في قالب متصلب غير مقبول ولا يمكن الرئيس نيكسون ان يضع توقيعه على وثيقة تردد مواقف دعائية ثابتة تنشرهاالصحف كل يوم.

وتولى ونستون لورد إعادة صياغة مسودة البيان في حين انتزعت أنا ثلاث ساعات من النوم، ثم نام هو وتوليت انا مراجعة مسودته في ما تبقى من الليل. وقد ركزنا جهودنا على تلطيف لغة التعبير عن المواقف الصينية وكتابة الاقسام التي تعبر عن مواقف الولايات المتحدة، وإبراز عدد من نقاط الاتفاق.

كانت مسودتنا المضادة موضوعاً لجلسة استغرقت يوماً بطوله. وكانتقضية تايوان اصعب القضايا، كما هو متوقع. وكنا في حاجة إلى صيغة تعترف بوحدة الصين، وهي النقطة الوحيدة التي تتفق عليها تايبيه وبكين، من دون ان يتضمن ذلك تأييداً لمطالب اي منهما. وانتهيت اخيراً إلى التعبير عن الموقف الامريكي الخاص بتايوانعلى النحو الآتي:

"إن الولايات المتحدة تقر بأن جميع الصينيين على كل من ضفتي مضيق تايوان يتمسكون بأنه ليست هناك سوى صين واحدة، وليس لدى حكومة الولايات المتحدة اي اعتراض على هذا الموقف".

ولا اعتقد ان اي شيء قلته قد اثر في شو إن - لاي بمقدار ما اثرت فيه هذه الصيغة ذات الحدين والتي استطاع كلا الجانبين ان يتعايشامعها زهاء عقد كامل من الزمان.

وفي الساعة ١١،٣٥ مساء طلب الصينيون رفع الجلسة موقتاً، ثم جاؤوا في الساعة ٤،٤٥ صباحاً وقدموا الينا مسودة صينية جديدة، واعقبت ذلك عودة شو إن - لاي في الساعة ٥،٣٠ صباحاً. وقضينا - هو وأنا - بضع ساعات اخرى في تنقيح النص حتى الساعة ٨،١٠ صباحاً، عندما اتفقنا على الخطوط العريضة الرئيسية للبيان بعد جلسة استغرقت ٢٤ ساعة متواصلة من دون توقف تقريباً.

وكنا حددنا موعد رحيلنا في الساعة ٩،٠٠ صباحاً، فاخذني شو معهحتى باب بيت الضيافة، وخاطبني باللغة الانكليزية للمرة الاولى قائلا: "عد إلينا قريباً كي نستمتع بالحديث".

ولم تكد طائرتي تقلع في اتجاه الوطن حتى اضطربت مفاتيح المبرقة الكاتبة (التليبرينتر) تنقل إلينا نبأ فقدنا لمعركة المحافظة على مقعد تايوان في الامم المتحدة. وقال لي شو إن - لاي في ما بعد إنه كان علم بنتيجة التصويت في الامم المتحدة قبل سفري مباشرة، لكنه لم يشأ إحراجي بان يكون هو اول من يخبرني.

واحتلت بكين مقعدها في الامم المتحدة، وكان ذلك مصحوباً بدعابة خاصة بين شو وبيني لم يفهمها احد سوانا. ذلك ان نائب وزير خارجية الصين تشياو كوان - هوا اوضح بجلاء ان الصين لا تهدر شيئاً ابداً عندما ادرج في اول خطاب له في الامم المتحدة كل الجدليات التي كنت حذفتها من البلاغ. عندئذ اصدرت تعليماتي بدوري إلى سفيرنا في الامم المتحدة جورج بوسن ان يعرب عن اسفه لان بكين رأت ان تبدأ مشاركتها في هذه المنظمة العالمية "بإطلاق مدافع الخطابة الفارغة هذه". وقد فهم شو إن - لاي ما اقصده، على رغم ان بعض كتاب الافتتاحيات في الصحف وجدوا ان هذه العبارة خشنة، بينما تعجب آخرون لغرابة الاستعارة.

وحدث في عطلة "عيد الشكر" (رابع يوم خميس في شهر نوفمبر - تشرين الثاني) ان كنت في طائرة رئيس الجمهورية متوجهاً إلى سان كليمنتي مع ابني ديفيد الذي يبلغ من العمر تسعة اعوام. واخذ الصحافيون يشاغبون الصبي، فسألوه عما إذا كان يعرف الموعد - الذي كان لا يزال سراً - المحدد لرحلة نيكسون إلى الصين. وكان ديفيد سمع شهر مارس (آذار) يذكر في الراديو، فأجابهم بذلك، واسرع الصحافيون مبتهجين ينقلون ذلك على انه نصر صحافي، وقضيت بعد ذلك اياماً عدة يتعقبني صحافيون يريدون ان يعرفوا ما إذا كنت اعتزم "تكميم" ابني عقاباً له على إذاعة اسرار الدولة. غير ان تقارير الصحافة عما "افشاه" ديفيد كانت خاطئة تماماً، مثل التقرير الاخباري الذي سمعه الصبي في الراديو وذكر لهم الموعد الوارد فيه. وفي ٢٩ نوفمبر (تشرين الثاني) اعلن البيت الابيض ان تاريخ زيارة نيكسون لبكين الذي تم الاتفاق عليه هو - لحسن حظ ابني - يوم ٢١ فبراير (شباط) ١٩٧٢.

إن العام الذي بدأ برسائل اختبارية غير مباشرة لبكين عن طريق اطراف ثالثة انتهى بمحادثات مباشرة وباقامة قنوات اتصال عدة مباشرة. وبعد ان ظلت اتصالاتنا بالصينيين منقطعة مدة عشرين عاماً كاملة، اجرينا معهم اشمل عرض للعلاقات الدولية عرفته طوال خبرتي الديبلوماسية. وها هو رئيس الولايات المتحدة على وشك زيارة العاصمة الصينية، وقد تم الاتفاق بالفعل على كل العناصر الجوهرية للبلاغ الذي سيصدر عن زيارته. لقد اتخذنا خطوة عملاقة احدثت تحولا كبيراً في ديبلوماسيتنا، واضفينا على سياستنا الخارجية مرونة جديدة.

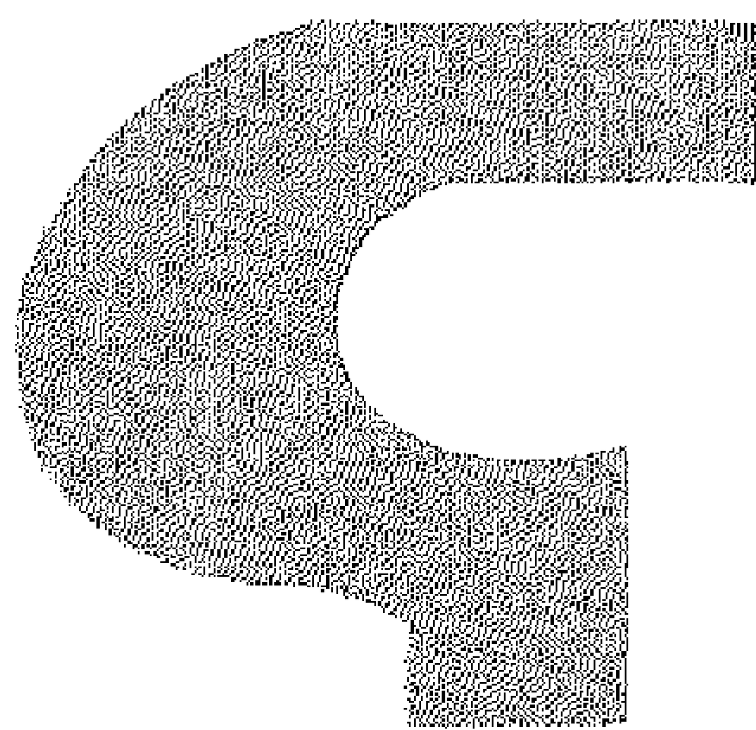
حقيقة إن الطريق امامنا كان في طبيعة الحال لا يزال طويلا، ولكننا كنا انطلقنا من نقطة بداية جديدة.

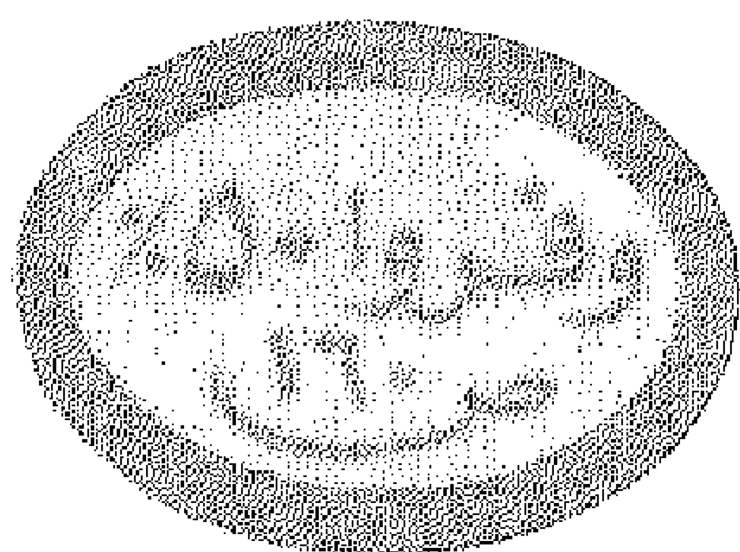
■ **هنري كيسنجر**



شباط (فبراير) ١٩٨٠

المختار





AL MUKHTAR min Reader's Digest FEBRUARY 80 N° 15